الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي


جـــامـــــعة بــــــاتنـــــــة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربيـــة وآدابهـــا


# أثر القرآن الكريم في النثر الجزائري الحديث

**(1925 – 1962)**

**بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الأدب العربي الحديث**


إعداد الطالب :
حسين بن مشيش

تحت إشراف :
أ د : خذري علي


لجنة المناقشة

| | | |
|---|---|---|
| ـ أ.د.صالح مفقودة | جامعة بسكرة | رئيسا |
| ـ أ.د.على خذري | جامعة باتنة | مشرفا ومقررا |
| ـ أ.د.عز الدين بوبيش | جامعة باتنة | عضوا مناقشا |
| ـ د.عيسى مدور | جامعة باتنة | عضوا مناقشا |
| ـ د.عبد الرزاق بن السبع | جامعة باتنة | عضوا مناقشا |

السنة الجامعية : 2008/2007 م .

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ .خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمْ . اَلَّذِي عَلَّم بِالْقَلَمْ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}

صدق الله العظيم
سورة العلق : 1 ، 2 ، 3 ، 4 ،5

# مقدمـــة

لقـد كان القــرآن الكريـم وسيبـقى من الكتب السماوية المنزلة على رسوله الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، المحفـوظ إلى يـوم الديـن ، مصداقا لقـوله تعالـى:{ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَـــا الذِّ كْرَ وَإِنَّا لَـهُ لحَافِظُـــوُنْ** } سورة الحجر:9 . خلافـا لغيره من الكتب السماويـة المنزلـة مـــن قبلـه .

والقرآن الكريم هو الذي جعل العرب يحتارون من دقتـه وينبهرون من شموليتـه ، فألزموا نفوسهم حفظه ومدارسته والمحافظـة عليه ، واعتمدوه مصدرا أساسيا فـي مختلف الأبحاث وفـي جميع المجـالات .

وقد نالت اللغة العربية وآدابهاحظا كبيرا فى ظل القرآن الكريم ، وخاصة في مجـال التجديد الحاصل في الأساليب البلاغية الرفيعـة. وقدا استمر الإنتاج الأدبي خلال العصور يقتبس من فيض القرآن الكريم ، خطابـة ، ورسائـل ، وشعرا وغيره من الفنون الأدبية التي تركت بصمات واضحة على ساحة الأدب العربـي من طرف الكتاب والنقـاد القدامى. خلافـا للعصر الحديث ، فالدراسات الأدبـية فيه تكاد تكون جد عقيمة وخالية من ظهـور الأثر القرآنـي الا بعض الشذرات الخفيفة. مـع أن فرص إفـادة الأدبـاء من القـرآن متعددة.

وفـي خضم وجود الإختلاف والتفاوت فـي وسائـل التـراث الأدبـي من أجل القيـام وإرصاء قـوائم النهضة الحضاريـة ودفعهـا إلـى الأمـام ، فـإنـه لا يجـوز لنـا حصر القـرآن الكريم على فتـرة معينـة ، لأنـه هـو دستور الله الدائم ، ومصدر التـراث الأكـبر . يفترض علينا الاتصال المستمر بـه ، نظـرا لمـا يتضمنه من الإعجـاز البـلاغي ، والأدبـي ، والتشريعي يتــزود منـه كـل مؤمـن بالله يرغب فـي صيانـة نفسه ، وإتقـان عملـه الأدبي منـه ماتعلـــق الأمـر بكتابة

مقـال أو قصــة ، أو شعـر، أو مسرح ، وغيرها مما له علاقة وصلة بالفن الأدبي.

وهو ما استوقفنــي ، إلـى التفكيـر فـي موضوع هذه الدراسـة فـي تلك المرحلة من مراحل الإفاقة و الإنبعـاث ، والعـودة إلـى الذات ، وانطلاقـا مما استقر فـي ذهني بفعل الإرتبـاط المتواضـع بالقـرآن الكريـم ، وأثــره فـي النثــر الجزائري الحديث .

والقصد من النثر الحديث ، هو واقع التجديد فـي كل من الأساليب والأشكال الأدبية الرفيعة ، كالتغـير فـي الصياغـة الشكلية واللغويـة ، خلافـا لمـا هو معهـود فـي أسلـوب النثر الجزائـري فـي عهد الاحتلال الفرنسي 1830م ، المعتمد على الأسلوب التقليدي الضعيف  حيث يسوده التكلف ، والسجع ، والصـور الجامـدة .

ولكـن بعـد هذه المرحلـة التـي مـر بها النثـر العربي ، استطـاع أن يتحـرر مـن تلك القوالب المعتمدة سلفـا ، ومال أسلوبـه إلى السهولـة ، متجنبـا التعميم ، منتهجـا أسلوب التجرد والتحرر من الألفـاظ الغريـبة .

وبفضـل التطـور الحاصل فـي عصـر الإحيـاء والإنبعـاث ، أشرقت بـوادر النهضـة  الحديثـة للأدب العربـي ، انجـر عنهـا ظهـور أنــواع أدبيـة جديـدة مثـل المقـال الأدبـي ، والقــصة القصيـرة  والروايـة ، والمقال الصحفي ، والنقد الأدبـى وغيرها من المضامـين النثريـة المتأثـرة تأثيـرا عظيما بالقرآن  الكريم فـي الأسلـوب والمستـوى نتيجة ثمـار تلك النهضة ، وبفضل تفتـح الجزائـر عــلى الثـقافـات العــربية الوافــدة من المشرق ، وما أفرزته من تطور معرفـي  لدى رجـال الإصلاح الجزائـري ، عـن طريـق الرحلات إلى المشرق ، والحجاز ، كمـا هـو الحـال عندالإمام عبدالحميد ابن بـاديس والشيــخ محمد البشـير الإبــراهيمـي ، والشيــخ العــربي التبسي ، ومبـــارك الميـــلي

ومحمدالسعيدالزاهري ، ورمضان حمود وغيرهم من رجال الإصلاح بالجـــزائــر ، الذين ساهموا في نهضة الثقافة الإسلا مية المستمدة من القرآن الكريم ، ومن السيرة النبوية الشريفة .

وقد كـان للقرآن الكريم أثـر كبيـر فـي حيـاة الكتـاب والمثقفـين الجزائريين فـي كثـير من الجوانب ، والميادين المختلفـة ، مما سمح لهم بالإسهام فـي تعميق وتطويـر النـثر الجزائري وطبعه بطابـعه الوطني والديني ، وتجسيد ذلك كله فى العيش مدة زمنية حيث أثبتوا فيها وجودهم فـي الإنتـاج الأدبي الذي تـرك بـصمات على الشـعب الجـزائـري ، وإلتزامهم بـقضـايـاه والتعبير عـن مشاعره.

وانطلاقـا من ذلك كله ، ونظرا لرغبتي الملحة من أجل الإطلاع على ثقافة تلك الفترة وعلاقتها بالقرآن الكريم ، إرتأيت أن يكـون موضوع بحثي بهذا العنـوان المــــوسوم بـ : أثر القرآن الكريم فـي النثر الجزائري الحديث :(1925-1962) . الذي يبدو لـي أنه جديرا بالدراسة والبحث ؛ لأنه لم يتناول بالدراسة مما حفـزنـي إلى البحث في الموضوع ودراسته ، عساني أجد الإجابة عن التساؤلات التي تشكل إشكالية الموضوع التالية :

ماهي الأسبـاب والدواعي التـي دفعت برجال الإصلاح إلـى الاقتبـاس من القرآن والأخـذ منـه بالشكـل المستفيـض والملفت للنظـر ؟

ومـاهـي الأهــداف الحقيقيــة التـي توصلــوا إليهـا فـي هذا المجـال ؟

وأخيرا ماهي الفائـدة الحاصلـة من ذلك فـي نهايـة المطـاف ؟

وللإجـابـة على هـذه الأسئلـة ، إعتمـد البحـث عدة مناهج منها : المنهـج التـاريخي والوصفـي والتحليلي ، والإجتماعي وكل محور انبعث منه المنهج الذي تقتضـيه طبيعة الموقف، مما يستلتزم

الاستقراء وتتبع الظاهرة ، من أجل تكامل المناهج ، ولتقديم صورة لحقيقة الاقتباس من القرآن الكريم ، لما له من أهمية تتمثل في :

1- إبراز أثر القرآن الكريم في النثر الجزائري الحديث ، وذلك إنطلاقا من الدراسات التي تنادى باليقظة ، والمطالبة بالحرية والمساواة ، ودفع الظلم والطغيان ، وإرساء القواعد الأخلاقية السامية وغيرها من الموضوعات التي أعتنت ببناء الشخصية الوطنية . باعتبار أن النص القرآني نص يبث في النفس البشرية الحرية ، والإعتداد بالذات في إطار الوحدة الجماعية

2- إثراء المكتبة العربية بهذا النوع من الدراسات التى تعد إضافة للبحث ، بغية الإستفادة منها في مجال البحث العلمي.

واعتمادا على هذه الأهمية ازدادت رغبتي في هذا الموضوع ، وبخاصة بعد إطلاعي على أهم المصادر والمراجع التي تخص الموضوع ، وبعدها تكونت لدي فكرة واضحة عن موضوع البحث ، واستقرت في ذهني المنهجية التي وضعتها في الخطة المشتملة على مدخل وأربعة فصول وخاتمة ، حيث يتناول المدخل :

أ- أثر القرآن الكريم في فنون النثر الجزائري الحديث قبل سنة 1925م ، الذى ناقشت فيه فني الخطابة والرسائل.

ثم أنتقلت إلى الفصل الأول الذى يتناول الحديث عن الكيفية التي حاول بها الأدباء

استلهام المعاني القرآنية في النثر الجزائري الحديث ، مستعرضا أهم القضايا التي وردت في القرآن الكريم ، وما تعرض له الكتاب ، و الوصول إليه للإفصاح عن مشاعرهم وأفكارهم ، من وجهة نظر الفكر والمضمون ، دون التعرض للناحية الجمالية والفنية .

وأما الفصل الثانـي : فهـو مخصص لأثـر القرآن الكريـم فـي المعجم اللغـوي الذي كان له انعكـاس فـي كتابات الأدبـاء والمفكريــن .
وأما الفصل الثالث فيتنـاول التصوير الفني في القرآن الكريم وأثره فـي النـثر ، موزعا على أنـواع مـن التصويـر الواردة في الدراسات النقديـة . اعتمادا على الإستشهـاد بالنماذج المتناصة مـع القرآن الكريم ، و إبـراز قدرة الكاتب على التصوير الفني المتأثـر به.
وأما الفصل الرابـع فهـو مخصص لأثـر القرآن الكريـم فـي بنـاء الرمز بفرعيه الموضوعي واللغـوي ، والغـرض الهادف من كتابات رجال النهضة والإصلاح ، المتمثل في أخذ العـبرة والعضات الأخلاقيـة من الأحداث القرآنيـة . وهذا يندرج ضمن التوجيـه الأخلاقي والتربـوي لدى رجـال الإصلاح الجزائرييـن .
وفي الأخيـر ختمت البحث بخـاتمـة أوجـزت فيـها أهم النتائـج التي توصـل إليـهـا البحث.
أما عن الصعوبـات التي واجهـتـني فهي عديـدة ، نـذكر مـنـهـا قـلـة المصـادر والمراجـع - وبخاصة التطبيقية منها - التـي تساهم فـي معالجة الموضـوع ، ومع ذلك وبفضل توجيهات الأستاذين المشرفين : الأستاذ الدكتور محمد ناصر بوحجام ، والأستاذ الدكتور علي خذري الذي تبنى الإشراف ، وأكمل معي المشوار إلى نهاية هذه الرسالة ، ونتيجة لملاحظاتهما القيمة تمكنـت من تجـاوز هذه الصعوبـات .
أخـيرا أتوجه بالشكر الجزيـل إلـى المشرفين ، وإلـى كل من ساهـم فـي إنجـاز هـذا البحـث
وتقويمه مـن قريـب أوبعيـد ، وكافـة أساتـذة القسم ، وإداريـه على مستـوى القسم والكلية .

وأحمد الله تعالى على ما أعانني بـه من صـبر وعون ، راجيا إيـاه أن يجزيـني على الجهد المتواضع بأجري على الإجتهاد والإصابـة ، وأن يغفر لـي الخطـأ والزلـل ، وهو ولي التوفيق .

# مدخـــل

## 1 - أثـر القـرآن الكريـم فـي النثر الجزائــري قبـل سنـة 1925م .

### توطـــئة :

إن النثرالجزائرى - بصفـة عامة - كان أكثر تعبيـرا عن مشاعر الكاتب ، وتصوراتـه للواقع الجزائري حيث" عكس بوضوح وضـع الثقافـة العربيـة الجزائريـة والأدب العربي فـي الجزائر منذ زمن طويل ... فقد تطور أسلوبا وموضوعا ومحتوى " [1].

هذا فضلا عن أنـه سار في أشكاله على النمط التقليدي القديـم " مثل الخطابة والرسالة والمقالة والقصص الشعبي وما إلى ذلك" [2] . ومع ذلك فـإن كل هذه الأنمـاط والأساليب الأدبيـة أصبحت مسايرة لـذوق العصر ، وكشفت عن رؤيـة الكتـاب للواقع.

وإبـرازا لمدى تأثـير القـرآن الكريـم فـي النثـر الجزائري ، يستلـزم منـا العـودة إلـى مـا قبل قيـام الحركة الإصلاحيـة سنــة 1925م ، التي كانت البذرة الحقيقيـة لإنمـاء النهضة الأدبيـة فـي الجزائر لرصد المظـاهر الأدبيـة ، والوقـوف على الأسبـاب ، والظروف التي صاحبت مسيـرة النثـر الجزائري "وانعكاساتها الإيجابة والسلبية على الحياة العامة ، وعلاقتهـا بالشخصية الوطنيـة ودورها فـي المحـافظـة عليها تمسكا بهـا أو مقاومـة محـــاولات النيل منها ، أو تجـديـد

---

1- عبد الله الركيبى ، تـطور النثر الجزائري الحديث ، 1830-1974 ، المنظمـة العربيـة للتـربيـة والثقـافة والعلـوم معهد البحوث والدراسات العربية ، دار نـافع للطباعة مصر 1976 ، ص7 .

2- المرجع نفسه ، ص8 .

الأسبـاب الكفيلة بالإبقـاء عليهـا " [1].

ولإدراك الأثر القرآنـي فـي نثر الكتـاب (سواء ما تعلق بالجانب التصويري أو اللغوي ) والكشف عن الدوافع والرغبـات التـي قادتهم إلى الأخذ من المصدر الرسمـي والحقيقي في الأدب العربـي ، وطريقة الأخـذ من ذلك النبـع الأصيل ، وتضمين إنتاجاتهم الأدبيـة ما ينفعها ويكسبها أساليب فنيـة ذات طابع أدبي رفيع ، وكل ذلك لن يأتى إلا عن طريـق الدربـة والممارسـة التـي يكتسبها ذلك الكاتب الأدبـي البارع الذي يسعى من أجل الحفاظ على شخصيته مـن التلاشي والاندثـار ، وذلك باستعمال الأثر المقتبس فيما يفيد وينفع مجـال النثر الأدبـي الجزائري ونستطيع أن نستعرض من ضمـن هذه الفنون النثريـة التقليديـة أولا : فن الخطابـة والرسائل.

1- محمد ناصر بوحجـام ، أثـر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، 1925-1976 ، الطبعة العربية ، غردايــة ط :1 1992، ص17.

## 1-1- الخطابـة :

لقد عرفت الخطابـة عند العرب بأنها : " الكلام المنثور ؟ المسجـع ونحوه ...، ورجل خطيب : حسن الخطبة ، وجمـع الخطيب خطبـاء"[1] ، وتعد الخطابـة من أسبق الفنون الأدبيـــة عند العرب وكانت كثيـرة الرواج بشكل خاص فـي العصر الجاهلـي ، وذلك للحفـاوة البالغـة والإجلال العظيم الذي كان يحـاط به الخطيب لما يقوم بـه من الذود والمحافظـة عن حياض القبيلـة التي يرفع من شأنها وقدرها ، بواسطـة لسانـه الذي كان السلاح الثانــي بعد سلاح السيف المستعمل آنذاك .

والخطب التى عثـر عليها ليست بالقدر الكافـي بالنسبـة لما عرف عن العصر الجاهلي ويعود سبب القلة إلى عدم التدويـن في ذلك العصر ، ولكن ما وصل إلينا من تلك الخطب يؤكد لنا سلامة ، ودقة لغتها ، وفصاحة بلاغتها ، وهو ما عرف عند العرب واشتهـروا بـه .

ولقد ازداد تطور الخطابة بعد انتشار الدعـوة الإسلامية ، لأنها كانت لسان حال هذه الدعـوة ، فتحول مضمونها وأسلوبها متماشيـا مع روح العقيدة الجديـدة ، التــي أحدثت ثـورة اجتماعية ، وفكريـة عظيمة ، غيرت جميع المفاهيم والمضاميـن في صالح العدالـة الإنسانية ونصرة الحـق ، وإزهاق الباطل ، على الرغم من كراهية المعتدين ، قال تعالـى :{**وَيُحِقُّ اللّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِـهِ وَلَـوْ كَـرِهَ الْمُجْرِمُـونَ**}[2] .

---

1- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، د- ط ، 1992، 361/1.

2- يـونس :82.

وفـي العصر الأمـوي كادت الخطابة أن تعود إلى سالف عهدهـا في الجاهليـة ، إذ أنها كانت تدافع عـن القبيلـة ، إلا أن القبيلة المعنيـة في هذا العصر هي ما يعبـر عنه بالقبيلة السياسية ، أو بمعنــى آخر الحزب السياسي ، وفي هذا الإتجـاه سار الخطبـاء ، فأحتدم الصراع بين الديـن والسياسة ، فكثر توليد الموضوعات والأساليب ، وظهر خطباء مرموقون يمتازون بالبيـان والفصاحـة .

واستمر الأمر كذلك فـي العصر العباسي الـذي عرف توسعا فى الثقافـة العربيـة - لاحتوائها على الثقافـات الأجنبيـة - مما جعل الخطابـة فنـا منظما ، إلا أنه بعد تعاقب الزمن إستتب الأمـن ، وتوقف الصـراع ، وعندها تحول الخطبـاء إلى الوعـظ والإرشـاد ، والإشادة بالخلفـاء [1] .

لذلك ورد عنهم في وصف بعض الكتاب قول أحدهم : " فهنـاك خطباء كان يغلب عليهم العي ، حتى كانـوا ينيبـون غيرهم للقيـام بمهمتهم ، وهناك من كان الناس يشكون من عدم إنابتـه وعدم أهليته لهذه المهمة الجليلـة " [2].

أما إذا ما حاولنا الإنتقال إلى العصر الحديث فـي الجزائر ، نجد أن زحف الإحتلال الفرنسي أثار نخـوة العاطفـة الوطنية فـي بعض المثقفيـن والعلماء ، الذين شعروا بالخطـر الاستعماري الداهم ، ففاضت قرائحهـم بذلك الاحساس العاطفـي ، فعبـروا عنـه فـي شـــكل

---

1- عبد الله الركيبى ، تطـور النثـر الجزائـري الحديث ، ص11.

2- أبـو القـاسم سعـد الله ، تاريـخ الجزائـــر الثقـافـي ، الشـركـة الـــوطنيـة للنشـر والتوزيـــع الجزائـر، 1981 2/212-213 .

خطب ، مستنهضين الهمم للدفاع عن الوطن ، والجهاد في سبيل الله ، ومن ضمن هؤلاء العلماء الغيورين على بلادهم ، نذكر بطل المقاومة الجزائرية الأمير عبد القادر (ت - 1883) الذي أعاد للخطبة قيمتها وحررها ، مما كانت تعانيه من أساليب الركاكة والعقم و" السجع المتكلف المقصود لذاته ، ومالت إلى البساطة في التعبير ، والقصد في القول دون إطناب إلا في المناسبات التي تتطلب الكثير من الإقناع . أما في الاستنفار إلى الكفاح والحرب وشحذ الهمم للدفاع عن الوطن ومقدساته فإن المجال يقتضي التركيز والإيجاز كما يقتضي أيضا التعابير الحماسية الفياضة " [1]. التي تشعر السامع بأنه معني بهذا الخطاب التوجيهي البياني الفني ، المتمثل فيما " ينظمه عبد القادر من شعر وينثره من خطب ويختارلها من القرآن والحديث وعيون الأدب وأيام الأوائل حتى ينظم ويلم شتات هؤلاء المتذوقين لبيانه الفني وكيف يستجيبون له ، وينفعلون به حتى الإستشهاد " [2].

ويبدو ذلك واضحا في خطبة ألقاها عند نقض العهد من طرف المستعمرين فيستفتحُ ذلك بقوله : " أما بعد، فلا يخفى أن الله تعالى قال في كتابه المجيد :{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**} [3].

---

1- عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث ، ص12 .

2- محمد السيد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثارها في أدبه ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986، ص28.

3- التوبة : 123 .

وقـال أيضـا : { **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ** } [1]. وهـؤلاء القـوم ، قـد عاهدناهـم فنكثـوا وصدقناهم فغدروا وصابرناهم فلم يصبروا ، وإن تركناهم وشأنهم ، فلا نلبث أن نراهم قد فتكـوا بنا على حيـن غفلـة " [2].

فالخطبـة استهلت بالقـرآن الكريم الذي تأثـر بـه الخطيب ، ويلوح به ليؤثـر على قلـوب المجاهديـن ليهيأهم للاستعداد نفسيـا لمقارعة جنـود الأعداء والفتك بهم ، بعد نقضهم للمعاهـدة موضحـا أن هـؤلاء الأعداء ليس فيهم شيمة الوفـاء التي يتحلى بها الأبطـال ، لذلك فهم مناقضون للعهد، ويحق فيهم الجهاد ، لتطهير الوطن من دنسهم ، فيوجه نداءه للمسلمين قائـلا : " فهيـا بنـا أيها المسلمون إلـى الجهـاد ، وهلمـوا إليه باجتهاد وارفعـوا على عواتقكم برود الكسل وأزيلـوا من قلوبكم دواعي الخوف والوجل . أما علمتم أن من مـات منكم مـات شهيـدا ومن بقـي نال الفخـار وعاش سعيـدا " [3].

يبـدو مـن خلال هـذه الخطبة أن صاحبها يغلب عليه طابع التأثر بالقرآن الكريم ، سواء تعلـق الأمر ببدايته بـه أو فيما تزخر به ألفاظـه ، وتعابيـره المستوحاة من القرآن الكريم والسنة النبـوية الشريفة ، وكذلك تـأثـره بأسلـوب علي بـن أبي طالب كرم الله وجهـه فـي عنـــايته بتولـــد

---

1- البقـرة : 193 .

2- الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفـة الزائـر في تاريـخ الجزائر والأمير عبد القادر ، شرح وتعليق ، ممدوح حقي دار اليقظة العربية بيروت ، ط : 2 ، 1964 ، 236/1.

3- المصدر نفسه ، 236/1 .

المعانـي والصـيغ ، وحثه المجاهدين على الاستماتـة في الدفاع عـن الوطـن، وترغبا منه في إحدى الحسنيين: وهي إما النصر أو الشهادة فـي سبيل الله التـي ورد قوله تعالـى فيها : **{ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ }**[1]. وهي المرتبة التـي يتحصل عليها الشهيد عند ربـه سبحانه وتعالـى إذا رزق بالإستشهاد أثنـاء الدفاع عن وطنه ودينه ، وأبلى في ذلك البـلاء الحسن ، ونال الشهادة . وأما إذا انتصر وبقي حيـا فإنه ينـال سعادة الانـتصار مع العزة والشرف العظيم فـي وسط قومه ووطنـه .

تلك هي طريقـة الأمير عبد القادر في دعوته التي يجيـز فيها ولا يكثـر من الأسجاع المكلفة ولا يطنب ليخفف عن السامع الملل بخلاف عمه أبي طالب في خطبه فهو " يكثر من الإطنـاب ويعنى بتفصيل الأحداث ويوازن بين السجع والإرسال في سلامة ظاهرة ... لأنه أراد أن يقنع قـادة الجيـوش الجزائرية ويقنــع الناس أيضا بالهدنة مع الفرنسيين ، فكان يعيد إلى الأذهان هذا الموقــف أو ذاك فيتحدث عن الأوضـاع التي كانت عليهـا البـــلاد وما حدث فيها بعـد الاحتلال "[2]، من اضطراب ومـا تفشى فيها مـن أمراض اجتماعية مستغلا في ذلك العاطفة الدينية، ويرسخ دعوته في نفوسهم فيقول : "قد علمتم أيـها السادة أنه لما تكاثرت المظالم وتواطأ العمال ومن وافقهـم على إرتكاب المآثم ، انتقم الرب تعالى منهم ، وعمنا ذلك معهم قال تعالـى:

---

1- آل عمران : 169 .

2- عبد الله الركيبـى ، تطور النثـر الجزائري الحديث ، ص15 .

{ **وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** }[1].

فسلط الله علينا عدو ديننا ، فتكالب على بلادنا واستولى على مراسينا واستبدل مساجدنا فيها بالكنائس ، وأخلاها من المدرس والدارس " [2].

فهذه الخطبة واضحة الدلالة وذلك لأن أبا طالب وهو عم الأمير عبد القادر متأثر بالثقافة الدينية - وبخاصة القرآن الكريم - التي تظهر في استعمالاته اللفظية والتعبيرية واستشهاداته مثل الآية السابقة : { **وَاتَّقُواْ فِتْنَةً ...**}. التحذيرية الموجهة للذين يتجاوزون حقوقهم إلى حقوق الغير منتهكين كل الحدود الأخلاقية فيجازيهم المولى جلت قدرته بالسيئة أكثر من أختها كما هو واضح من هذا التصوير الوارد في هذه الخطبة ، مثل : التسلط والتكالب على البلاد ، وإخلاء المدارس من الدارسين وغيرها من الأشكال التي تعرض لها عم الأمير، وهي خطبة طويلة إقتطفنا منها ذلك ، لإبراز الصورة التي تعلق بها ومدى تأثره بالقرآن الكريم.

أما ما صارت إليه الأمور بعد هذه الفترة التي أعقبت نظال الأمير عبد القادر ونفيه خارج الوطن ، فقد تقهقرت الحياة الثقافية والأدبية ، جراء الأحداث السياسية والفكرية التي سيطر الاستعمار على مجرياتها ، سواء ما تعلق منها بأسلوب الخطابة ، أوغيرها من الفنون
الأدبية والنثرية ، وانحصرت الخطابة ، في المساجد والزوايا ، مقلدة كما كانت عليه في عصور

---

1-- الأنفال : 25.

2- الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، 274/1 .

الإنحطـاط ، إلى أن قـدم عليها عصر الإصـلاح ، فأعـاد فيهـا الـروح من جديـد، وأزاح عنهـا غبار التقهـقر والانـطـواء والتـخـلف ، وذلك سعيـا من حـركة الإصلاح لإعـادة إثبـات الشخصية الجزائرية ، وبنائها على مقوماتها الأساسية التي حاول الاستعمار الفرنسي بكل ما في وسعه تدميرها ، وهنايعـود الفضل لله الذي هيأ نخبـة من جماعة الإصلاح التي أنـارت طريـق الحق والهادية إلـى سبيل الرشـاد .

ومن ضمن هؤلاء الخطباء الذين سلكوا سبيل الإصلاح ، وكان لهم الفضل في إحياء فن الخطابة نذكـر منهم ابن باديس الذي كان من الزعماء الأوائل ، الذين كان لهم السبق في الدعوة إلى الفكرة الإصلاحية في خطبه ، سواء ما تعلق منها بما قاله ارتجـالا أو ما سجل منها [1] وهو لا يتميز بالتركيز " على غرض واحد بل نجده حينا يرتكز على الدين وحينا على الإصلاح والاجتماع ، وأحيانا أخرى على السياسة والإصلاح معا، وعلى التربيـة والأخـلاق في أوقات كثيرة "[2]. وابن باديس في خطبه يسلك الأسلوب البسيط المفهوم لدى الخاص والعام لذلك نجده يتجنب التكلف ، من أجل ابراز قوته على القول ، وإنما يعتمد على طريقة تبليغ أهدافه الإصلاحية والوطنية.

وعند الشروع في الخطبة ، يستهلها بالبسملة ، والحمد لله والصلاة والسلام على خير المرسلين عليه الصلاة والسلام ، وخير دليل على ذلك خطابه الذي ألقاه فـي الاجتماع السنـوي

---

1- عبد الله الركيبـى ، تطور النثـر الجزائري الحديث ، ص22.

2- المرجع نفسه ، ص22-23.

العام ، الذي يحمل أفكار عميقة ، تحدث فيه عن نشاط الجمعية وأهدافها ، وما يتعرضون إليه من خصوم الجمعية وأعدائها . وفي تعرضه لأولئك الأعداء [1]. يقول : " فأما الذين استغربوها فهم طائفة من السذج يقيسون الحقيقة الإنسانية بوجودهم ويقيمون التاريخ الإنساني بأعمارهم ويقيسون الاجتماع الإنساني ببيت يجمع زوجا وزوجة وأولاد يفرقهم الصباح للكد على القوت ويجمعهم المساء للنوم تحت السقف ، فأي نقطة في الحياة عند هؤلاء تحتاج إلى مظاهر الحشد والاجتماع وضم رأي لرأي ، وبهذا المقياس يقيسون الدين فهو عندهم اسم متعارف بين المسلمين وصلاة مفروضة تؤدى أو لا تؤدى ، وانتساب إلى الإسلام تجري مجرى القانونيات في زمننا هذا ، والاعتقاد بجنة ونار ، ومن وسائلهم الأمل ولو بلا عمل ، كانت نقطة في الدين تحتاج إلى شئ إسمه جمعية العلماء المسلمين"[2]. وهكذا كان ابن باديس يستعرض تلك الطائفة من أولئك السذج الحاقدين على الجمعية وأعضائها الذين لا يفكرون في كيفية الوصول إلى الغد الأفضل ، غد الحرية الذي ينشده أعضاء الجمعية .

إن رجال الإصلاح في خطبهم كثيرا ما يعتمدون على الأفكار الإصلاحية ، لأنها الأساس الذي يمهد السبيل إلى الأفكار الأخرى . كما أن ا بن باد يس لم يترك شاردة ولا واردة ، و كانت في صالح الشعب الجزائري إلا تطرق إليها، ومن ضمن ذلك فكرة العروبة التي أخذت حيزا في خطبة له عند تعرضه لحالة الجمعية الأدبية ، مفتتحا إياها بالحمد لله

---

1- عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث ، ص 23.

2- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، ط : 2 ، 1983 ، 527/1.

ثم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما هي العادة في كثير من خطبه ، ثم توجـه فيها بالتحية إلى الحاضرين قائـــلا : "...أما بعد فحياكم الله أبنــاء العروبــة والإسلام وأنصار العلـم والفضيلة ، حوربت فيكم العروبـــة حتى ظُنَ أن قد مات منكم عرقــها ، ومسخ فيكم نطقها فجئــتم بعد قـرن تصدح بلابلكم بأشعارها فتثير الشعـور والمشاعر وتهدر خطباؤكم بشقاشقها فتدك الحصون والمعاقل ويهز كتابكم أقلامها فتصيب الكلى والمفاصل " [1].

وفـي هذا ما ينم على أن ابن باديس يسعى دائما إلـى إحياء مثل هذه الأفكار البناءة من أجل الحفاظ على الذاكرة التاريخية ، مركزا فـي ذلك على بعض المفردات المقتبسة من الذكر الحكيم في قوله تعالى : { **وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً**}[2]. ومعنى ذلك أن الأرض والجبال رفعت من مكانتها ، فوقع الضرب ببعضها البعض إلى أن تحطمت وأصبحت عبارة عن لا شئ [3] ، وهو ما يعنيـه ابن باديس فـي عبارة "دك" التـي حاول فيها أن يصف ما قامت به جماعة الإصلاح على غرار ما جاءت بـه هذه الآية الكريمة فـي إزالة كل مـا حاول أعداء الوطن إحلالــه محل ثقافتهـم الأصلية كالفرنســة والتغريب .

هكذا لا يكاد أسلوب ابن باديس يخلو من خصائص الرمز في أثناء حديثه عن العقبات التـي تعترض سبيل الجمعية ، عند مواجهة أعضائـها للاستعمار ومن سار على دربه من أعوانـه

---

1- ابن باديس ، حياته وأثره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 555/3.

2- الحاقة : 14.

3- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، دار الصابوني ، ط :9 ، د-ت ، 436/3.

ومع ذلك فهو في قوله يهدد ويعلن أن الأمر يتطلب العمل من أجل تغير الواقع قائلا : "وما حيلة من يسلك سبيلا فتعترضه الصخور حتى لا يجد عنها محيدا ، وأن الضرورة تقضي عليه أن يجهد في نزعها وإماطتها ثم لا يكون جهده في ذلك كتماديه في السير"[1].

ومعنى ذلك أن ابن باديس في استعماله للرمز في خطبه لا يبقى مستمرا على ذلك النهج بل يكشف عن غرضه في بعض تصريحاته بكل وضوح ، فيما يدعو إليه من تأمل الواقع المزري للشعب الجزائري الذي تسبب فيه الاستعمار الفرنسي .

وبهذا القدر القليل جدا من الإنتاج الضخم في المجال الخطابي الكثير المتنوع ، يتضح أن أسلوب ابن باديس " يمتاز بالوضوح والدقة واختيار الألفاظ وتفصيل القول ... ، فهو لا يعمد إلى الفكاهة أو النكتة أو السخرية اللاذعة ، لأن شخصيته لا تميل إلى مثل هذا الأسلوب ، وإنما تميل إلى الجد والرزانة والهدوء في التعبير ، والقصد في القول ، والهجوم على الموضوع بلا تزويق أو تنميق أو بهرجة لفظية ، فهو من خطباء المعاني لا الألفاظ "[2].

وخلاصة القول بالنسبة لمهمة ابن باديس الطويلة والشاقة ، أنه استطاع برباطة جأشه ورجاحة عقله ، وتفكيره النير ، أن يكون الزعيم الأمثل والمحنك الهادى إلى سبيل الرشاد والرائد في مجال الخطابة. التي " استندت على التراث العربي القديم وتأثرت بالأساليب

1- ابن باديس ، حياته وأثره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 526/3.
2- عبد الله الركيبي ، النثر الجزائري الحديث ، ص26.

العريقة فيه حيث استخدم أصحابها السجع أحيانا واستشهدوا بالقرآن أو الحديث أو الشعر. إلا أنها اختلفت من حيث المحتوى والموضوع من جهة ، وتحررت من الزخرف اللفظي ومالت إلى الوضوح والبيان العربي الأصيل من جهة أخرى ، فأعادت بذلك للأسلوب العربي مكانته في الأدب الجزائري"[1].

هكذا استطاع رجال الإصلاح أن يبلغوا أفكارهم التحررية إلى الشعب الجزائري عن طريق الخطابة ، الشفوية والكتابية وغيرها من وسائل التبليغ المتنوعة ، ويتعاونون في شتى المجالات ذات العلاقة الوطيدة بالقضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية، ومن ضمن القائمين بهذا الدور الهام محمد البشير الإبراهيمي [2] ، الذي يأتي في مقدمة الخطباء البلغاء " ذلك أن الحقل الذي يتحرك داخله ، يقتضي منه بالضرورة أن يلبي الحاجة التي تستدعيها فكرة الإصلاح . وإن كان الإبراهيمي أديبا أكثر منه مصلحا "[3]. ويرجع السبب في هذا إلى تكوينه الثقافي المستمد من التراث العربي الإسلامي الذي مكنه من ناصية القول واستيعاب البيان العربي ، والتبحر في اللغة العربية وآدابها ، والقدرة على توليد الكلام والموهبة الأدبية وعرف الارتجال "[4].

---

1- عبد الله الركيبي ، النثر الجزائري الحديث ، ص33.

2- محمد البشير الإبراهيمي ولد بشرق الجزائر 1889، وهاجر مبكرا إلى الحجاز ومنها إلى سوريا . ثم عاد إلى الجزائر ليشارك في الحركة الإصلاحية ، وترأس "جمعية العلماء " . بعد وفاة ابن باديس اشتغل بالصحافة والخطابة والتدريس وتولى رئاسة تحرير (البصائر) وتوفي 1965.

3- محمد عباس ، البشير الإبراهيمي أديبا ، ديوان المطبوعات الجامعية بوهران ، د-ت ، ص187.

4- عبد الله الركيبي ، تطوير النثر الجزائري الحديث ، ص27.

ولمزيد من التوضيح نعقدُ مقارنة بين هذين المصلحين فيما يخص أسلوبهما الخطابي الذي نلمس فيهما اختلافا واضحا ، لأن لكل منهما أسلوبه الذي يعود إلى تكوينه الخاص ومصدر ذلك هو " أن الثقافة قد لعبت دورا في ميل ابن باديس إلى الفكر الواضح والمنطق الذي يسبغ على كتابته منهجية معينة ، وهي ثقافة دينية بالدرجة الأولى بينما ثقافة الإبراهيمي لغوية أدبية وإن تشبع بالعلوم الدينية وأهدافها وبالفكر الإصلاحي ومبادئه "[1].

ومع ذلك نجد أن الإبراهيمي مزج بين أن يكون رجلا مصلحا وأديبا ، وهو ما نلمسه في خطبه وكتاباته التي استمدها من حياته الثقافية .

والصفة الغالبة على خطب الإبراهيمي هي الارتجال نتيجة لعدم إستقراره وكثرة حله وترحاله ، الذى كان حائلا بينه وبين تحضير لهذه الخطب التي ضاع منها الكثير نتيجة عدم تدوينها . وأحسن دليل على ذلك خطبته التي ألقاها ارتجالا بمناسبة اختتام تفسير القرآن الكريم لابن باديس ، ففي حفل تكريم ابن باديس في كلية الشعب ، حيث ألح عليه جماعة من السامعين المعجبين به " أن يكتب ما علق بذاكرته من ألفاظها، ويضيف إليها بقلمه ما يربط بين معانيها حرصا على تخليدها "[2]. وتتجلى فيها عظمة الإبراهيمي وذلك باختياره العبارة المناسبة للموقف ، وقدرته على الإرتجال ، واستعماله للسجع قصدا منه أو عن غير قصد وهو يهدف من ذلك إلى إحساس المخاطب باللذة الفنية ، كما يلاحظ عليه أنه متعلق

---

1- الدكتور عبد الله الركيبى ، تطوير النثر الجزائري الحديث ، ص 28 .

2- محمد البشير الإبراهيمي ، أثار الإبراهيمي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، ط : 1، 1978 ، 249/1 .

"بالصورة البيانية واحتفاله بالألفاظ القوية الجزلة "[1]. ففي مخاطبته للجمهور الحاضر قال : " ما أشرقت شمس في الجزائر الحديثة على مثل يومكم بالأمس مضى بجلاله وروعته ولم ينطق في وصفه لسان بكلمة ولا اختلجت من نعته شفتان بحرف لا زهدا فيه ولا عدم عرفان لحقه ، ولا غبنا لحقيقته ... وإنما هو كلام الله وبيت الله عقد الألسنة بجلالها وحبسا النفوس على جمالها "[2].

وللإبراهيمي العديد من الخطب في مناسبات عدة منها ما ألقاه في الاجتماعات السنوية للجمعية أو في أماكن أخرى من أنحاء الوطن عند فتح المدارس ، وبناء المساجد بأموال المواطنين الخاصة ، كما أن له خطبا كثيرة ألقاها فى أثناء رحلاته داخل الوطن وخارجه .وحين يتعرض فى خطبه للغة العربية ، يشعر السامع بأنه من الذين يتوفرون على مخزون أدبي ولغوي ضخم ، ساعده على التصرف في العبارات ، وتوليد الكلمات [3]وهو ما نجده مثلا في قوله : " ولقد علمتنا لغة العرب فنًا في مصاص الأشياء فقَّهنا منه أن من النساء عقائل وأن في الأموال كرائم وأن في الجواهر فرائد وأن من النجوم درارى وأن في الشعر عيونا وأن في الذخائر أعلاقا إلى آخر ما يجري على هذا النسق"[4].

وهكذا يستمر في إبراز البعد التاريخي لأصالة اللغة العربية ، في ماضيها السحيق

---

1- عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث ، ص30 .

2- محمد البشير الإ براهيمي ، أثار الإبراهيمي ، 249/1.

3- عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث ، ص30 .

4- محمد البشير الإبراهيمي ، أثار الإبراهيمي ، 250/1 .

وبين ما آلت إليه من الضعف والجمود ، والقصور في تأدية مهمة التواصل الثقافي ، وغيرها من العلاقات ذات المدلول الاجتماعي ، إلا أن الفضل في الحفاظ على هذه اللغة يرجع إلى القرآن الكريم الذي خلدها " بفضل مجهودات المصلحين وخاصة الشيخ " باديس" الذي كان له الفضل في بعث الثقافة العربية وفي تفسير القرآن تفسيرا سلفيا جديدا يتلاءم مع جوهر العقيدة مع الحياة وتطورها "[1].

مما سبق ذكره نستنتج أن الخطابة كانت من الأنواع الأدبية التي لعبت دورا هاما في العديد من القضايا ، وانعكس ذلك على نمو اللغة العربية ، وتطورها، وخاصة في مجال تبليغ الدعوة التحررية التي تولى الشعب حملها وضحى من أجلها.

---

1- عبد الله ركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث ، ص30 .

**1-2- الرسائــل :**

بعد تعرضنا لفن الخطابة التــي هي فن من الفنون النثرية الأدبية ، ننتقل إلــى نوع آخر كان رائجا فــي الأوساط الثقافية ، والذي تناوله رجال الإصلاح ، ألا وهو الرسائل التي ساهمت فــي خدمة الأدب الجزائـري الحديث فــي فترات كانت بأمس الحاجة إليها من أجل لعب دور لا يخلو من الأهمية . فمنذ أن عرف هذا الفن فــي عصر التدوين ، بعد اتساع رقعة الخلافة الإسلامية ، الذي ساعد على نقل أوامر الخلفاء وتبليغها للعمال والولاة لتنفيذ ما ورد فيها من إصلاح وتوجيه لرعاية الأمة وتطويرها . ومن هذا المنطلق ، بدأ الإهتمام بهذا النوع من الفن الأدبي ، الذي حاول الكاتب فيه أن يصبح " أسلوبه جميلا مؤثرا متماسكا في صيغته ومحتواه بحيث تبرز فيه شخصيته وأصالته وطريقته الخاصة فــي التعبير "[1].

وهو ما انجر عنه تميزُ كتابة الرسائل ببعض المميزات : " الملاءمة بين الموضوع والأسلوب والعناية بالصياغة وبالسجع بوجه خاص ، ومراعاة الفواصل بهدف إحداث المتعة الأدبية أو إظهار البراعة اللفظية "[2].

ويمكن استعراض نمـوذج من الرسائل التي كتبها الإبراهيمي في أثناء تواجده بمصر ، وأرسل بها إلى إخوانه من رجال الإصلاح في الجزائر تحت عنوان :"تحية غائب كالآيب..." يقول فيها : "حي الجزائـرعني ياصبَا... واحمـل إليهـا منــي سلامـا تبــاري لطافتـه لطافَتك ونُســاري

---

1- عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث ، ص 34.

2- المرجع نفسه ، ص 34.

إطافتُه إطافَتك ، فقديما حمَّلك الكرام الأوفياء مثل هذه التحية إلى من يكرُم عليهم أو ما يكرم عليهم ، فحملتها َروْحا ، وأدَّيتها بوحا ، وأعلنتها شذى وَفوْحا وكنت بريد الأرواح إلى الأرواح ، بألفاظ غير مكتوبة ، ومعان غير مكذوبة ، وقديما أفضى إليك الشعراء بشجونهم وائتمنوك على جيدهم ومجُونهم ، فأحتملت غثا وسمينا ، وكنتَ على الأسرار أمينا فكأنك كنت لهم محطة إرسال وإستقبال معا ، يحملونك الرسائل تخيلا ويتلقون أجوبتها إحساسا وما عرف واش ولا شعُر رقيب ؛ ... "[1].

بهذه التحية افتتح الكاتب هذه الرسالة العاطفية ، المزودة بالحنان والشوق ، المحملة بالقيم التعبيرية ذات الألفاظ الموحية ، والتي تعبر عما يلاقيه في غربته ، ويتمنى رجوعه إلى وطنه قريبا ، ثم راح يرسل التحية مرة أخرى للجزائر التي ولد ونشأ وترعرع فيها ولها من الفضل الأكبر ، والأيادي البيضاء ، في الأخذ بيده في مجال التكوين والاطلاع على كثير من المعارف المكونة لشخصيته ، كنشأته على حب العروبة والإسلام ، وتعلمه للغة العربية التي وسعت وحي الله ، وكل ذلك نلمسه في الفقرة التالية من رسالته التي يقول فيها : " أد التحية عني للجزائر التي غذت وربت ، وأنبتت القوادم في الجناح ، وأسلفت الأيادي البيضاء وأسدت العوارف الغر ، وأشربت من الطفولة حب العروبة والإسلام وأخذت باليد إلى رياضهما ففتقت اللسان على أشرف لغة وسعت وحي الله ووحي العقول وفتحت القلب لأكمل دين جمع الروح والمادة ، ثم أورثت – فيما أورثت من مآثر العرب وفضائل الإسلام- أنفا حميا

1- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر ، 482/2.

وفـؤاد ذكيـا، ولسانا جريئا، وهمة بعيدة ،..."[1].

إن ما نلاحظه على الإبراهيمي أنه متشبع بلغة القرآن ومتأثر به تأثـرا بليغـا ، يبدو ذلك واضحا فـي هذا النـص .الذى يمكننا أن نشير على سبيل المثال إلـى لفظة وردت فيه وهي : "وسعت وحي الله " التي اقتبسها من قولـه تعالـى : {**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيٍ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** }[2] .
ومعنى ذلك " يا ربنا وسعت رحمتك وعلمك كل شيء ... ، وفـي وصف الله تعالى بالرحمة والعلم -وهو ثنــاء قبل الدعاء – تعليم العباد أدب السؤال والدعاء فهم يبدأون دعاءهم بأدب ويستمطرون إحسانه وفضله وإنعامه "[3].وأن رحمته سبحانه شاسعة وواسعة في العفو عن خطاياهم وأن علمه محيط بكل شيء من أعمال وأقوال ، وكذلك حركاتهم وسكناتهم [4] وغيرها مما يمت لذلك بصلة .

أما ما يخص النص من الناحية الأدبية ، فإنه لا يخلو من "عملية تماوج الأسلوب عند الأديب ، بيـن ارتباطــه بـالمحسنات اللفظيــة وبيـن تخلصه منهـا أحيانـا والهروب إلى الاسترسال
وإن كـان الأديـب يميل إلـى عملية التجميـل دائمـا بين فتــرة وفتــرة ، سـواء بالمحسنـات اللـفظية

---

1- المرجع السابق ، 483/2.

2- غافر : 7.

3- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، دار الصابوني القاهرة ، د-ت ، 95/3.

4- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط : 1 ، 2002 ، 2516/4 .

أو البيــانيـة "[1].

ومما لا شك فيه أن أسلوب الرسائل في العصر الحديث قد تطور ، وخاصة فـي ظل قيام الحركة الإصلاحية التـي أعطت دعما لفن النثر الحديث ، لاستعادة أصالته من ناحية اللغة والعبارة .

---

1- محمد عباس ، البشير الإبراهيمي أدبيا ، دار المطبوعات الجامعية وهران ، د-ت ، ص221.

# الفصل الأول

## استلهام معاني القرآن الكريم

**تمهيـد :**

لم يكن من الغرابـة بمكان أن نجـد للقـرآن الكريم دورًا فعـالاً في توجيـه قرائح الكتـاب والأدبـاء ، لما يمتـاز بـه من البيـان والسحر والجاذبيـة ، ولما يتضمنـه من معـان وأفكار ساميـة وتعاليم رشيـدة ، تفيـد الفرد وتوجهـه نحو النجاح والسؤدد ، وتجنبـه طريـق الشر . فالقرآن الكريم نـور يهدي إلى سبيـل الرشاد ، ويزيل غشـاوة الظـلام ، وهو علاج للمرض ، وفيـه شفـاء للمؤمنيـن الذين اتقوا ربهم ، واستقاموا على الطريقـة المثلى ، التي هدانـا الله إليها في كتابـه العزيـز ، يصفه محمد البشيـر الإبراهيمـي أحد رجال الإصلاح المتـأثريـن به قائـلا :

" فالقـرآن كـتاب يحمل في ثنـايـاه ديـن الله الكامل . وكل ما سبقـه من الكتب والصحف فهـي إرهاصات لـه وشارات بـه وإشارات إليه .ابتعث به نبيـه الأميـن محمد صلى الله عليـه وسلم لهذا العالم الإنساني كله ... هاديـا له إذا ضل . ومصححا لخطـاه إذا أخطـأ. ومخرجا له من ظلمـات الحيـرة إذا التبست عليه مناهج الحيـاة ... ومحررا له من أصناف العبوديـة الفكريـة والبدنيـة التي تـقلب فيها قرونـا . ومرشدا إيـاه إلى وسائـل الكمال التي كان يطلبهـا فلا يجدهـا " [1].

والقرآن الكريم هو الكتـاب المنـزل من الله ، الذي يتصف بالكمال ، وأن كل من إطلـع عليـه يكـتشف بسهـولـة تلك الإحاطـة الشاملـة لمـا سبـق ولمـا هـو آت . ولـذلـك نجـد أن الزاهـري أحد رجـال الإصـلاح المتـأثريـن بكتـاب الله يقـول : " أن القرآن الكريـم ، أيهـا السادة

1- محمدالبشير الإبراهيمي ، أثاره ، 224/1 .



وإن كان المنطـق الانساني يقصر عن وصفـه ، وعن الإحاطـة بكمالـه ، الذي لا يحد ولا ينتهـي فإن من يتدبر - ولو قليـلا - يعلم أنـه منـزل من الله ما فيـه من شك ، وأنـه ما يقدر عليـه من أحد غيـر الله " [1].

وفي كل ذلك نجد أنـه يدعو إلى تهذيب النفس وإلى نشر الفضيلـة واجتناب الرذيلـة والتمسك بالمثـل العليـا ، والأخـلاق الكريمـة .

ويتناول القرآن كذلك " إصلاح الإنسانيـة من ناحيـة التربية والتهذيب فيضع لهـا المثل الأعلى للفضيلة والخلـق الكريم ... حتى يصل بك – إذا أنت تخلقت بخلقـه – إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليـه أمرؤ من الكمال ... ولو أن هذه الإنسانية قد وُفِقَتْ إلى أن تتـربى بتربيـة القرآن ، وتتـأدب بآدابـه لاستراحت مما هي فيـه من إثم وفساد ، ومما تعانيـه من شرور وموبقـات " [2].

وللتوضيح أكثر، فإن هذا الكتاب الذي جاء لتهذيب الإنسـان من جميع النواحي الإنسانيـة لينـال رضى الله ، ويفــوز بنعيم السعادتيـن الدنيــوية والآخروية كما يصفـه ابن باديـس في قوله : " القرآن كـتاب الإنسان من جميـع نــواحي الإنسـانية وكـتاب الأكــوان بما فيهـا من نعيم وعبـر وكـتاب العمران بما يحتـاج إليه العمران مما يصلح أحـوال البشر وما يتصل بالبشر ، وكتـاب السعادتيـن الدنيويـة والأخرويـة " [3].

---

1- محمد السعيد الزاهري ، الإسلام في حاجة إلى دعايـة وتبشير ، دار الكتب الجزائر ، د.ت ، ص40 .

2- المصدر نفسه ، ص41 .

3- ابن باديس ، حياته وأثره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 3/225-226 .

ونتيجة للبرهان القوي الذي يمتاز به القرآن الكريم ، نلاحظ أن رجال الإصلاح لاينقطع تعاملهم مع القرآن الكريم ، بحثا عن الطرق التي تُزيل سبل التدهور والإنحطاط ، الذي تتخبط فيه تلك المجتمعات الإسلامية ، والتي تفرقت في الأرض شيعا وأحزابا ، حتى أصبحت لقمة سائغة للاستبداد والاستعباد كما هو الأمر في القطر الجزائري وغيره من الدول التي ترزخ تحت نير الاستعمار .

ومن أجل رفع الظلم والاستعباد رأى المصلحون ، أنه لا مفر من ذلك إلا بالعودة إلى المصدر الأساسي ، الذي هو حال إصلاح الإنسان ، ومن ذلك قول الإبراهيمي : " القرآن إصلاح شامل لنقائص البشرية الموروثة ، بل اجتثاث لتلك النقائص من أصولها . وبناء للحياة السعيدة التي لا يظلم فيها البشر ولا يهضم له حق على أساس من الحب والعدل والإحسان ... والقرآن هو الذي صلح عليه أول هذه الأمة وهو الذي لا يصلح آخرها إلا عليه .."[1].

لكل هذه التجليات ، والمعاني الواضحة ، والأدلة القوية التي يتحلى بها القرآن الكريم حاول رجال الإصلاح التعرض لبعض المعاني التي يتضمنها القرآن الكريم حسب الحالة الظرفية.وسنحاول في هذا الفصل من البحث التعرض إلى بعض المعاني التي تتطلبها طبيعة البحث ، المرتبطة بالقضايا الفكرية المتعددة المطروحة في نصوص هؤلاء المفكرين من رجال الإصلاح.

---

1- محمد البشير الإبراهيمي ، أثار الإبراهيمي ، 78/4 .

والجدير بالذكر أن القارئ المطلع على الكم الذي تزخر بها المعاني القرآنية في النثر الجزائري الحديث ، يلاحظ مدى تأثر كتاب تلك المرحلة بالقرآن الكريم ، والإرتواء من نبعه روحا ومعنى ، وهو الأمر الذي أدى بهم إلى توجيه مجتمعهم إلى الاهتداء بالقرآن الكريم الذي يحررهم من الاستعمار والاستبداد .

والسؤال المطروح في هذا المجال ، والذي يمكن الاجابة عليه من خلال ما تعرض إليه الكتاب والأدباء هو : ما هي القضايا والمعاني التي إهتم بها الكتاب والمصلحون؟ وهو ما يمكن التطرق إليه والإجابة عليه فيما يلي :

**1- الإيمان بالله :**

إن أول ارتباط يرتبط به الإنسان المؤمن مع خالقه هو ذلك الحبل المتين المسمى بالإيمان به ، ومعناه التصديق به [1]. الذي يشده نحوه للإطلاع على قدرة الخالق ، وأغوار أسراره العظيمة ، التي يستطيع الفرد من خلال اطلاعه عليها أن يتخذ لنفسه منهجا يسلكه من أجل تحقيق بعض الغايات والأهداف الدنيويه و الأخروية .

وفي هذا الصدد نجد القرآن الكريم ، يوضح أثر الإيمان وغايته في هذا الجزء من الآية الكريمة في قوله تعالى : { **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**}[2].وتعني هذه الآية أن المؤمنين بالله حقا يرشدهم

---

1- الجواهري ، الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت ، 1984 ، ط : 3 2071/5 .

2- يونس : 9.

ربهم إلى النهج القويم والعمل الصالح لارتباطهم بربهم ، الذي يفتح لهم أبواب الخير ، ويسدد خطاهم إلى بلوغ الهدف المنشود ، بوحي من إحساس الضمير وتقوى الله إلى طريق الجنة .

وعن توضيح معنى الإيمان وغايته التي يجب على المؤمن أن يمر بها ، ويتعرف على حقيقة أمره ، نسوق قول الحسن البصري في هذا الصدد: " ليس الإيمان بالتمني ، ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل " [1]. لذلك نجده في قول له في مجال الحديث عن الإيمان أيضا ، يبين الطريقة المثلى ، الواجب اتباعها ، ونبذ كل العيوب التي تؤثر في الإيمان الصحيح ، وعلى المرء الصالح أن يشرع أولا وقبل كل شيئ في إصلاح نفسه قبل إصلاح غيره حيث يقول : " لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتى لا يعيب الناس بعيب هو فيه ، ولا يأمر بإصلاح عيوبهم حتى يبدأ بإصلاح ذلك من نفسه فإنه إذا فعل ذلك لم يصلح عيبا إلا وجد في نفسه عيبا آخر ينبغي له أن يصلحه . فإذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره . وإنك ناظر إلى عملك بوزن خيره وشره ، فلا تحقرن شيئا من الخير وإن صغر فإنك إذا رأيته سرك مكانه ، ولا تحقرن شيئا من الشر وإن صغر فإنك إذا رأيته ساءك مكانه " [2].

وإذا ما حاولنا البحث عن تفرعات الايمان البالغة الأهمية نجد أن " الايمان نوعان : إيمان عقلي ، وإيمان قلبي ، والإيمان العقلي ، هو العقيدة الثابتة في النفس التي لا تتبدل

1- الجاحظ ، البيان والتبيين ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، د- ط ، د- ت ، 75/3 .
2- المصدر نفسه ، ص70.

ولا تتزعزع ، ولاحاجة إلى التدليل عليها ، لأنها من البديهيات بالنسبة إلى المؤمنين بها . فمن يؤمن بالله وحده عد من ذوي الايمان العقلي ، ومن يبذل دمه ويضحي بروحه في سبيل وطنه ويوقف نفسه لخدمته وسعادته ، فهو من ذوي الايمان القلبي ، والعقلي أعم من القلبي "[1].

لذلك نلاحظ أن الإيمان القوي المنبثق من أعماق النفس يتخطى الحواجز ويصنع المعجزات ، مثل ما هو واقع لدى تلك القلة القليلة من المؤمنين الأولين ، عندما تملكهم الإيمان الصادق ، صنعوا مجدا تاريخيا زاهرا ، ما زال يقتدي به على مر الأيام والعصور، ومن أجل ذلك وجه إلى التحلي بالإيمان .

" وقد أدرك قادة الأمم وزعماؤها ما للإيمان من قوة ، وفعالية وتأثيره في الأفراد والجماعات ، فنوهو به ، وأوصو بالتمسك به ، فقال الرئيس إزنهاور : " بغير الإيمان بالله والعودة إليه لا تستطيع أن تحيا حكومة أو شعب " ، وقال بتان عاهل فرنسا : " إنني أدعوكم قبل كل شيء إلى نهوض أخلاقي " ، وقال المارشال مونتجمري : " لا نستطيع أن ننتصر في معركة إلا إذا انتصرنا على أنفسنا "[2].

هذه بعض الإشراقات الإيمانية التي دعا إليها بعض العظماء ، وكبار الأمم ، نتيجة استخلاصهم للتجارب التي مروا بها ، أثناء قيامهم بأعمالهم القيادية للأمم .

---

1- محمد الصالح الصديق ، الدروب الحمر ، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، 1979 ، ص30 .

2- المرجع نفسه ، ص32 .

وعلى هذا السبيل ، ترد العديد من الآيات التي توجه إلى الإيمان الصادق ، الذي تستقر إليه النفوس البشرية ، والاستقرار إليه هو الإذعان " والتصديق المطلق الثابت بالقلب والإقرار باللسان ..."[1]. لذلك حاول الكتاب وزعماء الإصلاح في الجزائر نشر هذا النور الإلهي وبثه في ضمير الشعب الجزائري ، أثناء محاولة الاستعمار الفرنسي إطفاء هذا القبس الرباني وإزالة كل ما يمت إلى العقيدة الإسلامية ، وطمس الحياة العلمية والثقافية ، وإحلال الجهل محله ليسهل عليه قيادته واستعباده كيفما شاء .
فقيض الله ثلة من المجاهدين المؤمنين المخلصين لدينهم ووطنهم ، فراحوا يرفعون أصواتهم منددين بالظلم والعدوان ، ويكشفون عن نوايا الاستبداد ، حيث نجد ثلة من رجال الإصلاح الذين تركوا نثرا أدبيا خالدا ، ومن خلاله استطاعوا أن يدافعوا عن مقومات الأمة الجزائرية ، وأن يعيدوا لها ما حاول الاستعمار طمسه ، كما هو الأمر لدى محمد البشير الإبراهيمي الذى ورد عنه الحديث عن المستدمر قائلا: " وهو في هذا الوطن قد أدار قوانينه على نسخ الأحكام الإسلامية ، وعبث بحرمة المعابد وحارب الإيمان بالإلحاد ، والفضائل بحماية الرذائل ، والتعليم بإفشاء الأمية ، والبيان العربي بهذه البلبلة التي لا يستقيم معها تعبير ولا تفكير"[2] .
لقد أوضح لنا محمد البشير الإبراهيمي العديد من العناصر السلبية ، التي رغب الاستعمار أن يفرضها على الشعب الجزائري ، كمحاربة الإيمان بالإلحاد ، وغيرها من مقومات
الشخصية الجزائرية ، لذا نراه في نص آخر ينعت الاستعمار بالكفر والإلحاد ولا يرضخ

---

1- بكير بن سعد ، أضواء على الاخلاق الإسلامية ، دار البعث قسنطينة ، ط : 1 ، 1984 ، ص35 .
2- محمدالبشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 22/2.

إلا للقوة ، التـي يجب أن يتحلى بهـا الشعب الجزائري ، ألا وهي الإيمـان بحقه إذ يقـول : " إن الاستعمار لا يؤمـن بالله حتى نسأله الإنصاف لدينـه الحـق ، ولكنه يؤمـن بالقـوة فلنحـذره عواقب الاغتـرار ، فـإن هـذه الأمـة في مجموعها قوة ... بعددها ، و بالمعاني التي استيقظت فيهـا ، وبإيمانها بحقهـا ، وبتصميمها على استرجاعه ، فإذا تعامى على هذه القوات كـلها فـإن تقلبـات الدهر ستفتح عينيـه منها على ما يكـره ، وإن الله للظالميـن لبالمرصاد "[1] .

هكـذا يستمر الإبراهيمي فـي إبـراز الخصائـص التي يتصف بها هذا المعتـدي المغـرور باستخفافـه بـقـوة هـذه الأمـة المتمسكة بـقضيتهـا وحقـها فـي الدفـاع عنه ، مهما كان الثمـــن لأن الأمة إذا عقدت العـزم على شيء ما ، عليها أن يكـون كل مـؤمـن فيها كما يصفه الشيـــخ العربي التبسي في قولـه : " إن المؤمن يجب أن لا يكون خادعا ، ولا مخدوعا ، وإذا خدع مـرة
فيجب أن يكون له درسا ، فلا يخدع مرة أخرى "[2].

تلك هي صفـة الاستقامة والاعتدال التـي يجـب أن تتوفر فـي الأمـة الجزائريـة ، لكـي تستطيـع أن تقف على أقدامهـا وتدافـع عـن كيانهـا مـن تـلقـاء نفسها ، دون الانصياع إلـى غيـرها إذا دخـل الإيمـــان فـي قلوبهـم ، وهـو مـا يدعـوا إليـه محمـد السعيد الزاهـري بقولـه : " ولا يمكـن بحـال أن ننتظـر مــن المسلمـين عمــلا صالحــا ، ولا خلـقــا بـَرًّا شريـفــا ، مالـــم يــدخــل الإيمــان

---

1 - محمدالبشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 2/181-182.

2- العربي التبسي ، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر ، جمع وتعليق:شرفي أحمدالرفاعي، دار البعث للطباعـة والنشر قسنطينة الجزائر، ط : 1 ، 1981 ، 1/112 .

في قلوبهم حقا ، وما لم يتقوا هذا الإيمان فيهم ، حتى تطفح به أنفسهم هدى ونـورا وهنالك ينصرون الله وهنالك ينصرهم الله "[1]. وهو الوعد الحق ، بدليل قوله تعالى: {**وَ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**}[2].

إن الكاتب هنا أكد على الإيمـان الكامل ، الذي يجزي عنـه صاحبه بالمساندة والتأييد الكامل ، من قبل المولى جلت قدرته ، لأن ذلك وعده سبحانه وتعالى ، وقد صرح به في قولـه تعالى : { **وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** }[3].

" إن الله تعـالى ما شرع هذه الشعائر عبثـا إنمـا شرعها لحكم جليلة أعلاهـا جمع الأمـة على الدين ، لتجتمع في شؤونها الدنيوية ، وتوحيدها في عبـادة الله ، لتتربى على الاتحاد في مصالحها العامـة المشتركـة "[4].

لكن المستعمر حاول بشتـى أنواع الوسائل طمـس كل مقومات الشخصية الوطنية والدينية للمجتمـع الجزائري ، وخاصة الإيمــان بالله وحده ، وهـو مـا أكده عبد الحميد بـن باديـس فـي قولـه : " وَحـورب فيكم الإسلام حتى ظُـنَّ أَنْ قَـدْ طُمِسَـتْ أمــامكـم معالمـه وانتزعـت منكـم

1- محمد السعيد الزاهري ، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ، ص79-80.

2- الروم : 47 .

3- البقرة : 80 .

4-محمد البشير الإبراهيمى ، عيون البصائر ، ط :1 ،1981 ،12/2.

عقائده ومكارمه فجئتم بعد قرن ترفعون علم التوحيد وتنشرون من الإصلاح لواء التجديد وتدعون إلى الإسلام كما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - وكما يرضى الله ، لا كما حرفه الجاهلون وشوهه الدجالون ورضيه أعداؤه "[1].

من خلال هذا النص ، نلاحظ أن هناك صحوة إسلامية استطاعت أن توقظ الأمة الجزائرية من سباتها العميق الذي ما انفك ينخر قواها، لولا تلك الجماعة من المصلحين التي خصها الله لهذه الأمة ، لاستدراجها إلى سالف عهدها ، وإيمانها بوحدانية الخالق "وما يجب أن يثبت له من صفات وما يجوز أن يوصف به ، وما يجب أن ينتفي عنه "[2].

والتمسك بالتوحيد الصحيح الذي يعني اعتقاد أن الله واحد لا شريك له وهو العظيم الأعظم الذي تنبعث بوادر تلك الاعتقادات من أعماق النفس الطيبة . وقد ورد في الذكر الحكيم ، ما يشير إلى بعض الصفات الإلهية في قوله تعالى : { **هُوَ اَللَّهُ الذِي لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ اُلغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ اَلرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُون هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** "[3].

---

1- محمد الطاهر فضلاء، قال الشيخ الرئيس الإمام عبد الحميد بن باديس ، نشر مطبعة البعث ، الجزائر ، د- ط د- ت ، ص :162 .

2- محمد عبده ، رسالة التوحيد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د- ت ، ص7.

3- سورة الحشر : 22-24 .

لقد عبـر المولـى جلت قدرتـه أنـه هو وحده الواحد الأحـد لا إله غيـره وأنه رب العرش العظيم ، وأنـه يمتـاز بصفات متعددة ، ومتميزة عن مخلوقاتـه ، ولـه الأسماء الحسنى ، حيث نجد هذه التعبيـرات والأوصـاف ، قد وردت فـي تصريحات رجال العلم المصلحيـن الذين تشبعـوا مـن مناهل القرآن الكريـم ، والسنة النبويـة الشريفـة التـي برزت بشكل صريح فـي تراثهم النثري وغيـره ، فكان ذلك شعلـة متقـدة لشحذ همم الجزائرييـن الذين كانو شغوفـين بتلك الحركة الفكرية الأدبية والدينية . فهـاهو عبد الحميد ابن باديـس يشكـر الله تعالـى ويثني عليه ويصفـه بعـدة صفات من أسمائه الحسنى كالوحدانية والربوبية والألوهية ، وأنـه المنشـئ الأول والآخـر للخلق ، فكان ذلك رحمة واسعة منه حيـث يقـول : " الحمـد لله الواحد الأحد في ربوبيته وألوهيته ، مبتدئ الخلق برحمته الداعي إليه بنعمته وحجته ، شرع الشرائع بالحكمة والعدل لسعادة الإنسان ، وأودعها أسـرارا وفوائـد يعظم منها النفـع ويـزداد بـها الإيمـان " [1].

فالكاتب هنا استوحى هذه الدعوة ، وتلك الفكرة من القرآن الكريم مثل سورة الإخلاص وهـو مـا جـاء في قولـه تعـالـى : { **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** } [2].

فهذه السـورة التـي أحدثت إحساسا وشعورا عميقـا في نفس الكاتب ، جعلته يعبـر تعبيـرا صادقا ، على خصوصية الله بالوحدانية ، وانفـراده بالربوبية والألوهية ، ووحدانية المولى جل شأنه باقيـة غيـر زائلة ، ويمتـاز بالقدرة ، والكفاءة التي ليس كمثلها شيء .

---

1- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 529/3 .
2- الإخلاص : 1- 4 .

وأما عن وصفه الله بالربوبية ويعني بها في هذا المقام الرب سبحانه وتعالى فقد استلهمه من قوله تعالى : {**إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** } [1]. وكذلك قوله تعالى : { **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** }[2].

كذلك كلمة الألوهية ، فهي وصف للرب خالق الخلق ومبدع الرزق ، الذي استمده الكاتب من قوله تعالى : { **اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** }[3]. وكذلك قوله تعالى : { **إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا**}[4].

الشيىء نفسه نجده عند الفتى الناضج ، رمضان حمود ، المتشبع بظاهرة الإيمان بالله ووحدانيته ، والتمسك بدينه الحنيف عندما يوازن بين المؤمنين بالله ، فيذكر أن " كثير من يشعر بكماله وقوته "[5].

---

1- آل عمران : 51 ، سورة الزخرف : 64 .
2- - الأعراف : 33.
3- البقرة : 255.
4- طه : 98
5- محمد ناصر ، رمضان حمود ، حياته وأثره ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط : 2 ، 1985 ص267 .

فهؤلاء القوم المؤمنون الموحدون لله ، قليل منهم من يحس ، ويصور من خلال ذلك الإحساس ، وصف الله بالكمال والقوة والعظمة الإلهية التي لا تضاهيها قوة ، في الحياة الدنيا ، لأن الله منزه عن النقص الذي يتصف به الخلق. فيجب أن نتعظ بالله وأن نهتدي بهديه لأنه " رزقنا القوة في قلوبنا وعقولنا وأرواحنا وأبداننا ، وأشعرنا الرحمة بأنفسنا وببعضنا وبغيرنا ، إنه القوي المتين ، الرحمن الرحيم " [1].

هكذا نجد في هذين النصين لهذين الكاتبين الذين تعرضا لصفة القوة ، المستمدة من قوله تعالى : { **اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ** } [2]. وكذلك قوله تعالى : { **فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ** } [3].

تلك هي الصفة التي عبر عنها الكاتبان رمضان حمود وابن باديس معا ، لأن كل واحد منهما ينفرد بخصوصيته من الصفات . فرمضان يذكر صفة الكمال ، وابن باديس يعرض صفتين لم يتعرض لهما رمضان حمود ، وهما صفة الرحمن والرحيم ، المقتبستان من قوله تعالى : {**وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** } [4].

---

1-- ابن باديس ، حياته وأثره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 515/3 .
2- الشورى : 19.
3- هود : 66 .
4- البقرة : 163 .

فهما صفتا الرحمة والمغفرة والعطف والعفو ، والرفق بعباد الله الذين يمتثلون لأوامر خالقهم ونواهيه .

وقد تكررت كلمة الرحمة أربع مرات في موطن واحد ولم يقل لنا " القهار الجبار " مع أنه عز وجل قهار جبار. كل ذلك لنستشعر سعة رحمة الله بخلقه ، فإذا كان رب الناس الذي هو المالك لهم يعامل عباده بمقتضى هذه الرحمة التي وسعت كل شيء فأحرى أن يتخلق عباده بأخلاقه وتظهر عليهم آثار هذه الأخلاق في معاملة بعضهم ببعض "[1].

هكذا ، نجد الكاتب قد ساق هذا التوجيه في التربية الأخلاقية مقتبسا ذلك من قوله تعالى : { **الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**}[2]. وكذلك ما ورد من السنة النبوية الشريفة حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { **مَنْ لاَ يرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ**}[3].

أما عن الصفات التي وردت في النص السابق لابن باديس ، فهي صفة " القهار الجبار " فالقهار يعني أن الله قاهر لكل معتد آثم عات من خلقه ، ويوقفه عند حده ، وقد استند الكاتب على هذه الصفة التي استخلصها من قوله تعالى :{ **لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاء سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** }[4] ، ومعنى ذلك

1- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 338/4 .
2- الفاتحة : 2، 3.
3- عز الدين بليق ، منهاج الصالحين ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ط: 3 ، 1984 ، ص251 .
4- الزمر: 4.

أن الله وصف نفسه بالوحدانية ، نفيا لاتخاذ الولد ، ثم وصف نفسه بالقهار ليدل دلالة واضحة على نفي الشركاء والندية له ؛ لأن كل شيىء مقهور تحت إرادته [1] وكذلك قولــه تعالـى : { **قُلْ إِنَّمَا أَنَــا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** } [2].

وثاني آيـة ، معناهـا أمر مـن الله لنبيـه الذي يدعـوه إلى توحيده دون الإشراك به ، لأن الإشراك بـه ظلم واعتداء صارخ ، وللتوضيح أكثر فمعنى القهار هو تبليغ الإشعار بالترهيب والتخويف [3]. لينصع كل طاغ وجاهل ، ويهتدي إلـى معرفـة الله عن قرب . ويعود إلى الطريق السوي .

أما عن الصفة الثانيـة التـي تعرض لها الكاتب فـي النـص السابـق فهي صفة الجبـار التـي هي " مـن أسماء الله تعـالى ، وهو العالـي العظيم " [4] ، استوحاها الكاتب من قوله تعـالى : { **هُوَ اللَّهُ الذِي لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ اَلْمَلِكُ اَلْقُـدُّوسُ السَّلاَمُ اَلْمُـومِنُ اَلْمُهَيْمِنُ الْعَـزِيـزُ الْجَبَّـارُ اَلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَـانَ اللَّـهُ عَمَّا يُشْرِكُـونَ** } [5]. ففي هذه الآيـة الكريمة نجدها تضمنت عـدة صفات للمولـى جلت قدرتــه .

---

1- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص 70.

2- ص : 65.

3- محمد علي الصابوني ،صفوة التفاسير ، 64/3.

4- محمد إسماعيل ابراهيم ، معجم ألفاظ القرآن الكــريم ، الهيئة المصريــة العامة للتأليف والنشر ، ط : 2 ، 1970 189/2 .

5- الحشر : 23.

هذا من جانب ومن جانب آخر نجد أن الكاتب يحـاول لفت نظر الإنسان البائس الفقير إلـى التحلي بالتأني والصبر ، ويعلم أن الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون ، وأنه مغير الأحوال وأنه يمهل ولا يهمل ، وسيجازي كل على حسب ما قدم ، إن شرا فشر وإن خيرا فخير فيصرح الكاتب فيقول : " صبرا أيها البائس المسكين فعين الله لا تنـام ، والدهر لا يدوم على حـال ومهلا أيهـا الغني البخيل ، فربك لا تخفى عنه خافية وأنـه عزيـــز ذو انتقـام "[1].

ففي هذا النص البسيط الواضح الدلالة يشير فيه إلـى تهدئـة البائس ، وإسكان روعه ويأمره أن يعتمد على الله وحده.

وهذا التوجيه الرباني لا يصدر هكذا عفويا ، إنما نتيجته تعود إلى أن صاحبها متشبع من دراسته الدينيـة وخاصة القرآن الكريم والسنـة النبويـة الشريفـة . ونستشف ذلك ، من استعراضـه لصفات الله سبحانه وتعالى ، التي تأثر بها رمضان حمود في قوله تعـالى : {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**} [2]. فمعنـى هذه الآيـة التـي استعرض الكاتب فـيهـا صفتيـن من صفـات المـولـى جـل شأنـه وهي : " عزيز ذو انتقـام " أنه سبحانه وتعالـى صاحب العـزة ، ورفيـع الشأن ، كمـا أنـه لا يتوانى فـي الإنتقـام

---

1- محمد نـاصر ، رمضان حمود حياته وأثره ، ص291 .

2- المائدة : 95.

السريـع من المسـيء ، الذي لا يتفكر في ملكوت السماوات والأرض ، ويضرب بكل الأوامر والنواهي الإلهيـة عرض الحائط .

هكذا نلاحـظ أن هناك كتابا تمسكوا بالايمـان بالله وحده ، ودعوا إلى متابعة هذا السلوك الأخلاقي والديـني القويم ، نتيجـة اطلاعهم العميق على التراث الإسلامي الراقي وأعنـي ، بذلك أولئك الكتاب المصلحين الذيـن تركوا لنا نتاجـا أدبيا لا يستهان به ، سواء تعلق الأمر بالناحية الروحية أو العاطفية المتأثـرة بـالديـن الإسلامي الحنيف ، أو بالناحية النفسيـة التربـوية المحضـة ، فـي اقتفـاء سلوك الرسول وأثره ، لأنه لعلى خلق عظيم ، وإيمان صادق لذلك نادى هؤلاء إلى السبيل الذي يجب أن يخضعوا له ويقتنعوا بـه ، وهو الإخلاص لله الواحد القهار ، الذي لا إله إلا هـو الرحمن الرحيـم .

## 2- اليـوم الآخـر:

الإيمـان باليـوم الآخـر ؛ من الموضوعات التـي تقترن بالأشيـاء الغيبية ، مثل الإرتباط بالإيمان بالله لقولـه تعـالـى :{ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ.)** [1] ، يـدل هذا على الأهتمـام البالــغ بهـذا اليــوم العظيـم الــذي لا يقـل أهميـة عـن الإيمان بالله ، حيث أننا نجد الله سبحانـه وتعالـى يكـرر هذا الأرتبـاط بـه في موضـوع آخـر فيقـول الله تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُـونَ بِاللّهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** } [2] .

ويكثـر تردد هذه التسميـة فـي القرآن الكريم بأسمـاء متعددة منها يـوم البعث ، والنشور والـقيامة ، والساعة ، والديـن ، والحساب ، والجمع والتغـابـن ، والقـارعة ، والطـامة الكبـرى والآزفـة والحشر ، والنبـأ العظيـم .

إن الألـفــاظ المعــبر عنهــا فــي الـقرآن الكريـم عـــن يــوم الآخـر ترتبـط بالثــواب والعقـاب

---

1- البقرة : 177.

2- النساء: 59.

الذي هو جزاء المحسن على إحسانه ، والمسيء على إساءته ، وعلى الإنسان أن يعمل وأن يجد في عمله بإخلاص ليفوز بالدارين ، دار الدنيا ودار الآخرة ، كما ورد في قوله تعالى : { **أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** } [1] .

ومن سلك هذا السبيل فإنه :" أقام الدين فاستقامت له الدنيا ، وانقاد إلى الله فانقاد له عباد الله ، وأخذ كتاب الله بقوة ، فمشى على نوره إلى سعادة في الدارين وأرشده إلى أن سعادة الدنيا عز وسلطان ، وعدل وإحسان ، وأن سعادة الآخرة حياة لا نصب فيها ولا نهاية ، واطمئنان لا خوف معه ولا كدر في أثنائه ، ورضوان من الله أكبر" [2]. هذا ما توحي الآية الكريمة السابقة إليه ، فهو عهد من الله الذي لا يخلف وعده . لذلك نلاحظ أنه أوكل مهمة التبليغ إلى أولئك العلماء المتضلعين بالرسالة ، لنشرها على عباد الرحمن دون زيادة ولا نقصان ؛ لأن " عهد الله في أعناق علماء الدين لعهد ثقيل وأن أمانة الإسلام في نفوس علمائه لعظيمة ، وإنهم لمسؤولون عليها يوم تنشر الصحائف في هذه الدار ، وفي تلك الدار " [3].

تلك هي التوجيهات التي دعا إليها نبي البشر إلى الاقتداء بها ، حرصا منه سبحانه

---

1- التوبة: 89.

2- محمد البشير الإبراهيمي ، أثاره ، 222/4.

3- المرجع نفسه ، 340/3 .

وتعالى على نجاحهم ، مبينا لـهم سبيل الخيـر فيما وجهوا إلـى العمل بـه ، والشر فيما نـهى عنه لأن يـوم الآخر أو البعث هو " من دلائـل قدرة الله على البعث الأخيـر ، ومن الحجج الدافعة على منكريـه ولكنهـا – مـع ذلـك – قريبـة الخطـورة فـي أذهـان المتفائليـن مثلـي بالبعـث الأول فـي هذه الحيـاة الدنيـا .

تلك الآية هي قوله تعـالـى : { **ضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** } [1] . لاحت لـي آيـة البعث مـن القرآن عندمـا لاحت لـي آيـة الإنبعـاث ... فأجلت بصيرتي فـي الأولـى ، عندما أجلت بصري فــي الثانية فما زادت الثـانية الأولى إلا تمكينـا وتـثبيتـا " [2].

هكذا تتضح هذه الدلائـل ، وتتجلى المسافات والأبعاد عن الحقائق الغيبية التي أثبت لنا القرآن العظيم صحة وقوعها ، وأن الإيمان بها مثل الإيمـان بالله واليوم الآخر في ترتيب لفظي واقعي ، وتسلسل منطقي ممكن الوقوع ، وغيـر مستحيل استحالة قطعية ، ويمكن استجلاء ذلك عن طريق الإحساس المرهف والشعور العميق ، والإلهام بعظمة الخالق في هذا الكون وأنـه سبحانه القادر على كل شيء ، وإذا أراد شيئـا فإنما يقـول له كن فيكـون .

---

1- يس : 78- 79 .

2- محمد البشير الإبراهيمي ، أثاره ، 235/3.

### 3- القضــاء والقـدر:

قبل التطرق إلــى جملة الـقضـاء والـقدر ، لا بد من التعرض إلــى تعريف كل كلمة على حـده . فالـقضــاء هو " الحكم ، وأصلــه قضاي لأنــه من قضيت ، إلا أن اليــاء لما جاءت بعد الألـف همزت والجمـع أقضيـة "[1] ، أمـا القـدر فهـو " الغنــى واليســار " وهو مـن ذلك لأن الله كـلــه قـوة " [2] . ولكـي يكون الإنسان فــي سبيل ربـه حقا ، يجب أن يقر بالقضاء والقدر ، لأن هذا الأمر ، يتعلق بصدق الإيمان وتمامه ، وهو من الخضوع الضمني لله ، والإقرار لـه بالقـوة والعظمة ، والإعتراف بالرسول صلى الله عليه وسلم . هذا مـن المؤكدات التــي لا تجعلنـا مؤمنيـن إلا إذا ألحقنـا إيماننـا بوحدانية الله ، والإقرار بالقضاء والقـدر ، فيما يتعلـق بخيـره وشره وأن ذلك كله من الله .

وقد ورد الكثيـر من الآيـات الكريمة ، تلفت انتباهنـا إلــى القضــاء والقـدر بصريح العبارة فـي مثل قوله تعـالــى : { **مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا** }[3].

فــي هذا السياق ، نلاحظ أن بعض الكتاب يعبـرون عن الإجحاف والتعسف المسلط على الأمة الجزائريــة من طــرف الاستعمار، الذي جثـم على البـــلاد ، وســلب كل شيء حتى

---

1- ابن منظور ، اللسان ، 2463/6.
2- المرجع نفسه ، 76/5.
3- الأحزاب : 38.

القوانيـن التـي كانت سائدة فـي أوساط المواطنين ، وأحل محلهـا قوانينه التـي لا تصلح إلا لأغراضه الشخصية ، دون ما ينفـع السكان الأصلييـن ، إذ يقـول العربي التبسي : " لا تجد هذه المؤسسات من قوانين بــلاد كهذه ومن أحكام الجزائر ما يسهل لها الوجـود والظهور ، فإن ظهرت بحكم القضاء والقـدر ، وباستعداد الشعب الفطـري "[1].

فمن هذا النص الذي يلمح إلـى القضــاء والقدر ، بالنسبة لما يصدر من تصرفات الاستعمـار الفرنسي . والقضاء الذي يعنيه الكاتب فـي هذا الصدد هو ما يدعى في الحقيقة بالحكم على الشــيء والقطع على ما يمكن أن يليـق بـذلك ، وأحق أن يقطـع عليه ، فيعود مرة إلـى إبداع الأشياء ، لتحقيقها على مـا هي عليـه ؛ لأن الذي خلق الخلق هو الحكيم العليم والحكمة هي إصابـة الحقيقة ، والذي يصدقه قوله تعالـى :{**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**} [2].

ومحل الشاهد لدينا فـي هذه الآية :{**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ**}. لذلك يجـوز وصـف أفعـال الخلق بالقضــاء ، أي أنه خلقهن وحكم بهن كقوله تعـالى :{**قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَـاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَـا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَـاضٍ إِنَّمَـا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**} [3].

---

1- العربي التبسي ، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر ، حمع وتعليق : شرفي أحمد الرفاعي ص157 .

2- فصلت : 12 .

3- طه : 72 .

وهو يعنـي بصراحة الحكم ، ومن هنا صدر على تسمية العالم بالـقاضي، لما يتمتع بـه من اتــزان فـي الأعمال ، وإعطاء كل ذي حق حقه.

إلا أن مـا جاء فـي النـص ، هو الاعتقاد السائد لدى السلطة الحاكمـة للبلاد من الفرنسيين الراغبة فـي محـو كل مـا يمت بصلة لذلك الشعب المغلـوب على أمره ، وطمس معالم بناء شخصيته ليضمحل ويندثـر من الوجود ، وإن بقي على الحياة يكون تائها لا هو من هؤلاء ، ولا هو من أولئك ، لأنه أصبح مـجرد من كـل مقوماته الانسانيـة ، التــي هي البنـاء الأساسي لكيـان الفرد والمجتمـع .

وقـد تناسى أولئك الحكام المتعجرفـون المتسلطون على رقـاب الأهالـي ، بأن إرادة الله هي أقـوى وأعلـى مـن كـل شيء ، مصداقا لقولـه تعـالى : {**قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** } [1] . وما ذلك على الله بعسيـر ، لأنه الجبار العليم الخبيـر ، يدرك كل الأشياء وأنه يمهل ولا يهمل .

وهكذا نجـد تلك القدرة التـي بثها الله فـي رجالـه الصالحين مـن أبنـاء تلك الأمـة ، الذين قاوموا ذلك الإستدمار بشتى الوسائل ، على الرغم مـن قيامـه بإحباط جميـع المحاولات المستعملة من طرف أولئك الأحرار ، الذين أنــار الله عقولهم بقضائـه وقدره ، فكان على يدهم التحرر من العبوديـة ، والحصول على الإستقلال التام لذلك الوطن والمواطنيـن المسلوبي الإرادة .

---

1- آل عمران : 47.

## 4- صفـات المؤمنيـن :

إن العلي القديـر يدعو المؤمنـين إلـى التحلي بصفات الإيمـان الأساسية ، التي جاءت فـي كتابه العزيز ، الذي أنزله على عبده النبي الأمي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ليبلغهم الرسالة ، ويدعوهم إلى الهداية ، التي إرتضاها الله لعباده كافة ، ليسعدوا في الدنيا و الآخرة إن هم تمسكوا بمـا فضلهـم بـه الله علـى جميع الأمم السابقة ، حيث يصف الله أمـة القرآن بقولـه تعـالـى : { **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** } [1].

فالتمسك بكتاب الله الذي " اشتمل على مجموعة من الأحكام إصطلح على تسميتها بالأخلاق ، لذلك سمي القرآن " كتاب أخلاق " لأنـه يوجه حياة المسلم نحو الأفضل ، بإرشاده إلـى الصفات الحسنة التي يجب التحلي بهـا للظفر بالحيـاة السعيدة ، وتحذيره من الصفات السيئة التـي يجب التخلي عنها ، للابتعاد عن الشقاء والتعاسة " [2].

والأخلاق الكريمة هـي التـي مدح الله بها نبيـه محمد صلى الله عليه وسلم فـي قوله تعـالـى : { **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** } [3] ، وهو الغرض نفسه الذي وصف الرسول صلى الله عليه وسلم به نفسه فـي قولـه : { **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ**} [4].

---

1- آل عمران : 110.

2- محمد ناصر بوحجام ، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، ، 61/1 .

3- القلم : 4 .

4- عز الدين بليق ، منهاج الصالحين ، ص192.

إن من مقاصد دعوة رجال الإصلاح في الجزائر هو غرس تلك الصفات الحميدة المستمدة من روح القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة فـي قلوب الشباب الجزائري المسلم خاصة والأمة الجزائرية عامة ، لأن تشبعهم بالتكويـن القرآنـي يبعدهم عن تلك الفوضى ، التي يتخبط فيها من لـم يتخذ الأخلاق القرآنية منهاجا لحياتـه ، وطريقـا سديدا لمستقبله .

وقد حـاول هؤلاء العلماء الأجلاء استغلال كل المناسبات المتـاحة لهم ، لشرح تلك الصفـات الأخلاقيـة الحميـدة ، وتبسيطهـا ووضعهـا فـي متناول الفئة المتعلمة ، لتجنيبهم تلك المغالاة التـي تدعــوا إليهـا تلك الطغمـة الاستعماريــة بمسـاعـدة الفئـة الجاهلـة ، التي تتلاعـب بهـا الطبقـة الاستعمارية الحاكمة ، فتوجهها كيفما شآت ، وحيثما رغبت خدمة لأغراضها الدنيئة .

وقد ورد عن أحمد الشرباصي قوله : " لقد تعرض كتاب الله تعالـى لأصول الأخلاق التـي يريد الله لعباده أن يتحلوا بهـا ، وأن يستجيبوا لروحها ، ولذلك هدف حديث القرآن عن الأخلاق إلـى غايـة سامية جليلة ، هي أن يكـون المسلم المؤمـن المتخلـق بمكارم الأخـلاق صـالحا لتلقي الإشراقـات الروحية ، والفيوضات الإلهيـة التـي تجعله يسيطر بروحه على بدنـه ويسمو بنفسـه فـوق حسـه ، ويستجيب لعقلـه أكثـر ممـا يستجيب لعاطفتـه ، ويحـسـن الوفـاق بـيـن لبـه وقلبـه " [1].

وهــكذا تحمـل أولئـك الكتـاب عبء الحديث عـن الصفـات التــي يجـب أن يلـــتزم بـــهـا

1- أحمد الشرباصي ، موسوعـة أخلاق القرآن ، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان ، ط : 1 ،1971، ص: ن.

المؤمن للولوج في خضم تلك الفترة المتصارعة عناصرها ، فئة تحاول إحلال النور وفئة تحاول إسدال الظلام ، ليبقى الأهالي على جهلهم ، فتسلح المصلحون بخير زاد ، دعموا به أقوالهم الصريحة تارة ، وغير الصريحة تارة أخرى ، وضربوا الأمثال بأفضل المواقف المشرقة للاهتداء إلى العبر ، التي يجب أن تؤخذ نبراسا لمن دخلت في قلبه الرحمة ، وفهم الأهداف والوقائع . تلك أهم الصفات التى سنتعرض لها فيما يأتي :

### 4-1- التقوى :

إن التقوى من صفات الأخلاق الإسلامية الأصلية الفردية منها والاجتماعية ، التي رفع الله من شأنها ، وجعلها من المهام الأساسية المفروضة ، ومن الفضائل الواجبة " مرتبطة بطهارة القلب ، والتجرد من الأهواء ونزواتها الحيوانية التي تدفعنا إلى تحقيقها وإشباعها بأية طريقة سواء " [1].

فهذه الصفات الحميدة ، قد نجد أن لها " صلة بين التقوى والبر الذي هو جماع الفضائل ومجموعة أعمال الخير" [2]. ولذلك يقول تعالى : { **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** } [3]، إذ أن لها ارتباط بالصبر حيث جاء في قوله تعالى : {**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**

---

1- بكير بن سعد ، أضواء على الأخلاق الإسلامية والمعاصرة، دار البعث قسنطينة الجزائر، 1984، ص40 .

2- أحمد الشرباصي ، موسوعة أخلاق القرآن ، ص208 .

3- البقرة : 189.

**وَالْمَلآئِكَـةِ وَالْكِتَـابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَـالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ** } [1].

وقد ارتبطت فـي آيــات أخـرى بالتوكل وغيـرها من الصفات الأخلاقية الحميدة ، التـي توضح لنـا بأن " التقوى حصانة وصيانة ، والتقوى رعاية ووقايـة ، والتقوى قوة وفتـوة ، والتقوى بر وخيـر والتقوى إحسان وإتقان ، والتقوى وفـاء وصبـر " [2].

تلك هي الركائز الأخلاقية التي تستوجب على الإنسان التحلي بها ، وهو الأمر الذي أدى بأحد دعاة الإصلاح الجزائريين أن يشيد بهذا المنشد الأخلاقي والتمسك به ، لأنه يعتبر بمثابة الزاد والذخيرة التي يستطيع استغلالها عند الحاجة ، ويدافع بها عند اشتداد النوائب وبذلك تهدأ النفس المطمئنة ويرتاح الضمير ، وعليه ترسل الرحمة ، فيكون عندها الاستقرار والهدوء والارتياح .

لأن المتصف بهذه الصفة الحميدة ، يكون مزودا بالعظمة والقـوة والسؤدد. والنـص التالي يكشف لنـا ثمرة التقـوى إذ يقـول فـي ذلك محمـد البشير الإبراهيمي : " أوصيكم بتقوى الله فهـو العدة فـي الشدائد والعـون فـي الملمات ، وهي مهبط الروح والطمأنينـة ، وهي منـزل الصـبر والسكينـة وهـي مبعـث القـوة واليقيـن ، وهي معـراج السمو إلـى السمـاء ، وهي التـي تثبت الأقدام فـي المزالـق ويربط على القلوب في الفتـن " [1].

لقد اشتمل هذا النــص على العديـد مـن المحامـد التـي يكون أساسها التقـوى ، التـي هي الأمتداد الحقيـقي لمـن أراد أن يسمـو عـن الدنايا والرذائـل ، لأن ما جاءنا على لسان هذا المصلح ، وقد اعتمد صاحبه فـي نصحه وتوجيهه لنا على ذلك القبس المنيـر ، ألا وهو كتـاب الله المبيـن متأثرا بقوله تعـالـى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** } [2].

---

1- البقرة : 177.

2- أحمد الشرباصي ، موسوعة أخلاق القرآن ، ص210-211 .

هــذه دعــوة وتوجيه منـــه سبحانـه وتعـالـى للخلـق الـذي أنــار الله عقلـه وهـداه إلـى الإيمان بـه ، والعمل بما أمر بـه ، واجتنـاب ما نهـى عنـه ، ليصيـر مسلما حقا كما أمر ، وهـو مــا قصـده الإبراهيمـي ، ولـم يكـتف بهـذا فقط ، بـل نجـده تعدى ذلك إلـى رؤيــة أخـرى ألا وهي قولــه تعـالـى : { **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـاتٌ فَمَن فَـرَضَ فِيهِـنَّ الْحَـجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَــزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْـوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَـابِ** } [3].

فهـو يـذكـر فـي نصـه أن التقـوى عدة وزاد يتزود به أولئك الذيـن وهبهم الله القلـوب النيـرة والعقول الصـافية ، وهو مـا يدعـو إليـه عبد الحميد بن باديـس مدعما قول الإبراهيمي الســابـق

---

1- محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 291/2 .

2- آل عمران : 102.

3- البقرة : 197.

الذكـر قائـلا : " وأن لا فضـل لأحد إلا بتقـوى الله ، ومن يتقي الله فهو أنفع لعبـاد الله " [1].

ففي هذا النـص تأكيـد وتوضيح بـأن الإنسـان الصالح هـو الذي لا تغره الحيـاة الدنيـا لأن تقواه لله تحيلـه إلـى أن يكـون بشرا سويـا ، يقبـل علـى عمل الخيـر فينفعـه ، وينفـع غيـره ويكـــون عنـد الله من الذيـن وصفهـم بقولـه تعـالـى : { **الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** } [2]. فالله فـي هـذه الآيـة يبشر المؤمنين المتقيـن بالمفـازة العظمى فـي الحيـاة الآجلة والعاجلـة بـقـوة إيمانهم . وفـي آيـة أخرى يذكر الله تعالـى حفظـه للمؤمنين المتقيـن قائلا : { **وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**} [3].

هكذا يخبرنـا القرآن الكريم بأن هنـاك علاقة مؤكدة تأكيدا منطقيـا بيـن الإيمان والتقوى التـي تظهر من خـلال تلك البصمات المؤثـرة فـي حيـاة الأفراد والجماعات .

فالإنسان المسلم ذو الأخـلاق الساميـة لا يـؤثـر فيـه ذلك التقلب " الزمان والمكان بل يرصد نفسـه على التمسك الدائم بمكارم الأخـلاق القرآنيـة التـي تبعدنـا عن الريـاء ، والنفـاق وتدفعنـا إلى الإخلاص والإحسان اللذين يكملان فضيلة التقـوى " [4]. مصداقـا لقولـه تعالـى : { **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** } [1].

فالنص القرآني يكشف لنـا الغطـاء ويزيـح اللثـام عن الأمة الإسلامية ، التـي تختلف عن الأمم التـي سبقتهـا في الدعـوة إلى توحيد الله سبحانه وتعـالـى ، لكونـها تتميـز بصفات أخلاقيـة
عالية ، من ضمنها القيام بفعل الخير والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ودوامهم على الإيمان بالله .

---

1- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 547/3.

2- يـونس : 63-64.

3- النمل : 53.

4- بكير بن سعد ، أضواء على الأخلاق الإسلامية، ص43.

**2-4- الصبــر:**

هـو فضيلة مـن فضائـل الشخصية الإنسانية المستقيمة القائمة على ركيـزة الإيمـان بالله وهوكما عرفه ابن مسكـويه بأنه "مقاومة النفــس الهوى ، لئلا تنقـاد لقبائح الأشياء " أو هي : " احتمال الكـد" [2]. وهو ما ذهب إليه تـقريبـا بن الربيع فـي تعريـفه التالي : " هو مقاومة النفس للهوى عن مغالبته "[3]. والشخـص المتمسك بصفة الصبر يعتبر ذلك لديه " انتصارا على النفس الأمـارة بالسـوء ، وإذا ما حيـزت هذه الفضيلة كانت في مواجهة الرذائــل عبـارة عـن : نــبات باعث الديـــن فـي مقابلــة باعث الشهوات كما يقـول الإمــام الغـزالي " [4].

---

1- آل عمران : 110.

2- محمد عبد الستـار نصار، دراسات في فلسفة الأخلاق ، دار القلم الكويت ، ط: 1، 1982، ص245 .

3- ناجي الــتكريتي ، الفلسفة السياسية عند ابن الربيع ، دار الأندلس بيروت لبنان ، ط : 3 ، 1983 ص67 .

4- محمد عبد الستـارنصار ، دراسات في فلسفة الأخلاق ، ص245 .

ولما كانت هذه الصفة من أرقى الصفات الأخلاقية ، وصفها المولى جل شأنه بأحسن الأوصاف " في نيف وسبعين موضعا ، وأضاف أكثر الدرجات إليه " [1]. حيث قال تعالى : { **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**} [2].

فهذه الآية تشير إلى أن من يتصف بهذه الصفة الحميدة ، يكون مميزا عن غيره ويصبح من الراشدين الذين يهدون بأمر ربهم ، لأن الصبر هو عبارة عن إشراقة نورانية تعد " من معالم العظمة وشارات الكمال ، ومن دلائل هيمنة النفس على ما حولها ولذلك كان " الصبور " من أسماء الله الحسنى ، فهو يتمهل ولا يتعجل ويبطئ بالعقاب إن أسرع الناس بالجريمة ، ويرسل أقداره لتعمل عملها على اتساع القرون ، لا على ضيق الأعمار وفي نطاق الزمن الرحب لا في حدود الرغبات ... ، والمشاعر الثائرة " [3]. نجد ذلك مجسدا في قوله تعالى : { **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** } [4]. صحيح هناك بعض من الناس يودون دائما الإسراع في تنفيذ الحكم ، وهذا خطأ منهم ، لأن في العجلة الندامة ، كما هو وارد في المثل السائر .

لذلك نجد أن الحديث النبوي الشريف يقول في هذا الصدد : **"وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرًا وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ "** [1].

---

1- المرجع نفسه ، ص245.

2- السجدة : 24 .

3- محمد الغزالي ، خلق المسلم ، دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة الجزائر ، 1985 ، ص131 .

4- الحج: 47.

فالحديث يدعونا إلى السلوك السوي ، الذي يزيد لنا قوة وكمالا ؛ لأن " الصبر من عناصر الرجولة الناضجة ... ، فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل ، والمرء إذا كان لديه متاع ثقيل يريد نقله ، لم يستأجر له أطفالا أو مرضى أو خوارين ، وإنما ينتقي له ذوي الكواهل
الصلبة والمناكب الشداد !! كذلك الحياة لا ينهض برسالتها الكبرى . ولا ينقلها من طور إلى طور إلا رجال عمالقة وأبطال صابرون"[2] ، ليؤدوا مهامهم على أحسن ما يرام .

ولأهمية هذه العظة الأخلاقية نلاحظ أن أحد أعمدة الإصلاح الجزائري ألا وهو عبد الحميد بن باديس يدعو إخوانه في الجمعية الإصلاحية إلى الالتفات إلى العهد الذي تعاهدوا عليه للحفاظ على الجمعية ، وتوسيعها ، وكل ذلك الجهد المبذول لا يتأتى إلا عن طريق فضيلة الصبر ، فيوجه لهم النداء قائلا : " أيها الإخوان قد تعاهدنا في مثل هذا العيد من السنة الماضية ، تعاهدنا على خدمة مبادئ الجمعية وتوسيع نطاق أعمالها ، ونشر هدايتها ونصر كل عامل من رجالها ، بصبر وتضحية وثبات وقد وفينا – بفضل الله – بهذا العهد أو بما استطعنا في السنة الماضية " [3]. هكذا كان الصبر والثبات لتأدية الأعمال الصالحة لبناء الجزائر وايقاضها من غفوتها التي سلطت عليها من طرف الاستعمار مستندا في كلامه ذلك إلى قوله تعالى :{ **وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ، وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ** }[1].

---

1- مسلم ، صحيحه ، بشرح النووي ، دار الفكر بيروت ، د- ت ، 1983 ، 145/7.
2- محمد الغزالي ، خلق المسلم ، ص131 .
3- ابن باديس ، حياته وأثره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 564/3 .

هكذا كـــان الغرض مـــن طرف رائـد الإصلاح فـي الجزائـر، مقتفيـا أثر القرآن الكريم فـي اختبـاره زملا ئـــه في الجمعية ليعلم الصـــابريـن منهـم الذين يستطيعـــون أداء المهمــــة المـلقاة علـى
عاتقهم لتبليـغ رسالة الإصـلاح إلـى من يهمه الأمـر فـي هذا الوطـن الذي يعانـي من ويـلات التجهيل والتخـلـف، فصمدت تلك الفئة مـن رجـال الإصلا ح فـي جمعيتهـا، كما يصرح عنهـا رائدالنهضة عبد الحميد بن باديس بقولـه:" والجمعية – بحمد الله – ثابتة لهم صابرة لامتحان الله بهـم.وقد وعدهاالله عاقبـة الصابريـن ورد عنها كيد الظالمين والحمد لله رب العالمين" [2].

هكـذا كـان الوفـاء من طرف رجال الجمعية ، والصمود فـي وجـه أعدائهم معتمديـن على ما وعدهم الله به من النصر . الذي وعد الله به المؤمنين الصابرين ، أليس هو القائـل فـي قوله تعـالى : { **قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** } [3].

ذلك هو الجـزاء الذي يتحصل عليه من أدرك وتفهم هذا القـول العظيم ، واقتدى بهذا القـول الإلهي ، الذي يكون " قد كشف الزمـان على الحقائق ، وحقت كلمة الله فكانت العاقبـة للحق والصبر والتقـوى ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عـزم الأمور ، اللهم قد صبرنـا فآتنـا

---

1- محمد: 30، 31.
2- ابن باديس ، حياته وأثره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 551/3 .
3- الزمر: 10.

عقبى الصابرين ، اللهم قد غفرنا فأشهد " [1].

هذه هي أفكار المصلحين من أبناء الأمة الجزائرية ، المنتمين إلى جمعية الإصلاح الوطني ، المتشبعين بأفكار القرآن الكريم ، التي تدعو إلى الخصال الحميدة ، والفضائل الكريمة التي تبدو واضحة جلية ، وهو ما نستشفه من هذا النص الأخير ، والنصوص التي سبقته ، المتأثرة بالقرآن الكريم ، الذي تشبع به أولئك الكتاب المصلحون ، من مثل قوله تعالى : { **لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** } [2].

تلك هما الصفتان الحميدتان اللتان وردتا في هذه الآية الكريمة ، والمتمثلتان في صفتي الصبر والتقوى ، اللتين لهما الفضل الأكبر في بناء أخلاق الإنسان ؛ لأنه" كلنا يعلم أن النجاح والسعادة ، نتيجتا الصبر على المكاره ، والسعي المتواصل مع الثبات في المبدأ" [3] يقود المرء إلى الغاية المرجوة والهدف المنشود ، والاستقرار الدائم .

ورد عن الإمام محمد الغزالي أنه : " سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ النَّاس أَشَدُّ بَلاَءً ؟ قال : " **الأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، يُبْتَلَى النَّاسُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِمْ . فَمَنْ ثَخُنَ دِينُهُ اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ ، وَمَنْ ضَعُفَ دِينُهُ ضَعُفَ بَلاَؤُهُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيُصِبْهُ البَلاَءُ حَتَّى يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ** " [1].

---

1- محمد البشير الإبراهيمي ، آثاره ، 147/1.

2- آل عمران : 186.

3- محمد ناصر ، رمضان حمود ، حياته وأثاره ، ص238 .

هكذا كان وصف الرسول صلى الله عليه وسلم لأولئك الأشخاص الأقوياء الإيمان الذين يستطيعون تحمل نـوائب الدهر. والقوة هي السبيل إلى الوصول إلـى" العظمة والاعداد التي أوحت لقائد أمريكي كبير أن يقول : " لا تسأل الله أن يخفف حملك ولكن إسأل الله أن يقوى ظهرك "[2]. فالقائد هنا يـدعو الفرد إذا تـوجه بالرجاء ، فاليطلب ماهو أجدى وأنفع ألا وهـو الـقوة ، التي هي من صفات العظمة . لأن " الصبر لنوائب الدهرمحمود ، ولكن الخضوع للذل والهوان دنـآءة وخسة " [3].

من هذا المنطق ، نستطيع القول بأن صاحب هذا النـص تأثر بالثقافة الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم ، ونخـص بالذكر قـوله تعـالى :{ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ** } [4] وكذلك قولـه تعالى : {**وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْبِـرُواْ خَيْـرٌ لَّكُـمْ وَاللّهُ غَفُـورٌ رَّحِيمٌ** } [1].

---

1- محمد الغزالي ، خلق المسلم ، ص131 .

2- المرجع نفسه ، ص132 .

3- محمد ناصر ، رمضان حمود ، حياته وأثاره ، ص292 .

4- النحل : 126.

ومن هاتيـن الآيتيـن المبرزتيـن لفائــدة الصبر ، التي أوضحــها سبحانه وتعالـى عند الوقـوع فـي المصائب والمكـاره ، التي من المفروض علينـا حتما التزام طريـق من شأنه أن يوصلنا إلى السؤدد والفلاح وذلك بالتمسك بصفة الصبـر ، وهو المنهاج الذي حاول جماعـة الإصلاح الدينـي والاجتماعي والسياسي بالجزائر أن يلقنـوه لشعبهم الذي وعى ذلك فـي ظرف زمني قصير ، وبذلك نجد الشعب الجزائري هب عن بكرة أبيـه لدفع الإعتداء السافر ، من طرف المغيرين المعتديـن على حقوق غيرهم بدعوى نشر الحضارة ، التي تعد عبـارة عن ذر الرماد فـي العيـون لتغطية أهدافهم الاستيطانيـة والاستعبـادية .

وذلك ما نلمسـه من هذا النص الذي وجهه الإبراهيمي إلـى أولئك المعتديـن قائلا إننـا قد رأينـا " العابثيـن بمقدرات الأمم كيف تكون عواقب العبث ولكن الله سلم وألهم الرشد فأريناهم كيف يكـون الصبـر فـي الشدائد وكيف يكون التنبـه للمكائـد وأذقناهم مرارة الخيبـة وغصص اليـأس وكنا نحن الفائزيـن "[2]. هكذا كان الإقحـام لأولئك الذين يدعون الذكـاء والفـــطنة ، والتحضر على سواهم من السكـان الأصلييـن ، والنص مقتبس من قـولـه تعــالـى : { **وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ، جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ، سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**}[1]. فـالآيـة الكريمة تحث على الصبر عند المكاره رضاء لوجهه سبحانـه ، وعليهم الالتزام بفضائـل الأخلاق الكريمـة ، كالإنفاق فـي وجوه الخيـر ، وغيرها من الصفات الحميدة .

فإن عقبـى من اتصف بالصبر ، طبقا لمـا ورد في هذه الآيـة هو جنـات عدن التـي أعدت للمتقين ، وهي من المفازات التـي ينالهـا عباد الله الصالحيـن ، الذين يدافعـون عـن الـحق ويطبقونه على أنفسهم قبل أن يطبقـوه على غيرهم ، ليكونوا القدوة الحسنة والمنـارة الراشدة إلى الهـدى والصواب . وفـي هذا السياق نجـد رمضان حمــود يتحدث فـي هذا الشأن ويقـول إن :"مـرارة الصـبر ممزوجة بحــلاوة الظفـر "[2].

---

1- النسـاء : 25.

2- محمد البشير الإبراهيمي ، أثاره ، 213/1 .

هكذا يكون وفـاء الصابرين مصداقـا لقوله تـعالـى :{ **إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ** } [3].

وفـي هذه الآيـة الكريمة دليل واضح ، وتأكيد راسخ لقول محمد البشـير الإبراهيمي نائب رائد النهضة عبدالحميد بن باديس رحمهما الله ، بأنهم الفائـزون ، وأعداء الوطن هم الخاسرون بدليل قولـه تعـالى : {**وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**} [4]. هكذا ترشدنـا الآيـة الكريمة ، إذا كنـا مـن الراغبيـن فـي تجنب المهالك أن نعمل العمل الصالح النافـع لنـا ، ونوجه بعضنا بعضا إلـى مراعاة حقوقنـا وحقوق غيرنـا ، ونرعاها إلـى يـوم الديـن ، معتمديـن فـي قيامنـا بهذا العمل على النصح والنصيحة الخاليـة من الرياء والنفاق ، و الأعمال الهدامة ، ملتزميـن التـأني ، والتدرج فـي أسلوب عملنا وداعيـن غيرنا من الأبناء والأحفاد ، إلى الاقتداء بهذا القبس الأخلاقي المنيـر .

---

1- الرعد : 22-24.
2- محمد ناصر ، رمضان حمود ، ، ص273
3- المؤمنون : 111.
4- العصر: 1-3.

وهو ما أكده القرآن الكريم بأن الثواب الأكبر ، والجزاء الأفضل للصابرين المنصوص عليه في قوله تعالى : { **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** } [1].

وهكذا يستمر القرآن العظيم في توجيهنا إلى السلوك السوي ، الذي يحقق الجزاء الأوفى لمن إتصفوا بهذه الصفة التي إرتضاها الله لعباده الصالحين . مثل ما هو منصوص في هذه الآية الكريمة.

---

1-- النحل : 96.

**4 - 3- الجهـــاد:**

كلمة الجهاد تعني بذل الجهد أو " المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما طاق من شيء " [1]. وقد تناوله القرآن الكريم وحث عليه في آيات عديدة وجعله "في الإسلام ذروة سنامه ، وسياج مبادئه ، وطريق الحفاظ على بلاد الإسلام والمسلمين"[2] . لأنه يعد من أفضل مبادئ الأمة الإسلامية ، الذي يقودها إلى حياة العزة والكرامة ، وإدامة سيادتها ، ونشر دينها الإسلامي ، ذلك الدين القيم. " لهذا كان فريضة محكمة ، وأمرا ماضيا إلى يوم القيامة ، وما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا ، وغزوا في عقر دارهم وخذلهم الله ، وسلط عليهم شر الناس وأراذلهم" [3] .

وفي هذا يقول الله تعالى في محكم تنزيله:{ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ** } [4] وقال أيضا : { **إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** } [1].

---

1- ابن منظور ، اللسان العرب ، 135/1 .

2- وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي ، مطبعة ابن حيان بدمشق ، ط : 3 ، 1980 ، ص304 .

3- المرجـع نفسه ، ص304.

4- الحـج : 78.

وقد جاء في السنة النبوية الشريفة أحاديث كثيرة تكشف لنا فضل الجهاد ، إذ نجد أنها جعلته في المرتبة الثانية بعد الايمان بالله وبالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، عندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الأعمال أفضل ؟ قال : " **إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ قِيلَ ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهْ ، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : حَجٌّ مَبْرُورْ** " [2]. وقال الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا في حديث آخر : " **لَغَدُوة أَوْ رَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فيهَا** " [3].

وإذا ما دققنا النظر في هذه الأحاديث النبوية الشريفة وحاولنا التقرب منها ، وتحليلها نلاحظ أن محمد السعيد الزاهري كان متأثرا بها وبالآيات السالفة الذكر ، ويتضح لنا ذلك من النص التالي : " هل أدلكم على النجاة مما نحن فيه ؟ : تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، وتتخذون لكم معهدا إسلاميا تتعلمون فيه الإسلام وتدرسون فيه كتاب الله ، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن فعلتم فعسى أن تكونوا من المهتدين ، وإن لم تفعلوا فلن تفلحوا إذن أبدا " [4].

---

1- التوبة : 111.

2- عز الدين بليق ، منهاج الصالحين ، ص700 .

3- مسلم ، صحيحه: 13، 14 /26 .

4- محمد السعيد الزاهري ، الاسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ، ص67 .

فالكاتب فـي هذا النص يتوجه بسؤال صريح إلى الأمة الإسلامية قاطبة ، وإلى الشعب الجزائري خاصة ، الـذي حاول المستعمر الـفرنسي أن يزيل اسمهة وأن يطمس شخصيته الجزائرية الإسلامية وأن يجعله بلا هويـة تاريخيـة تـذكر ، لكي يسـهل عليه التنكـر لأصلـه وذلك بإحـلال ثقافته ولغته محـل اللغـة الوطنية الأم ، وبذلك يستطيع بكل سهولة ويسر أن يسخره كيفما يشاء ، ويستغله استغلا لا فضيعا، وهو ما كان واقعا فعلا آنذاك .

لذلك كان الطـرح بهذا الشكل الذي يبـرز لهم فضيحة المستعمر ، وفي نفس الوقت يحـاول الكاتب إيقاظهم من ذلك السبات العميق ، ليوجههم إلى أفضـل السبل مسلكا، وأيسر الطرق نجاحـا ، مجيبا على تلك الإشكالـية العالقة أمام هذه الأمـة الجزائرية المسلوبـة الحـق المغلوبة على أمرها ، المنهوكة القوى قائـلا لهم : إن خلاصكم مما أنتم فيـه ، لا يتأتـى إلا بالإيمـان الحقيقي الخالص لله وحده ، وبرسالة خاتـم أنبيائه محمد رسول الله صلـى الله عليه وسلم ورفع رايـة الجهاد عالية في سبيل نصرة الشرف والكرامة ، وإحقـاق الحق ، بكل ماهو في متنـاول الإنسان من المال وجهد وغيره ، مما يساعده على التحرر، والحفاظ على كرامته .

ولم يـقتصر الجهـاد عند الكاتب في جعل النـفس رخيصة في سبيـل الله ، والدعم بالأمـوال،والأ نفس ، بل يتعداهـا إلى فعـل الخيـر ، وإنشـاء مؤسسة قائمـة بذاتهـا ، تخصص لتعليم رجـال المستقبل الإسـلام ، ومدارسة كتاب الله دراسة وافيـة ، تبيـن للدارس ما عليه من حقـوق وواجبات نحوه ، ونحو أبنـاء ملته ووطنه ، وكذلك دراسة السيـرة النبوية الشريفة المخصصة لتوجيه العبـاد إلى السلوك السوي ، سواء ما تعلق بالحيـاة الدنيـا أو الآخرة.

فإن من وعى وأدرك هذا التوجيه الحي السليم ، واتعظ بهذه الموعظة الحسنة وعمل بها إلى يوم الدين هذا ، فإنه لا محالة يكون من المرشدين إلى طريق النجاح والفلاح ذلك هو الصواب والفطنة التي ألهم الله بها العديد من المصلحين الجزائريين ، من أمثال صاحب النص السالف الذكر ، الذي تشبع من قبس الذكر الحكيم الوارد قوله تعالى : { **يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا هَلَ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُومِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمُ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الانْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** } [1].

بهذا النداء الإلهي الموجه للمؤمنين الذين صدقوا الله ورسوله ، وآمنوا بالله حق إيمانه بطرح الأسئلة عليهم كالتالي : هل أدلكم على تجارة رابحة ؟ تخلصكم من عذاب شديد مؤلم هو القيام بالجهاد ضد أعداء الدين بالمال والنفس لرد الإعتداء، ونصرة الحق ، وبذلك يستحق القائم بهذا العمل الجليل من ربه جزيل ثوابه [2]. وهذا ما كان يقصده ، ويهدف إليه محمد البشير الإبراهيمي أن : " الجهاد أيها المسلمون – لفظ قليل – تحته معنى جليل ، هو صرف القوى الروحية والعقلية والفكرية ، تظاهرها القوى المادية ، إلى تحقيق غرض مما ينفع الناس ويتفاوت شرف الجهاد بتفاوت ذلك الغرض في النفع فإذا لم يكن الجهاد غاية ، ولم يكن فيه نفع كان جهدا ضائعا وسعيا عقيما، أما إذا كان وصفا تطلقه الألسنة كما هو واقع في الشأن زماننا هذا ، فهو نفاق يصطنعه الطامعون ، وتزوير يتعلل به الفارغون" [1].

---

1- الصف : 9- 13.

2- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 374/3.

فالكاتب يوضح للمسلمين في قوله هذا ، معنى كلمة الجهاد ومدى سموها ، إذا ما وجهت كل الدعائم الأساسية ، التي تتخللها القوى المادية ، إلى ما يفيد الإنسان . ويضيف الكاتب بأن قدر الجهاد وشرفه يختلف نسبيا حسب الهدف المنشود ، فإن كان من أجل التقرب إلى الله فجزاؤه نعيم الجنة ، وإن كان من أجل المادة فإنه يكون عنده جهد لا يعود عليه بالنفع ، ويذهب سدى ، وأما إذا كان من أجل التظاهر والتفاخر أمام الناس ، فإنه يعتبر بالنسبة لمن قام بذلك زورا وبهتانا ونفاقا ، وبالتالي يصبح ضرره أكثر من نفعه.

ويمضي محمد البشير الإبراهيمي في توضيح معنى الجهاد الحق قائلا : " أما الجهاد الذي غايته تثبيت الحقائق الإلهية في الأرض، وغرس البذور الروحية في الوجود فلغته سماوية لا تحمل معاني التراب ، متسامية لا تسف إلى ما تحت السحاب ، وأما المجاهدون في سبيل الله ، فلا يعدون الربح والخسارة في آرائهم ، ولا يدخلون الوقت – طال أم قصر – في حسابهم " [2].

هكذا كان الكاتب يحاول إشعار الشعب الجزائري بمرتبة هذه الكلمة وقيمتها لإرساء الأسس السليمة القيمة ، والقواعد الراسخة التي سنها الله لخلقه في الأرض ، ليقوموا بالدفاع عن أنفسهم ، راضين بما منحهم الله من الربح أو الخسارة ، ومقبلون على ما أمروا به من الجهاد في سبيل الله ، دون الإدبار ، حتى النصر أو الاستشهاد مصداقا لقوله تعالى : **{ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ }** [1].

---

1- محمد البشير الإبراهيمي ، أثاره ، 216/4 .

2- المرجع نفسه ، 276/4.

هكذا يخبرنا القرآن بكل وضوح أن المجاهد في سبيل الله سيحصل لا محالة على إحدى الحسنيين : إما نعمة الإستشهاد في سبيل الله أو الإنتصار على الأعداء . وفي هذه الآيات الواضحات تصريح وتوضيح إلى أولئك الذين يعتقدون أن المجاهدين في سبيل الله إذا ماتوا وتخلصوا منهم سيصبحون مندثرين ، خاسرين لحياتهم الدنيا . ولكن القرآن الكريم يُقحم هؤلاء الذين يدَّعون ذلك التأويل الخاطئ . قائلا لهم لا تعتقدوا بأن أولئك المجاهدين الذين استشهدوا في سبيل الله أمواتا بل بالعكس مما تدعون ، فإن ذهبت أجسادهم فأرواحهم بقيت ترفرف في السماء ، فرحة مستبشرة بما خصهم به الله من نعمته .

وقد حاول الإبراهيمي أن يوجه الجزائريين إلى سبل الجهاد وأسسه القاعدية التي يجب مباشرة العمل بها إنطلاقا من الجهاد الجزئي إلى الجهاد الكلي ، الذي يأتي عن طريقه التحرر والاستقلا ل المنشود ، الذي يسود فيه نشر الفضائل ، والعدل والمساواة بين أفراد المجتمع حيث يقول : " فأعلى مراتب الجهاد وأصله الذي تتفرع منه فروع الجهاد فى النفس حتى تستقيم على صراط الحق والفضيلة وتستعد لما بعد ذلك من أنواع الجهاد الخارجي عن النفس " [1]. بهذا التوجيه السليم ، والأسلوب الرفيع المهذب الملفت النظر إلى قيم الجهاد ومراتبه السامية ، وكيفية التدرج الذي يجب على الفرد انتهاجه ، لكي يمكنه من الوصول إلى أعلى مراتب الجهاد المنشودة .

---

1- آل عمران : 169-171.

ويستمر الإبراهيمي في استعراض موضوع الجهاد معتمدا في ذلك على الدستور الإلهي ومستوحيا أفكاره منه إذ نجده يقول : " تكررت في النصوص القرآنية كلمة ( الجهاد بالنفس ) في معرض الأوامر التكليفية ، والأوامر الدينية بمعانيها الكاملة إنما نتوجه إلى أصحاب النفوس الكاملة التي اطمأنت للإيمان بالله ، والإيقان بالحق الذي يدعو إليه والرضاء بأحكامه الدينية والقدرية ، وجعل الحياة المحدودة مطية للحياة الخالدة . وما وصل إليها أصحاب هذه النفوس إلى هذه الدرجة من الكمال إلا بعد جهاد في النفوس ، هيأها للجهاد بالنفس ثم دفعها إليه "[2]. فالإبراهيمي في هذا النص يهدف إلى ما يهدف إليه القرآن الكريم من أن موضوع الجهاد يندرج ضمن الأحكام التكليفية والدينية ، وهو موجه إلى الأفراد الذين يتصفون برجاحة العقل ، ورحابة الصدر، وبعد النظر، والإعتقاد السليم ، والسير قدما نحو الهدف الأفضل ، الذي يؤدي به في الأخير إلى محطة الحياة السعيدة الآمنة .

أما عن تكرار كلمة الجهاد بالنفس ، فهي مستوحات لدى الكاتب من النصوص القرآنية العديدة من ضمنها قوله تعالى :{ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**}[1]. وجاء أيضا في هذا الصدد قوله تعالى : { **لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ** }[2].

---

1- محمد البشير الإبراهيمي ، أثاره ، 217/4.

2- المرجع نفسه ، 216/4-217 .

فالآيـة الأولى تبيـن لنا المجاهدين الصادقـين ، الذيـن يترفعـون عن الدنيـا المادية ، ويميلـون كل الميل إلـى الدفاع والاستماتة من أجل رفـع الظلم وإقامة العدل في الأرض ، واستتباب الأمن وإحلال السكينة ، وهو ما يدفع المؤمنون حسب الآيـة الثانية إلى عدم الإستئذان وطلب الترخيص لهم برفـع السلاح ورد المعتديـن عنهم ، من طرف سيد المرسليـن محمـد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبهذا التوجيه الإله الواردعن طريق القرآن المنير لسبيل الهدى ، حـاول الإبراهيمي شرح وتوضيح للشعب الجزائـري الذي يرزخ تحت أغلال الاستعمار في هذا الموضوع قائـلا : " هو ما جـاء به الإسلام وسماه جهادا وهو قتـال المعارضين لدعوته ، الواقفيـن فـي سبيلهـا ، بعد تبليغهم الدعـوة ، وتمكينهم من النظر فيهـا بالعقل والرويـة وأنظارهم إلـى المدة الكافيـة لذلك فإن لم يقبلوهـا بعد ذلك ولم يقفـوا فـي طريقها تركـوا وشأنهم ، ولا إكـراه فـي ديـن الإسلام بالنـص القرآني القاطـع " [3].

ففي هـذا النـص الـذي يـدعـو فيه صاحبه الجزائـريين إلى التعبئـة التامــة لرفـع الظلم والأعتـداء عـن أنفسهم عمــلا بقوله تعـالـى : { **وَقَاتِلُــواْ فِي سَبِــيلِ اللّهِ الَّذِيــنَ يُقَــاتِلُـونَكُــمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ** } [1].

---

1- الحجرات : 15.

2- التوبة : 44 ، ينظر سورة النساء : 94. وغيرها .

3- محمد البشير الإبراهيمي ، أثاره ، 364/4 .

هذه دعـوة من الله إلى الخلـق كافة للدفـاع عن أنفسهم ورفع الظلم عنهم في حدود مـا سطر لذلك ، دون مغالات أو تجـاوز للحدود المعمول بها.

لقد انطلقت صيحات داعية لشحذ الهمم ،ودفع الظلم ، والعمل على إجلاء الاستعمار من البلاد وهو مـا يصرح به مصلح آخر مـن جماعـة الإصلاح بالجزائر المتشبعيـن بالقرآن الكريم وهو العربي التبسي موجها خطابـه إلى الأهـالي قائـلا : " ونحن نتجاهل كل حل لا يفي بالرغبة كاملـة ونواصل كفاحنا ما دمنـا ، وما دامت هذه الحكومة مصرة على باطلها، تنتحل له كل يـوم أسباب البقاء ، وتلتمس وجـوه الحيل وتستنجد هذا الفريـق منـا ليكون عونـا لهـا علينـا" [2].

فصاحب النص يرفض الحلول الجزئيـة ، ويدعو إلى مواصلة الجهـاد ، لإزالة الظلم وإبطال الباطل ودفع الغبـن والاستعباد ، هذا مالم يذعن المستعمر إلى المطالب الشعبيـة ، المتمثل في مطـالبة الاستعمار المغادرة من وطنه ، وتسليـم مقالد الحكم إلى أهله الأصلييـن .

فالكاتب هنا نلاحظ عليه سمة التأثير بالقرآن الكريم وخاصة قوله تعالى: { **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** } [1].

1- البقرة : 190

2- العربي التبسي ، مقالات في الدعوة إلى النهضة ، جمع ودراسة : شرفي أحمد الرفاعي ، 178/1.

إن ما ورد هنا يدعو إلى إباحة الجهاد ضد الطغاة المعتدين ، وإن كل من قاموا بالكفاح ضد الظلم تكون نتيجة قيامهم بهذا العمل هو الغلبة والنصر المبين ، لأنهم من الذين أبعدوا من ديارهم بغير حق، وحرموا من أراضيهم وممتلكاتهم . لذلك لايمكن التقاعس عن الجهاد؛ لأن التخلي عن ذلك ، يؤدي حتما الى حدوث الفوضى العارمة التي سينجر عنها إختلال النظام الذى ينجر عنه هدم الصوامع ، والمساجد وبيع ، وهتكت الأعراض ، وكل القيم ، وغيرهامن الأماكن المقدسة ، إلا أن إرادة الله تقف حائلا ضد هؤلاء الطغاة المعتدين فلا تمكننهم من مبتغاهم لأنه هو القوي العظيم ، ناصر الحق ، وإنه على نصرهم لقدير ؛ لأن الحرب في الحقيقة ليست في صالح البشر .

ويحاول الإبراهيمي أن يوضح لأمته رأي الإسلام في هذا الشأن ، لأنه يدرك نتائج الحرب قبل إحلالها ، وأنها لا تبقي ولا تذر إلا الدمار والتعاسة والشقى واليتم ، وكل السلبيات غير المرغوب فيها فيقول : " إن رأي الإسلام في الحرب أنها مفسدة لا ترتكب إلا لدفع مفسدة أعظم منها ، وأعظم مفسدة هي الوثنية التي تعطل العقول وجميع المواهب التابعة لها المنصرفة بأطرها ، وإذا تعطل العقل تعطلت ثمراته وفوائده ، وأصبح الناس في حكم المجانين ، وتسلطت عليهم الأوهام وأصبح نظرهم إلى الحقائق زائغا منحرفا ، وحسبهم نتيجة لذلك أنهم يؤهلون أشياء كلها أحط من الإنسان ، ومنها ما هو من صنعه " [1]. وكأنه استسقى الكاتب هذه الدعوة أو ذاك التوجه من قوله تعالى : { **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** } [2].

---

1- الحج : 39-40.

" إن القتال في سبيل الله فريضة شاقة . ولكن فريضة واجبة الأداء ... لأن فيها خيرا كثيرا للفرد المسلم ، وللجماعة المسلمة ، وللبشرية كلها. وللحق والخير والصلاح "[3]. والآية الكريمة تخبر المسلمين بما أمرهم الله ألا وهو الجهاد ، الذي يبدو صعب المراس نظرا لما يتطلبه من قوة الدفاع ، ولما يتعرض له صاحبه من المخاطر والمجازفات بالأرواح ، ومع ذلك ففي حالة الضرورة لا مفر منه ، لأنه الوسيلة الوحيدة التي يستطيع الإنسان دفع الاعتداء بها على نفسه ، وعلى قومه لرد الاعتبار وإثبات الشخصية ، والكرامة الإنسانية .

وإن كل ما فرضه الله على عبده فيه سعادة تغمره ، بعد تطبيقه لتلك الدعوة التي وجه إليها ، ومثال ذلك ، ما أشار إليه الإبراهيمي في نصه السابق ، فأعظم مفسدة الوثنية التي هي الرجوع إلى الجاهلية الأولى ، والتي حاربها الإسلام ، لما فيها من تجميد الفكر وتعطيل المواهب ، التي تؤدي إلى فسح المجال للعقم الكلي للأمة في جميع مناحي الحياة وعندهاتكون في موضع القطيع دون راع ، وهو مايسهل على العدو قيادتها ونشر مذهبه ، ودمجها في الوسط الذي يحلو له بكل سهولة ويسر ، ومع ذلك فهؤلاء المعتدين الذين يعملون كل ما في وسعهم لزرع أشواكهم في أوساط المجتمع ، أظلهم الشيطان وأعمى أبصارهم عن رؤية الحق المبين ، وأصم آذانهم لسماع الدعوة إلى الصراط المستقيم ، وغفلوا عن نداء الحق الذي جاء في قوله تعالى : { **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** }[1].

1- محمد البشير الإبراهيمي ، أثاره ، 364/4.
2- البقرة : 216.
3- سيد قطب ، في ظلا ل القرآن ، دار الشروق القاهرة ، ط :35 ، 2005 ، 223/1.

هذا وعد من الذي لا يخلف وعده الحق ، وأنه يمحق أهل الشرك ، ويدعم الذين يدافعون من أجل العدل والمساواة ، والأخوة الإنسانية في الله ، وسيورثهم أرضه ، لأنهم من عباده الصالحين الممتثلين لأمره ، ولا يشركون به شيئا لأنه رب التقوى ورب المغفرة . ومن عصى أوامره ونواهيه ، فقد ظل ظلا لا بعيدا ، وسيشقى طول حياته لأن اللعنة نزلت به وأضحى من الذين طردوا من رحمة الله ، وحق فيهم الجهاد في سبيل الله حتى الإبادة النهائية وهو حكم الله فيهم ، لطغيانهم وجبروتهم السافر على مخلوقات الله من جنسهم .

ونخلص إلى أن كلمة الجهاد شرعت من أجل الذود عن حياض المستضعفين المعتدى عليهم من قبل الأعداء المستدمرين لكل ما هو على وجه الأرض . سواء ما تعلق بالحقوق الإنسانية ، أو الحريات الفردية أو الجماعية ، والجهاد شرع لإزهاق الباطل ونبذه ، وبث السلم والسلام ، ونشر الرحمة والحب بين بني البشر، و إسعادهم بالعدل والمساواة .

---

1- النور: 55.

ومن هذا المنطلق ، نجد أن الإبراهيمي وغيره من المصلحين الجزائريين قد قاموا بالدور الفعال في توصيل مفهوم كلمة الجهاد إلى الأوساط الشعبية الجزائرية ، وتوعيتهم به
وكان لدورهم الأثر الكبير في حمل المجتمع على مقاومة العدو الجاثم على بلادهم ، مدة قرن وثلاثين سنة من الزمن ، فتكلل بعدها جهادهم بالنصر المبين والحرية والإستقلال .

## 4-4- العبـــادات :

ومعنى العبادة في اللغة " الطاعة مع الخضوع "[1] لما أمر الله به ، ونهى عنه للخضوع لأمره والقيام بعبادته أحسن قيام مصداقا لقوله تعالى : { **وَمَا خَلَقْتُ ٱلجِنَّ وَٱلاِنْسَ إلاَّ لِيعْبُدُونِ . مَآ أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّنْ رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ يُّطْعِمُونِ . إنَّ اَللَّهَ هُوَ اَلرَّزَّاقُ ذُو اَلْقُوَّةِ اَلْمَتِينْ** }[2].
ومعنى ذلك ، أن هناك " الوظيفة المعينة التي تربط الجن والإ نس بناموس الوجود هي العبادة لله ، أو هي العبودية لله وأن يكون هناك عبد ورب ، عبد يَعبد ، ورب يُعبد . وأن تقسيم حياة العبد جلها على أساس هذا الاعتبار "[3].

لذلك فهي ليست منحصرة عند موضوع الصلاة والصيام ،" بل هي تشتمل كل جوانب الحياة ، فالصلاة عبادة ، والصدقة عبادة ، وعمل الخير عبادة ، والإصلاح بين الناس عبادة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة ، بل إن من سعى للعمل ليكف نفسه عن سؤال الناس ويعفها ، إعتبر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعيه هذا جهاد في سبيل الله " [1].

---

1- ابن منظور، لسان العرب ، م : 3 ، ص 273.
2- الذاريات : 56 - 58 .
3- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، م : 6 ، ج : 26-30 ، ص3387 .

وعندما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن إنسان يعمل بجد ونشاط مامكانـة هذا الشخـص عند الله ؟ فقـال عليه الصلاة والسلام : { **إنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْـنِ شَيْخَيْـنِ كَبِيرَيْـنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعُفُّهَـا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** } [(2)].

وتوضيحا لهذا الموضوع يجب عرض بعض النصوص النثريـة لرجـال الإصلاح الجزائرييـن الذين خاضوا غمـار الجهاد بالكلمة ، ونخص بالذكر منهم على سبيل المثـال لا على سبيل الحصر ، محمد البشـير الإبراهيمي الذي يقـول : " كان الصحابة لاستعدادهم القوي لتحمل رسالة الإسلام بقـوة يحرصون على أخذ هِمات العبادات من فعلـه صلى الله عليه وسلم ، كما يحرصـون على التمثيـل بأخلاقـه والتقليـد لـه فـي معاملتـه لله ومعاملتـه لخلقـه ، وعلى التـأسي بـه فـي الأفعـال والتـرك فـي شـؤون الديـن لعلمـهم أن الفعـل هـو المقصد والثمـرة ، وأن الأقـوال فـي معظـم أحوالهـا ، إنما هي أدوات شـرح ، وقوالب تبليـغ وآلات أمـر ونهـي ، ووسائـل ترغيب وترهيب وأن فـي قـول قائلهـم : " أنـا أشبهكـم صلا ة برسـول الله " ، لدليل على تغلغل هذه النظرة في مستقر اليقين من بصائـرهم ، وأنهم كانـوا يتشددون في أخذ الصـور العملية

---

1- عز الدين بليق ، منهاج الصالحين ، ص 125.
2- المرجع نفسه ، ص125.

من أفعالــه صلى الله عليـه وسلم كما هـي ، ويتحرجون مــن التقصير فيهـا "[1]. بهذا السلـوك السـوي ، الذي كان الصحابة عليهم رضوان الله وسلامـه ، يتبعون سبيله صلى الله عليـه وسلم لأخذ كل الكيفيـات التطبيقية اللازمة في عبادتهم لربهم دون الاكتفاء بالنظري لأنها مصدر توضيح للفعل الممارس فعلا أمـام الأنظـار . وهناك فرق شاسع بين عبـادة الصحابة ومن جاء بعدهم من المسلميـن الذين آمنوا بربهم ، وذلك لبعد المسافـة بينهم وبيـن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ما يؤكده الإبراهيمي في حديثـه : " وقد كانوا يفهمون العبادة بـهذا المعنـى : أن تعبد الله كما شرع على الوجـه الذي شرع فالكيفيات داخله فـي معنى التعبـد ، لذلك لـم يحدث السلف زوائد في العبادات من أذكار وغيرها بدعوى أنهـا زيـادة في الخير كما عمل الخـلف وكانوا يـفهمون يـسر الديـن بمعناه السامي ، وهـو لا إرهـاق فيه ولا إعنات ، وإنه ليس في المقادر الزائدة عن إقامة التكاليف أو في المعاذير الصحيحة العارضة للتكاليف لا كما نفهمه نحن تساهلا وتطفيفا" [2].

هكذا كان السلف الصالح من الصحابة رضوان الله عليهم يؤدون عبادتهـم التي كانت قد وصلت إليهم من منابعها الأصليـة ، وهو القرآن و السنة التي كان مصدرها أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعالـه .

وقد وجـه الإبراهيـمي فـي هـذا الشـأن دعـوة إلـى أبنـاء الأمـة الجزائريـة يحثهم فيها على

---

1- محمد البشير الإبراهيمي ، آثاره ، 146/4.

2- محمد البشير الإبراهيمي ، آثاره ، 4 / 146-147 .

التمسك بعبـادة الله وحده ، وتنفيـذ ما فرضـه عليهم دون التهـاون فيـه وذلك في قولـه : " حثوا إخوانكم على إقامة الفرائـض الديـنيـة والاجتماعية التى أضاعوها كالزكـاة والتـآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر والتواصي بالحق والصبر والرحمة والتعاون على البر والتقوى والتآلف والتحابب مستـنديـن في ذلك كلـه على كـتاب الله وحديث نبيه مستدليـن بنصوصها على النهج السلفـي " [1].

وبهذه الدعـوة الإصلاحية الموجهة للمجتمع الجزائري ، فيما يخص التوجيـه الديني لعبـادة الله المفروضة على المسلميـن بدليل قوله تعـالى :{ **مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**} [2].

ففي هذا تصريـح مؤكـد بـأن الأمر والحكم لله تعـالى ، الذي استوجب على العباد الخضوع لإرادته التـي إرتضاها لهم دينـا صالحا . إلا أن مـا يلفت الإنتبـاه ويدعو إلى الحيرة والقلـق ، هو جهـل السـواد الأعظـم من النـاس لهذه الفائـدة العظيمة ، مع العلم أن من قـام بـأداء شعائره الدينية كاملـة نزولا عنـد أمر ربـه يجزيـه عنـه خير الجزاء ، حيث يكون الاستنـاد فـي تنفيـذ ذلك معتمدا على الأمر اليقيـن ، في التبليـغ ، فـإذا ما وجد خلافا فـي ذلك يجب الرجـوع إلـى المصـادر الأساسيـة للعبـادة ، والتـي يدعـو إليهـا الإبراهيمـي فـي قولـه : " وكـان **أَلِيمٌ** } [1].

العلماء يردون كل ما اختلفوا فيـه من كل شيء ، إلـى كتـاب الله وسنة رسـول الله ، لا إلى قـول فلان ورأي فلان ، فـإذا هم متفقـون علـى الحق الذي لا يتعدد . ولقد أنكر الإمام مالك على ابن المهدي – وهو قرينـه فـي العلم والإمامـة – عزمه على الإحرام من المسجد النبوي فقـال ابن المهـدي : إنمـا هي بضعـة أميال أزيدهـا ، فقـال مالك : أو ما قرأت قولـه تعالى : { **لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ**

---

1- المرجع السابق ، 3/180-181.

2- يـوسف : 40.

وأية فتنـة أعظم من أن تسول لك نفسك أنك جئت بأكمل مما جـاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ... ثم تلا قوله تعـالـى : { **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** } [2].
وقـال كلمته الجامعـة التي كـان عليها لألاء الوحـي وهي قوله : " فما لم يكـن يومئـذ دينا فليس اليوم بدين " [3].

فالإبراهيمي في نصه هذا يذكر أن المعارضة فيما يخص العبادات بالزيادة أو النقصان من قبل رجال العلم مثل الذي صـدر عــن الإمــام مالك رضــي الله عنـه لجديـرة علـى المحافظــة على العبادات التي شرعها الله على عباده،ودوام صلاحيتها ونظافتها من كل شائبة تلحق بها.

---

1- النور: 63.
2- المائدة : 3.
3- محمد البشير الإبراهيمي ، آثاره ، 149/4.

فالعبادات شرعـها الله لتوضيح العقائـد الإيمانيـة ، وتخصيص المساجد بيوتـا لإقامـة الشعائر الدينيـة ، ومظهرا من مظاهر إجتماع المسلميـن بها لإقامـة الصلاة وغيرها من المهـام التي تفيد الإسلام والمسلميـن ، وهو ما يبـرزه الإبراهيمي فـي قولـه : " إن الإسلام إنما شرع العبادات لتكون شواهـد وبينـات على العقائـد الإيمانيـة ، ثـم جعل المسجد بيتـه ليكون مـظهـرا لتلك الشـهـادة ، فكـل ما يقـع فيه من صلاة واجتماع لها ومجالس مدارسة ، وخطب فهو إعــلان لتلك الشهـادة فيجب أن تتظـاهر هذه الأشياء كلها على الحق وأن يكون على أسـاس
الحق حتى تكون شهادتها حقـا على عقائد الحـق " [1] .

هذه لفتـة إلـى علو نجم العبـادة ، لأنـها حق فرضت من الخالق على خلقه لما فيها من فوائد جمـة تعود على من إلتـزم بأدائها بنشاط وحيويـة ، وشعور بالسعادة ، والراحة النفسية نتيجة لما قام به مـن الواجـب لإرضاء خالقـه ، الذي يجعله محـررا مـن قيـود التبعيـة لغير الله واللاحقة لمـن يـقـوم بتأديتها كما أمـر الله .

وقد جعل القرآن الكريم نظامـا خاصا ، وأوقاتا معلومة للعبادات ، ويبرز الإبراهيمي ذلك بقولـه : إن " الأوقـات الفاضلة وأفضلها شهـر رمضان ؛ لتلاقـي عدة عبادات فيـه ، من الصـوم والصدقـة والتراويح والتهجد ، وكل عبادة منهـا ذات أثـر في النفس " [2].

1- المرجع السابق ، 203/2 .

2- المرجع نفسه ، 314/2 .

ولأهميـة هذا الشهر العظيم الذي أنـزل الله فيه القـرآن الكريم على رسوله صلى الله عليه وسلم ليخرجهم من الظلمـات إلـى النور هدايـة منه سبحانـه وتعـالى ورحمة لخلقه ، كما جاء فـي قوله تـعـالـى : { **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** } [1]. ومعنى الآيـة الكـريمة ، أن شهر رمضان هو منبع الرحمـة والغفـران والتـوبـة النصوحة المباركة ، وهو الحد الفاصل بين عبـادة الأوثان ، وعبادة الرحمن ، وفيه نـزل الحـق وزهـق الباطـل ، إن البـاطل كـان زهوقـا بنـزول القـرآن الكريم الذي سمي بالفرقـان الـذي فـرق بيـن ديانـة الشرك ، وديانة الإسـلام .

ويصـور الإبراهيمي عبـادة الصيـام في هذا الشهر بأنها تختلـف عن سواهـا من العبادات لبعدها عن المغريـات التي تتوجـه إليها النفـوس والأنظار ، موضحا ذلك بقولـه : " وهذا صوم رمضان ... عبادة دينيـة محضة ، وهي أبعد العبادات عن الماديـات التي تغرى بتدخل الطامعيـن في شؤونه ، فهو أشبه بالفقير الذي ليس معه من المـال ما يغري اللصوص بالاعتداء عليه ، إذ ليس لـه مـن الأوقاف مـا يـقيمه كالصلاة والمساجد ، ولا يـفتقـر فـي إقـامته وأدائـه إلـى سفينة أو طائـرة تنقـل إليه ، ولا إلـى رخصة انتقال تــثيـر غريزة التحكم " [2].

---

1- البقرة : 185.

2 – محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر، 174/2.

إذن فعبادة الصيام تكون بين العبد وربه ، لذلك فهي عبادة روحانية لا تحتاج إلى مساعدة أو وساطة للقيام بها .

ولذلك نجد أن العبادات في الدين الإسلامي الحنيف تختلف في الإتجاهات والمقاصد ويمكن الإطلاع عليها عن طريق النصوص ، أو بمجرد استعمال النظر العقلي ، ومنها ما يتطلب التأمل والاستنباط ، وهو ما أشار إليه الإبراهيمي في حديثه : " لكل عبادة في الإسلام حكمة أو حكم ، يظهر بعضها بالنص عليه أو بأدنى عمل عقلي ، ويخفى بعضها إلا على المتأملين المتعمقين في التفكير والتدبر ، والموفقين في الاستجلاء والاستنباط "[1]. بهذا الأسلوب المتبع تنكشف فوائد العبادات ودرجاتها من ناحية القوة والضعف .

ثم يضيف الإبراهيمي في كلامه عن العبادات بأن الهدف الأسمى والجوهري يتجه نحو تطهير النفس البشرية من الدنس العالق بها قائلا : إن " الحكمة الجامعة في العبادات كلها هي تزكية النفس وتطهيرها من النقائض الروحية ، وتصفيتها من الكدرات ، وإعدادها للكمال الإنساني ، وتقريبها للملأ الأعلى وتلطيف كثافتها الحيوانية ، وينفرد الصوم من بين العبادات بأنه قمع للغرائز عن الاسترسال في الشهوات التي هي أصل البلاء عن الروح والبدن وفطم أمهات الجوارح عن أمهات الملذات ، ولا مؤدب للإنسان كالكبح لضرواة الغرائز والحد من سلطان الشهوات عليه " [2]. بهذا الشرح الوافي لفائدة عبادة صيام رمضان المعظم التي يقوم بتأديتها الإنسان المؤمن ليتقرب من خلالها إلى الله سبحانه وتعالى .

---

1 - المرجع السابق ، ص574.

2- المرجع نفسه ، ص574 .

نلاحظ في حديث الإبراهيمي هذا ، أنـه جعل من عبادة الصوم الوسيلة الأولى لوضع حد فاصل للسيطرة على الغرائز الانسانية وعدم السماح لها في التمادي ، على ما يجلب على فاعلها غضب الإله ، الذي ينتج عنه اللعنة الأبدية. ولذلك يفترض غلق جميع السبل التي تغري الإنسان بعبادة الصيام التي تقوم سلوكه ، وتعوده على الصبر الذي يمده بـقوة الإيـمان الحـقيقي والتي تنشئه تنشئة حسنة ، وتربيه تربية سليمة ، فيستطيع حينها تحمل نوائب الدهر التي تتعرض له أثناء ممارسته للحياة اليومية .

وبذلك يستطيـع كبح جماح النفس ، واضعـا نصب عينيه نورا من قبس الذكر الحكيم الذي يقـوده إلـى الهدايـة الربانيـة التـي جـاء فيهـا قولـه تعـالـى : { **لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** } [1].

فمعنى الآيـة الكريمـة التي يخبـر الله فيها بإرسال الرسول لكل أمـة لتبليـغ الرسالـة لعبـاده المؤمنيـن داعيا فيها بأن الخضوع والطاعـة لا يكون إلا لله وحده ، رب العرش العظيم ، وأن يتجنبـوا العصيـان والمروق عن هدى الرحمـن.

ومن أجل الحفـاظ على الكيـان البشري ، نلاحظ أنه يفترض على الإنسان التمسك بالنظـام الإلهي الذي لـم يتـرك شاردة ولا واردة إلا ووضـع لها قانونـا يدعـو فيه للتـي هـي أقــوم

1- النحل : 36.

ولذلك فمنهم من استجاب فهداه الله ومنهم من كــفر فأضلـه الله [1].

وإضافة إلى كل ما سبق ذكره ، نرى أنه من الصعب تحديد المفهوم الإسلامي للعبادة وحصرها في خصوصية متفردة ومستقلة بذاتها ، لأن كل عبادة يقوم بها الإنسان لا بد وأن يتوجه فيها بنية خالصة إلى الله تعالى .

وإذا ما حاولنا البحث عن القواعد الأساسية للعبادات نجد أنها منحصرة فيما جاء في الحديث النبوي الشريف ، الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم : { **إِنَّ الإِسْلاَمَ بُنِيَ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةَ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّـهَ. وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ** } [2].

تلك هي المنطلقات الرسمية للعبادات المفروضة ، التي لا يمكن أن تنفصل عن بعضها ، وعلى المسلم أن يقوم بها جميعا، ليتم دينه ، الذي ارتضاه الله له .

### 4- 5- الشـــورى :

لقتد ورد في تعريف الشورى أو المشورة بضم الشين مفعولة لأنها مصدر ، وشاوره ومشاورة وشوارا ، وكذلك القول في " استشاره : طلب منه المشورة [3]. وأشار الرجل يشير إشارة إذا أومأ بيديه أو ما أشار عليه بالرأي.وأشار يشير إذا ما وجه الرأي " [4].

---

1- أنظر محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 126/2.

2-- مسلم ، صحيحه ، شرح النووي ، 177/1 .

3- ابن منظور، لسان العرب ، 446/4.

4- المصدر نفسه ، 437/4 .

نفهم من هذا التعريف بأن الشورى هي البحث عن الرأي الصالح لحدث طارئ ومهم لذلك من المفروض أن يعرض على أهل الحل والعقد. وهو الأمر الذي دعيت إليه أمة الإسلام عن طريق نبي الهدى في قوله تعالى :{ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** } [1]. وهذه دعوة موجهة من الله وحيا لمعلم البشر محمد صلى الله عليه وسلم في كيفية إتخاذ القرار أثناء المواقف كالحرب وغيرها من الأمور التي لم ينزل عليه فيها وحي ، ليستظهر برأي أصحابه ولما فيه من الدعوى إلى التعاون والمشاركة في الرأي حيث ورد عن الحسن رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم :

" **مَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ قَطُّ إِلاَّ هَدَوْا لِأَرْشَدِ أَمْرِهِمْ** " [2].

وكذلك ما ورد في سيرة حبيب الله محمد صلى الله عليه وسلم عندما علم بخروج قريش للدفاع عن قافلتهم التجارية بزعامة أبي سفيان بن حرب ، " فاستشار على الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمر وقال : يارسول الله ، إمض لماأمرك الله فنحن معك ، والله لانقول لك كماقالت بنوا إسرائل لموسى، وهو قوله تعالى:" **قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ".**[3]ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنامعكما مقاتلون ، فوالذي بعثك

---

1- آل عمران : 159.

2- الزمخشري ، تفسير الكشاف ، تحقيق محمد مرسي عامر ، دار المصحف القاهرة ، ط : 2 ، 1977 209/2 .

3- المائدة : 24.

بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد[1]. لجادلنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له به "[2].

هكذا كان معلم الخلق يستشير أصحابه في كل المهمات التي لم ينزل فيها الوحي ، وكان يأخذ برأي أصحابه ، وكانت لهم أراء سديدة وموفقة ، عادت على الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه بالنصر المبين ، كما هو الأمر ببدر الكبرى وغيرها من المواقع الكثيرة التي تزخر بذكرها السيرة النبوية الشريفة ، وسيرة الخلفاء الراشدين من بعده ، وغيرهم من الخلفاء والأمراء الذين جاءوا من بعدهم ، واقتفوا أثارهم في الشورى فأصلحوا أمرهم وسادوا على غيرهم بهذه السنة الحميدة . وفي مثل هؤلاء جاء حديث النبي صلى الله عليه وسلم : **" إِذَا كَانَتْ أُمَرَاؤُكُمْ خِيَارُكُمْ وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سُمَحَاءُكُمْ وَأَمْرُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ فَظَهْرُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا "**[3].

فالحديث الشريف يخبر بأن الأقوام الذين يعملون بأمرالشورى ، فإن إستمرار بقائهم ودوامهم في الحياة أفضل من زوالهم ؛ لأن في زوالهم خسران مبين للأمة الإسلامية .

ولكي يكون للأمة الإسلامية كيان في الوجود لا بد لها من الرجوع إلى الله ورسوله والاطلاع على السيرة الحميدة ، والتاريخ المجيد الذي أدى بالدولة الإسلامية إلى أن تكون

---

1- برك الغماد : موضع باليمن .

2- عز الدين بليق ، منهاج الصالحين ، ص439-440.

3- المرجع نفسه ، ص439 .

خيـر أمة أخرجت للنـاس ، لأن من ضمن تلك الطرق المتبعـة فـي حكمهم اتبـاع نظـام الشورى مصداقـا لقولـه تعالى : { **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** } [1]. وبهذه الطريقـة التـي أشـار إليهـا القرآن الكريم المتمثلـة في الشورى التي حـاول رجال الإصلاح الجزائرييـن أن يتمسكوا بها في التعامـل فيما بينهم ، ثم بثهـا في نفوس أبنـاء أمتهم لتبقى هي المصـدر الأساسي لقيـام نظـام الحكم السليـم .

وذلك مـا نلاحظه في قـول ابن باديـس إبـان الاستعمار الفرنسي بالجزائر ، الذي سلط عليـه وعلى الجمعيـة ما سلط من القمـع ، ومحاولات الإفشـال لأداء المهمة المنوطـة بهم ، التي تتمثل في نــشر القيم الإسلامية ، ومحاربـة الجهل والذل ، لذلك فهـو يقـول لهم : " وسيكون لنا جميعـا من إقـامة سنـة الشورى أعظم مـرشـد ، ومـن نـورها أهدى هاد ، وسأصدرها من رأيــهـا الموافـق للمصلحـة العلميـة رفضـا أو قبــولا " [2].

من هذه المنهجيـة السليمة في سلوك منهج الشورى التـي أشـار إليهـا ابن باديـس للاقتـداء بهـا نـزولا عند قوله تعالـى : { **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ**} [3]. وفـي هـذه الآيـة الكريمـة دليل واضح على أن العمل بالشـورى من طرف الحكام مـن السلوكات الإيجابيـة المفيـدة . نـلاحظ أن هذه الآيـة الكريمة تقدم نموذجـا لحكم تلك الملكة التي تطرح مشكلة على مساعديها ليجـدوا لهـا حلا موفقـا ، وأبت أن لا تقـوم بأي شيء

---

1- الشــورى : 38.

2- محمد الطاهر فضلاء ، قال الشيخ الرئيس الإمام عبد الحميد بن باديس ، ص294 .

3- النمل : 32.

إلا إذا أشاروا عليها بالرأي الراجح والمعقول ، وهو نفس الهدف الذي نجده في حديث ابن باديس السابق ، الذي حاول فيه أن يرتكز على النظم المستمدة دائما من الشريعة الإسلامية الغراء ، ومن الحكم والأمثال الواردة في القرآن الكريم ، التي تنطوي على صور حية وتوجيهات ذات مستقبل لا يخلوا من الدفع نحو التقدم والازدهار بالنسبة لمن إنتهج نهج القرآن الكريم .

وبهذا الأسلوب المتبع في تنشيط جمعية علماء المسلمين في نظام الشورى الذي أضفى عليها هالة من التقديس والاعتزاز من طرف أعضائها، والتفاف الشعب حولها، استطاعت في برهة من الزمن أن تقدم للأمة الجزائرية عملا جليلا ، يعيد لها مجدها التليد ، ويمحوا كل ما علق بالأمة الجزائرية من التنصير ، والإندماجية المسلطة ، من أجل مسخ الشخصية الجزائرية ، وتشويه الدين الإسلامي بوسائله الجهنمية ، التي تتمثل في رجال الطرقية الذين فسح لهم الاستعمار مجالا واسعا ، ودعما معتبرا خدمة لأغراضه الإستعبادية والتضليلية.

ولكن إرادة الله كانت وما تزال قائمة ، إذ بعث في نفوس رجال الإصلاح روح الإيمان الصادق بالله وحده ، فاجتمعوا في جمعيتهم الطاهرة ، وتشاوروا في أمرهم فتوحدت كلمتهم عملا بقوله تعالى : { **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** } [1]. فاستعانوا بالله ، وقاموا بثورة ضد كل العادات والتقاليد البالية

---

1- آل عمران : 159.

ففتحوا المدارس في أنحـاء القطر الجزائري لتعليم الأبنـاء حب الوطن ، والدين الإسلامي النظيف الخالي من البدع و التدجيل ، فكانوا خيـر خلف لخير سلف ، ومن هؤلاء الطلبة كان الإمداد لثورة نوفمبر 1954م التي تكللت بالنصر المبيـن .

4 – 6 - **صفـات أخــرى :**

لقد حاول رجال الإصلاح لجمعيـة علماء المسلميـن بالجزائر التعرض فعـلا لمجموعـة من الصفات التي يجب أن يتصف بهـا كل من آمن بالله واليـوم الآخر ، والقضاء والقـدر . ليتمكن الإيمان الصحيح من الولوج فـي قلوب المؤمنين ، حسب ما تتطلبه الظروف النفسية المحيطة بحياة الشعب الجزائري الموجه عادة حسب سياسة المستعمر .

وقد ورد الكلام عن هذه الصفات في الحقيقـة والواقع ، وقيل أنهـا تبدو " واحدة من حيث مصدرها وأصلهـا ، متنوعـة من جهـة موضوعاتها ، ومن ناحيـة أخرى ، فـإن الذين يقـولـون بوحدتــها إنـما يــعنــون بذلك الترابــط التــام بين موضوعاتــها ، بحيث لا يختلف واحد من هذه الموضوعات بنـــاء على أنهـا مؤسسة على العقـل والإرادة الخيـرة أو طهـارة القلب . وإذن فتنوعهـــا يقصـد بـــه تعدد صـورها وأشكـالها أو إن قلـت : تعـددت موضوعاتهــا " [1]. هذا مـن جهة ، ومـن جهة أخـرى ، نجد أن ما تمليه تلك المناسبات ، يهدف إلى إبراز الإحســاس النفسي الـذي ينتــاب ذلك الشخص المصلـح ، وما يحيـط بـه من تلك الظروف التي يعيشهـــا الشعـب الجزائــري ، الـذي هـو بـأمـس الحاجـة إلـى مـن يأخذ بيـده ، ويوجهـه التوجيـه

1- محمد عبد الستار نصار ، دراسات في فلسفة الأخلاق ، ص240-241 .

السليم. لأن الحياة السائدة أصبحت تتحكم فيها سياسة الاستعمار، التي تهدف إلى مسخ التعاليم الإسلامية ، أو بعض الصفات الخلقية، وإحلال بعض السلوكات غير اللائقة التي تؤدي حتما إلى التجهيل والاستعباد [1].

لذلك حاول رجال الإصلاح التوضيح بأن الأمة الإسلامية كانت ولا تزال أفضل الأمم على وجه الأرض ، وأن الأمر الذي جعلها ترتقي إلى أعلى المراتب ، هو ذلك السلوك المنتهج في التربية والتعليم ، وهو الذي نجد الإبراهيمي يدعو إلى الإلتزام به ، مع تلقينه لمن سيخلف الآباء والأجداد ؛ لأن في تعليمهم لهذه الصفات الحسنة يؤدي حتما إلى اكتمال رجولة ذلك النشء لذلك فهو يقول : " ربوهم على الرجولة وبعد الهمة ، وعلى الشجاعة والصبر وعلى الإنصاف والإيثار ، وعلى البساطة واليسر ، وعلى العفة والأمانة ، وعلى المروءة والوفاء ، وعلى الاستقلال والاعتداد بالنفس ، وعلى العزة والكرامة ، وعلى التحابب والتسامح وعلى حب الدين والعلم والوطن والوالدين والمعلم "[2].

إن في هذا الحديث العديد من الفضائل الحميدة التي إن تمكن الشعب الجزائري من فهمها وعمل بها فإن عمله ذلك يكون من الأعمال الصالحة ، مصداقا لقوله تعالى : { **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** } [3].

---

1- محمد ناصر بوحجام ، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، 87/1 .

2- محمد البشير الإبراهيمي ، آثاره ، 165/3.

3- النحل : 97.

فمعنى الآية موجه إلى الذين آمنوا بالله كافة دون التمييز بين الذكر والأنثى لأن الشرط الوحيد هو الإيمان بالله ،. وكل من تتوفر فيه تلك الشروط فحياته تكون سعيدة ، ويعمه الخير العميم ، جزاء ما قام به من الأعمال الصالحة التي من ضمنها التمسك بالدين الإسلامي الذي يصفه عبد الحميد بن باديس بأنه هو" الذي يحترم الانسانية في جميع أجناسها فيقول الله تعالى : { **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** }[1]. ويقرر التساوي والأخوة بين جميع تلك الأجناس ويبين أنهم كانوا أجناسا للتميز لا للتضيل ، وأن التفاضل بالأعمال الصالحة فقط. فيقول : { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** }[2].

ويدعو تلك الأجناس كلها إلى التعاطف والتراحم بما يجمعها من وحدة الأصل ووشائج القرابة القريبة والبعيدة "[3]. مستدلا على هذه الصفات بقوله تعالى : { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**}[4].

---

1- الاسراء : 70 .

2- الحجرات : 13.

3- من تراثنا الإسلامي ، أثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، دار البعث والنشر قسنطينة الجزائر، ط : 2 ، 1985 111/4 .

4- النساء : 1 .

إن الدين الإسلامي عند عبد الحميد بن باديس هو الذي:"يقرر التضامن الإنساني العام بـأن الإحسان إلى واحد إحسان إلى الجميع والإساءة إلى واحد أساء[1] إلى الجميع "[2] مسترشدا فـي ذلك بقولـه تعـالى : { **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاء تْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ** } [3] .

ثم يضيف ابن باديس في حديثـه عن إحترام الأديـان من قبل الدين الإسلامي مذكرا بأنـه : " يعترف بالأديـان الأخرى ويحترمها ويسلم أمر التصرف فيهـا لأهلهـا "[4]. مدعما ذلك بقوله تعـالى : { **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** }[5].

ففي هذه الآيـة الكريمة ، دعـوة إلى إحترام الأديـان وتـقديسها بصفـة عامة ، مع وجود تخصيـص للمسلم الذي يفترض عليـه أن يتمسك أكثر فأكثر بدينـه الإسلامي القويـم ، لاشتمالـه على كافـة الأديان السماوية . فالمسلم لايليـق له أن يتخلى عن الكل ، ويتمسك بالجـزء . الذي يتمثل في اتباع ديـن غيره ، الذي يشتمل على شذرات طفيفة من الصفات الأخلاقيـة وغيرهـا من المثاليات الإنسانية السامية التي لا تكفي لبنـاء الشخصية الكاملـة .

---

1- هكذا في الأصل ، والصواب : إساءة .

2- من تراثنا الإسلامي ، أثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، 111/4 .

3- المائدة : 32.

4- من تراثنا الإسلامي ، أثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، 111/4 .

5- الكافرون : 6.

ويستمر ابن باديس في حديثه عما يمده الدين الاسلامي من السلوكات الخلقية لبناء التكامل الإنساني من أجل نشر الخير ونبذ الشر، إذ أنه : " يقرر شرائع الأمم ويهون عليها شأن الاختلاف ، ويدعوها كلها إلى التسابق في الخيرات "[1]. معتمدا في هذا على قوله تعالى : { **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** } [2].

إن في هذه الآية توضيحا بأن هناك شرائع ومللا سبقت شريعة محمد صلى الله عليه وسلم . وإن التعدد في الشرائع ، هو الذي جر إلى التفرق والتشتت ، وعدم التمسك بالشريعة الواحدة ، وهذا بلاء ابتليت به الإنسانية ، وأن ما ينفع الإنسانية في هذه الحالة هو التوجه إلى ما يسعد الإنسانية من عمل الخير ، ونبذ الشر .

ويستمر ابن باديس في الكشف عن الصفات التي يتقدم بها الدين الإسلامي بأنه :" يأمر بالعدل العام مع العدو والصديق " [3]. أثناء الأحكام الصادرة من الحكام والقضاة ، لنشر الإخاء والوئام بين الناس جميعا ، مستدلا على ذلك بقوله تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** } [1].

---

1- من تراثنا الاسلامي ، أثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، 111/4 .

2- المائدة : 48.

3- من تراثنا الاسلامي ، أثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، 111/4 .

والأمر في هذا ، هو الحث على نزاهة إصدار الأحكام واستقامتها دون المساس بحقوق الغير أو إعتماد فكرة الإقصاء. ويتابع ابن باديس في عرضه لنبذ بعض الصفات المذمومة مذكرا بأن الدين الاسلامي هو الذي " يحرم الاعتداء تحريما عاما على البغيض والحبيب"[2]. مستندا في هذا العرض على قوله تعالى :{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** }[3]. فالآية الكريمة هنا تلزم المسلمين على التعامل مع الغير بالتي هي أقوم ، دون المساس بحقوقهم المشروعة.

هذا ويضيف فضيلة أخرى هي الدعوة إلى " الإحسان العام " [4].

كما في قوله تعالى : { **إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**}[5]. ففي الآية أمر للبشرية بالتعامل فيما بينها بالإستقامة

---

1- المائدة : 8

2- من تراثنا الاسلامي ، أثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، 111/4 .

3- المائدة : 2.

4- من تراثنا الاسلامي ، أثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، 111/4 .

5- النحل : 90.

والإعتدال ، وفعل الخيـر بالإحسان إلى من يستحـق ذلك .

وعلى غرار ما سبـق ذكره من الصفـات الحميدة ، نجد الإبراهيمي يجعلها من الفرائض الدينيـة التي لا يمكن للمسلم أن يتخلى عنها قائـلا : " حثـوا إخوانكم على إقـامة الفرائض الدينية والاجتماعيـة التي أضاعوها كالزكـاة ، والتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر، والتواصي بالحـق والصبر والمرحمـة والتعاون على البـر والتقوى والتآلف والتحابب ، مستنديـن في ذلك كلـه على كتاب الله وحديث نبيـه مستدليـن بنصوصها " [1]. هكذا كانت دعـوة السلف الصالح إلـى الرجـوع فـي كـل شيء إلـى المنبعيـن الأساسيين كتـاب الله وسنة نبيـه لا غير ، دون زيادة أو نقصان.

فإذا ما أخذ المؤمـن هذه التعاليم وعمل بها حسب حديث الإبراهيمي فإنـه يكون من عباد الله الصالحين الذين اقتفـوا أثـار الأوليـن ، الذي قال فيهم الله تعـالى : { **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** }[2]. فـالآيـة الكريمة تخبـر بـأن الأمـة الإسلامية فـي سالف عهدها كانت من أفضل الأمم ، لأنها كانت تفعل الخيـر، وترشد الناس إلى الإحسان ، وتنهاهم عن الأعمـال الذميمة ليكونوا مؤمنيـن حقـا كما أراد الله أن يكونوا ، لا كما يرغب الاستعمـار .

---

1- محمدالبشير الإبراهيمي ، أثاره ، 3/180-181 .

2- آل عمران : 110.

## 7-4- بعض الصفات السلبية :

تطرقنا فيما سبق إلى عرض بعض الصفات الإيجابية التي دعى إليها رجال الإصلاح في كتاباتهم ، التي يفترض أن يتحلى بها الإنسان المثالي ، ومع ذلك لم ينس هؤلاء الإصلاحيون استعراض بعض الصفات السلبية ، التي تسبب ضررا للأفراد والمجتمعات وتنخر قواهم وتعبث بهم ، وتكون سببا في عدم اسعادهم في حياتهم اليومية ، كالظلم الذي هو " وضع الشيئ في غير موضعه "[1]. وللتوضيح أكثر لهذه الصفة . " حديث الوضوء : فمن زاد أو نقص فقد أساء وظلم ، أي أساء الأدب بتركه السنة والتأدب بأدب الشرع وظلم نفسه بما نقصها من الثواب بترداد المرات في الوضوء " [2].

فالدعوة هنا تحثنا إلى الأعتدال ، والاستقامة بإتمام السنة بكيفية سليمة لكي يكون المرء عندها من الذين قال الله تعالى فيهم : { **الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** } [3].

فالآية الكريمة تعني أولئك الذين لم يلبسوا إيمانهم بالكفر ولا الشرك الذي يعتبر من المعصية العظمى لقوله تعالى : { **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** } [1].

---

1- ابن منظور، لسان العرب ، 373/12.
2- المرجع نفسه ، ص373 .
3- الأنعام : 82.

فالآيـة هنـا تنهى عن الإشـراك بالله لأن في ذلك اعتـداء وتجـاوزا علـى سلطة الخالـق جلت قدرتـه وسمى على أن يشرك به ؛ لأن في الشرك كفرا وعصيـانا ونتيجة ذلك ما يـؤدي إلى الخروج عن النظام المعمول بـه في شرعتناالإسلامية السمحاء.

وقـد أوضـح الإبراهيمي صفـة الظلم وعقباهـا حسب تعليـق القـرآن الكريم عليهـا قائـلا : " إن الفائـدة الكبـرى التي يعلقها القـرآن على السيـر في الأرض والوقوف على آثـار الأمم البائـدة في الإعتبار بحـال الضالين وعقبى الظالميـن ليعلم المعتبـر أن الظـلم هو سوس المدنيات فيقيم العـدل ، وإذا جـاء العـدل جـاء العمـران ، وإذا جـاء العمران قامت المدنيـة وكان العـدل سياجها وهـذه هي مدنية الإسـلام " [2]. فالحديث هنا يدعـوا إلى ما يرشدنا إليـه القرآن الكريم وهو الوقـوف على تاريخ الأمم البائـدة، وأثـرها الذي أندثر، وزال نتيجـة إقامتهـا الحكم على الظلم والطغيان ، المؤدي فـي الأخير إلى تخريب عروشـهـا، وحضارتـها التـي أقامـتها وحقت عليهـا لعنـة الله إذ يقـول فـي كتابه العزيـز :{ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** } [3].

وعلى هذا الأساس يمكن أن يتخـذ الفرد من تلك الحضارات المندثرة عبـرة تجعله يستعيد رشده ،ويتعض من تلك الأحداث الحضارية ، ويحاول أن يصلح من أمره ، وذلك بإقامة العدل ونشره ؛ لأنه أساس بناء الحضارات أو المدنيات التي ينشـدها الإسـلام ، مثـل ما هـو وارد في القرآن الكريم وفي قوله تعالى :{ **إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** } [1].

---

1- لقمان : 13 .

2- محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 260/1.

3- هود : 18 .

ونجدفـي هـذه الآية عـدة عظات أخلاقيـة يحث فيها القرآن المسلميـن إلى التمسك بها ولكن ما يهمنـا هنـا فـي هـذه الآيـة هو الدعـوة مـن القـرآن الـذي يعنيه الإبراهيمي لإقامة العـدل من الحاكم المطلع على تقصير الحكام الذيـن سبقوا ، ولم يرفعوا الظلم ، فباءوا بغضب من الله وكانت عاقبـة أمرهم هو الزوال ، فصاروا عبـرة لمـن اعتبـر ، فرفع الظلم والجـور كما يذكر ابن باديـس عن " الذين يحتـرمـون الإنسانيـة فـي جميع أجناسها وجميـع أديانـهـا ويرحمـون الضـعيف ويـنصرون المظلوم ويقاومـون الظلـم والاستعبـاد " [2].
لأنـهم أدركـوا مغبـة الظلـم وفهمـوا قولـه تعالـى : { **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** } [3].
ومعنى الآيـة أن الظلم منبـوذ ومرفوض ، لذلك فـإن الله لا يعيـن صـاحبه على الوصول إلـى أهدافه الظالـة، ولـن يكـون له ناصر لأنه عاث فـي الأرض فسـادا .
وأصبح من ذلك الصنف الذي ينعته العربي التبسي من الاستبداديين المتمثل في الاستعمار الفـرنسي قـائـلا : " ولقـد حاربت قـوانيـن الظلـم وإدارة الطغيـان المـدارس ، والـديـن واللغــة

---

1- النحل : 90.
2- محمد الطاهر فضلاء ، قال الشيخ الرئيس بن باديس ، ص101.
3- الحج : 71.

وقصدها من ذلك ، أن تهدم منا العزم ، وأن تنفر منا الغني ، والقائد ، والباشاغا والموظف .ولقد وصلت إلى بعض غرضها في غير فل للعزيمة الصادقة . وما بقي هنا ومعنا إلا أهل الله أهل الجنة إن شاء الله " [1]. الذين يعتمدون على قوله تعالى : {**وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ**}[2]. ومعنى الآية أن أولئك الظالمين يعتقدون بأنهم الأعلون ، ونسوا أن هناك من هو أعلى منهم ، يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور ، وأنه سيقتص منهم طال الأمد أو قصر .

ويضيف العربي التبسي في الشرح والتوضيح عن ذلك الاستعمار الفرنسي المعتدي على أناس أبرياء همهم الوحيد هو أن يكون لهم كيان بشري في وطنهم المسلوب لذلك فهو يقول : " والحق إن هذه الدولة أقترفت في العصر الحديث ما لم يقترفه فرعون في القديم "[3]. مصداقا لقوله تعالى : { **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** }[4].

فالحقيقة والواقع أن الدولة الفرنسية في الجزائر السليبة ، قد فعلت في الشعب الجزائري أكثر مما نسب إلى الطغمة العاتية التي فرقت ، وشتت الأهل والأقارب ، وأن تصرفها ذلك يتمثل في تصرف فرعون الذي كان من المفسدين في الأرض .

1- العربي التبسي ، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية ،جمع وتعليق: شرفي أحمد الرفاعي ، 193/1.

2- إبراهيم : 42.

3- المرجع السابق ، 193/1.

4- القصص : 4.

ثم ينتقل بنا العربي التبسي إلى عرض قيمة الظلم في مرحلتنا الحالية قائلا : " والظلم اليوم بغيض إلى كل الشعوب والأمم ، ويكفي الظالم خذلانا وفضيحة أنه لا يستطيع أن يسمى منكراته وموبقاته بأسمائها الحقيقية . بل يضطر إلى إعطائها أسماء مستعارة قد تكون أضداد أسمائها الحقيقية "[1]. نلاحظ على المعتدين اليوم يخفون سيطرتهم على الضعفاء بمسميات فلسفية أو قل إن شئت سياسية تحت ستار نشر التقدم والحضارة الزائفة ، القائمة على الظلال والتظليل . ناسين أو متناسين قول الله تعالى : {**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**}[2]. ومعنى الآية أن كل ما بني على باطل فهو باطل . لذلك جاءت الآية تحرم كل أعمال الرذيلة البارزة منها أو المستترة ، لأنها تجر على فاعلها الويل والثبور .

ويذكر الإبراهيمي في حديث له مستغربا من ذلك الاستعمار الفرنسي بالجزائر الذي نصب نفسه هو الحاكم وهو المحكوم . في قوله " وإنه - والله – لوضع غريب ، وقبيح أن يكون الحاكم الفرنسي هو المشرع والمنفذ والمرجع في كل شيئ وأن يكون المسلم الجزائري من هذا الوضع في دائرة مفرغة ، يبتدئ من حيث ينتهي وينتهي من حيث يبتدئ ، ويشتكي من الظلم إلى الظلم "[3]. هذا هو الوضع الذي عاشه الشعب الجزائري أثناء الاحتلال

---

1- العربي تبسي ، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية ، جمع وتعليق: شرفي أحمد الرفاعي ، 197/1.

2- الأعراف : 33.

3- محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر، 183/2.

الفرنسي ، ثم يضيف االإبراهيمي على الوصف السابق قائلا : " أراد في الأول أن يظلم النـاس ولا يتظلمون وأن تبسط يداه فيهم بالضر والشر ولا يتكلمـوا ، وأن تكون آيـة الحق منسوخـة لأجلـه " [1]. تلك هي الحقيقـة التي ارتضاهـا المستعمر لنفسه ، وأن يكون السكان الأصليون عبيدا لـه ، يسلط عليهم كل أنـواع العذاب والذل والهـوان والاستبداد.

ولم يترك فرصة للين والرحمـة ، كما يصفه ابن باديس في حديثـه بأن : " الجانب الذي يظلم ويجد المظلـوم معـه متنفسا لشكـواه خيـر وأشرف من الجانب الذي يظلم ويخنـق ويبكم الأفـواه ويكسر الأقـلام ولا يعرف ظلمه إلا بما يتسرب – غيضـا عليه- من أفـواه الباكيـن والمشردين والاستعمـار كله شـر ولكن في الشـر ما يختـار "[2].

ذلك هــو الواقـع المعـاش بالجزائــر ، وذاك هـو الاستعمـار المستبـد بالشعب الجزائــري ولـكــن الله لــن يخـلـف وعــده ، مــن ذلك ما جــاء على لســـان نبـــي الرحمـة عليـه الصـلاة والسـلام [3] : " **إنَّ اللَّهَ لَيُمْلـي لِلظَّــالِـم** " [4]. فَــإذَا أَخَــذَهُ لَــمْ يُفْـلِتْ ثُــمَّ قَـرَأَ قولـه تعـالـى : { **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّـكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَـةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** } [5]. ومعنى هذا أنه جلت قدرتـه لا يمهـل الظالم ، والدليل على ذلـك إزالتـه لقـرى كاملــة نتيجـة لظلـم أهلهـا

---

1- المرجع السابق ، ص465 .

2- محمد الطاهر فضلاء ، قال الشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس ، ص375 .

3- عز الدين بليق ، منهاج الصالحين ، ص315 .

4- أي : ليمهله ، أي لم يخلصه من العذاب .

5- هود : 102 .

وذويها وجورهم ، وإن عقـابـه سبحانـه وتعالـى أقـوى وأعظم ، جـزاء بما فعلـوا مصداقـا لقولـه تعالـى : {**وَجَـزَآؤُا سَيِّئَـةٍ سَيِّئَـةٌ مِّثْلُهَا فَمَـنْ عَفَـا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اَللَّهِ إِنَّـهُ لاَ يُحِبُّ اَلظَّالِمِيـنَ ، وَلَمَنِ اِنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِـكَ مَـا عَلَيْهِـمَ مِّـنْ سَبِيِلْ، إِنَّمَـا اَلسَّبِيلُ عَلَـى اَلذِيـنَ يَظْلِمُـونَ اَلنَّـاسَ وَيَبْغُونَ فِـي اِلاَرْضِ بِغَيْـرِ اِلْحَـقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}[1]. ومعنـى ذلك أن القرآن الكريـم يدعو إلـى الدفـاع ، والاستماتة من أجل الحفـاظ على الكرامة الإنسانيـة والحث على معاقبـة الظالم بمثله ، متى وقع الاعتداء ، ومـن مال إلى العفو ، فلـه جزاءه عند الله .

وأما من أراد دفع الظلم عن نفســه ، وانتصر بعد ذلك ، فعليـه بالتوقـف عند حد الانتصار ، دون مواصلة العقاب ، وأمــا عن الذيـن يستمــرون فـي الاعتـداء ويفسدون في الأرض بغيـر موجب شرع ، فأولئك جزاؤهـم عند الله العقـاب الشديد ، جزاء بما كانوا يعتـدون .

2- الشورى : 40-42.

# الفصل الثـانـي

## أثر القرآن الكريم في المعجم اللغوي

**تمهيـد:**

القرآن الكريـم هو الكتاب المنـزل من الله سبحانه وتعالى على خاتم الأنبيـاء محمد رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، " منجمـا في ثلاث وعشريـن سنـة " [1]. لكي يكون من السهل استيعابـه من طرف المسلميـن ، ويستعدون لتقبله ، دون كلل أو ملل منه ، نتيجة لما يتضمنه من توجيهات تربوية وأخلاقية عالية ، نزولا عند قوله تعـالى : { **وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً**} [2]. حقا فالقـرآن يعتبر المعجزة الكبرى الخالدة مصداقا لقوله تعالـى : { **إِنَّـا نَحْنُ نَزَّلْنَـا الذِّكْرَ وَإِنَّـا لَهُ لَحَافِظُونَ** } [3]. أي أنه بـاق إلـى أن يـرث الله الأرض ومن عليهـا مـن الإنـس والجـن دون تحـريف أو تصـحيف ، فهـو الحـق المبيـن والعـدل المنصف ، مصـداقا لقولـه تعـالـى : { **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**}[4]. إنه طـريـق الهـدى لخير الدنيا والآخرة ، يحتوي على نظم وقـوانيـن حكيمة ورشيـدة ، تصلـح الأمم وتشفيها من أمراضها النفسية والإجتماعية قـال تعـالـى : { **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا**} [5]. أي أنه يحتـوي على دستـور ربـاني يـفوق كل الدساتير البشريـة لأنه صادر من الحـق ورب العرش العظيم

---

1- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الاسلامي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط:10 ، 1986 25/2 .

2- الإسراء : 106.

3- الحجر: 9

4- فصلت : 42 .

5- الاسراء: 82.

الذي قـال : {**وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِـي الآخِرَةِ إِنَّـا هُدْنَـا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَـا لِلَّذِيـنَ يَتَّقُـونَ وَيُـؤْتُـونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَـا يُؤْمِنُونَ** }[1]. وقد كان للقرآن الكريـم أثـر عظيم وبالـغ الأهميـة ، إذ أنه وحد العرب على اللهجـة التي يغلب طابعهـا على جل القبائـل الشماليـة في الجاهليـة . ألا وهي لهجـة قريش ، التى نزل القرآن الكريـم على لسان حالها، ومحـا الفـوارق التي تقف حائلا ضدها وبذلك كملت لهـا السيادة على اللهجات الأخرى. نتيجة كثرة التلاوة آنـاء الليـل وأطراف النهار . " وأخذت هذه اللهجـة تعم بـين القبائل الجنوبية متغلغـلة في الأنحـاء الداخلية التي كانت لا تزال تتكلم الحميـرية . ولما فتحت الفتوح ، ومصرت الأمصار أخذت لهجتـه تسود فـي مشارق العالـم الاسلامي ومغاربـه . إذ كانت تلاوته فرضا مكتوبـا علـى كـل مسلـم" [2]. وهو ما يستشف من قوله تعـالى:{ **أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**} [3]. أي أنه يجب أن يقـرأ القرآن قـراءة مسترسلة وواضحة وإخراج الحروف من مخارجهـا الحقيقيـة ليسهل فهمـه على السامع والمتلقـي أيضـا ، وجـاء قوله تعـالى : {**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ، قَـالَ رَبِّـي لِمَ حَشَرْتَـنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيـرًا ، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى**} [4].

---

1- الأعراف : 156.
2- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الاسلامي ، 31/2 .
3- المزمل : 4 .
4- طه : 124 -126.

أي أن من لم يـهتم بالقرآن الكريم ، وأعرض عنه ، فإنه سيكون من الخاسرين في الدنيا والآخرة بسبب هجره للقرآن الكريم وعدم الاهتمام به ، لذلك " تحول المسلمون في جمهورهم إلى حفظة القرآن ، يتلوه كبيرهم وصغيرهم ممن سكنوا منهم الصحاري البعيدة ورؤوس الجبال ، مما جعلهم ينطبعون بطوابعهم اللغوية " [1]. هذا نتيجة لتلك الدعوة القرآنية التي حفزت المسلمين إلى التوجه إليه ، والتمسك به ، والإهتداء بهديه لأنه نور المتقين ، وشفاء المعتلين ، ونصرة للمضلومين ، وسبيل خير المؤمنين .

ومما لا شك فيه أن الأدب العربي لم يكن أقل حظا من هذا التأثر بالقرآن الكريم الذي قدم له الكثير والكثير مما يفتقر إليه أولئك الكتاب والخطباء والشعراء من فصاحة وبلاغة وبيان ، التي تعضد أقوالهم ، وتجدد أفكارهم ، وتبهر أسماع غيرهم ، وتذهل عقول أعداء الإسلام والمسلمين ؛ لأن " كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذوقها من كلام الجاهلية في منثورهم ومنظومهم...ومحاوراتهم والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث ، الذين عجز البشر عن الإتيان بمثليهما لكونهما ولجت في قلوبهم ، ونشأت على أساليبها نفوسهم ، فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها" [2] .

1- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، 31/2 .

2- ابن خلدون ، المقدمة ، دار القلم بيروت لبنان ، ط : 5 ، 1984 ، ص579-580.

وفـي خضم هذه الفترة التـي يتحدث عنها بـن خلدون ، والتــي تعـج بالبحـوث اللغويـة والبلاغيـة في القرآن الكريم ، والأساليب والمعانـي القرآنية ، نلاحظ عدم وجود كتابة أو مؤلف يفـرد لدراسة أثـر القرآن في الأدب العربي القديـم سواء تعلق الأمر بالشعـر أو بالنثـر .

أما بعد هذه الفتـرة التي تسمى بعصر النهضة الحديثـة فلم يكن في وسع الأدبـاء والكتاب الوصول إلى إحداث شيئ جديد يخـص دراسة الأثر القرآنـي في الأدب العربي الحديث ، الذي يفتقر إلى هذه الدراسة ، التي لا شك أنها تعضده ، وتضفي عليه هالة من التقديـر ، والرونق والحيـاة الفنية لما يشتمل عليه من الامداد الذي لا ينضب .

وإذا ما حاولنا المقارنـة بين ما كتب قديمـا فـي النثر، وما قيل فـي الشعر القديـم نجد أن لهما علاقـة التقارب في الأخذ من النبع الذي لاينتهي ، ولا ينقص منه شيئا ، ألا وهو القرآن الكريم والحديث النبـوي الشريف ، الذي بهما يستقيـم عمل كل أديب تمسك بمدارستهما وتفطن للضعف الذي يصيب كل من يهجرهما ، سواء تعلـق الأمر بالإعجـاز البيانـي ، أو باللغـة أو الأسلوب الفني الخلاق .

مما سبـق ذكره نستطيع التطرق إلى الحديث عن الأثـر الفنـي للقرآن الكريم في النثـر الجزائري الحديث ، ولكن قبـل ذلك لا بد من الحديث عن اللغـة لأنها هي اللبنـة الأساسية لكل تشكيـل.

## 1- 1- اللغـة :

إن اللغـة هي أهم وسيلة اتصال بين بنى البشر ، كما أنها أداة تفكير يستطيع الإنسان بو اسطتها نقل إحساسه وشعوره إلى غيره " فاللغة وظيفة عضوية في الإنسان وهي كذلك أساس طبيعي للفضائل والصلات الإجتماعية والسياسية . ووحدة اللغة الكلمات وهي بمقاطعها نتيجة لحركة صوتية ، ولكن هذه الحركة الصوتية في الحقيقة عملية عقلية ، إذ مجرد نطق الكلمة يدل على شيء ما ، فيحدث في الفكر حركة ما . وهذه الكلمات رموز لمعاني الأشياء ، أي رموز لمفهوم الأشياء ، الحسية أولا ، ثم التجريدية المتعلقة بمرتبة أعلى من الحس " [1].

فاللغة لها دور فعال في التواصل ، والترابط بين أفراد البشر " ومن ثم تظل اللغة دائما أوضح وأقوى وأدل ظاهرة تتجمع فيها كل سمات الوجه الحضاري الذي تعيشه الأمة وليس مبالغة أن يقال : إذا أردت التعرف على الإطار الحضاري لشعب من الشعوب في زمن من الأزمان ، فادرس لغته ، ففي عروق اللغة – إذا صح هذا المجاز- يعيش نبض العصر" [2] وهو ما يستدعي من الباحث الاطلاع على اللغة لأنها هي التي تمده بالمعلومات عن الحياة النفسية للكائن الإنساني ، الذي يؤدي بعدها إلى إكتشاف جانب لا يستهان به من المدلول اللغوي لذلك قيل عنها إنها " رموز لحالات نفسية ، هي مادة الفكر ، فالصوت اللغوي وظيفة

1- غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار الثقافة والعودة بيروت لبنان ، د-ط ، 1973 ، ص41 .

2- عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، دار العودة بيروت لبنان ، ط:3 ، 1981، ص175 .

عقلية لها دلالاتها على الكلام النفسي الداخلي . وهذه الحالات النفسية التـي تثيرها اللغة ليست فردية محظة ، بل هي وضعية اصطلح عليها ، فمعانيها المشتركة بين الناس هي التي تعطيها كل قيمتها اللغويـة " [1].

ولهذا نلاحـظ عدم التجانس في التعامل مع الرمـوز ، لأن تلك الحـالات النفسية التي تنتاب الناس ، ليست منسجمة حسب المستويـات التـي تبعث علـى انتقاء الرمز المعبـر عنـه ويعد الكتاب والمؤلفـون والشعراء من الذيـن كانت لهم الأولويـة والسبـق فـي استغلال الرمـوز للوصـول إلـى الغايـة المنشودة لإدراج اللغـة فـي المكانة التـي تجعلها لغة التعبيـر الـتربوي الهادف الذي يـؤدي إلـى أسباب النجاح .

ومن هذا المنطلـق "يولـي الدارسون والنقاد أهمية كبيرة للغة ومكانتها في العمل الأدبي باعتبارها العنصر الأول في كل عمل فـني يستخدم الكلمة أداة للتعبير ، وهي باعتبارها أول شيء يصادفنـا ، وبالتالي أول شيئ ينبغي علينا الوقوف عنده عندما نتحدث عن الأدب"[2].

وبذلك يكون التفكيـر بالكلمات التي يرتكز التعبيـرعليها، على أساس أنها عبـارة لرموز ما لأنها " فـي الواقع رموز لتجارب أفادها الإنسان بالحس. والذاكرة تحتفظ بمجموعة التجارب الحسية. وهذه الذاكـرة تـتوافر فــي الإنســان " [3]. الـذي أمـده الخالـق بصفــة تميـزه عـن غيـره

---

1- غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، ص41 .

2- محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان ، ط :1 ، 1985 ، ص275 . نقلا عن الدكتور : عز الدين اسماعيل ، الأدب وفنونه ، ص31 .

3- محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، ص41 .

من باقي المخلوقات ألا وهي العقل الذي يميز به الأشياء بعضها عن بعض ، دون الوقوع في الخطأ أو الزلل " لأن المقياس الذي يرجع إليه في الحكم على اللغة وصوابها قد يرجع إلى طبيعة الأشياء في العلوم ، أو إلى المقاييس المنطقية التي يهتدي إليها المنطق . أو إلى أسس الفن كما يهدي إليها العقل السليم . وطريق الإهتداء إلى الحكم الصحيح هو تحليل اللغة بما يتضمن تحليل الكلمات وتحديد معانيها ، والبحث في الجمل وصحتها بوصفها بنية رمزية للحقائق . وكذلك تحليل الفكر كما هو مدلول عليها في اللغة " [1].

واللغة في حقيقة الأمر هي التي تهدف إلى ربط العلاقة بين الأفراد ، وتستمد حياتها عن طريق التعامل واستخدام الأدباء لها ، وبذلك يحصل لها نوع من التحديد الفكري المتميز سواء تعلق الأمر بالمفردات اللغوية أو غيرها ، لأن المجتمع الخالي من وسائل الحركة والتجديد والاقتباس والتنسيق مع المصادر الأساسية ، فإنها تصير لا محالة إلى الجمود أو الانقراض أقرب .

ولمحاولة فهم خصوصية ارتباط اللغة بالفكر نجد أن " العلاقة بين اللغة والفكر وطيدة فاللغة تقدم للفكر تعاريف جاهزة ، وتصف الأشياء بخصائصها حتى لا تتداخل مع غيرها وتساعد المفكر في عمله ، إذ تزوده بصيغ وتعابير معروفة ، وتضع تحت تصرفه أساليب مدروسة" [2].

1- المصدر السابق ، ص44 .

2- حنفي بن عيسى ، محاضرات في علم النفس اللغوي ، الشركة الوطنية للنشر الجزائر، ط : 2 ، 1980 ص78.

ومن هذا المنطلق يتبين الترابط الواضح بين اللغة والفكر وما تقدمه للمفكر من مساعدة لأداء مهمته الأدبية وما ينتابه من " رحلات نفسية متطورة مستمرة وتجارب شعورية متجددة ولهذا لا يمكن للغة أن تبقى جامدة والحياة في تطور ، ولا أن تكون دائما قوالب جاهزة إنما يقوم هو بعملية تطوير وابتكار ، يتناسب مع تطور مشاعره وتدفقها " [1] .

وهكذا نجد أن فضل اللغة يبدو في الكلمة التي كانت في البدء " الفكرة وهي الثقافة وهي المعرفة ، وهي المهارة ، بل كانت " الكلمة " هي التي ترفع عارفها إلى مكان الصدارة وتخفض جاهلها إلى الدرجات الدنيا من سلم المجتمع " [2].

ولذلك يفترض على الكلمة لكي تقوم بالمهمة المنوطة بها ، أن تكون هي المعبرة عن الرمز اللغوي الدال على المعنى ، وأن يكون الكاتب من المطلعين على أسرار اللغة ، والكشف عن خفاياها، ليكون من السهل عليه التعبير عن مشاعره ، حسب ما تقتظيه الحاجة الملحة ؛ لأن " الذي لم تسلم إليه اللغة أسرارها لأعجز من أن تثير أي حالة شعورية " [3].

ولكي يبلغ المرء مجدا لا بد من أن يحسن ما يقول ؛ لأن : " جمال الكلمة ذاته مفتاح للأبواب المغلقة ، يفتح الطريق إلى مناصب الدولة ، ويفتح الخزائن بالرزق الغزير. كان يكفي لصد الرجل عن قضاء غايته ألا يكون موهوبا بالنطق الجميل ،... ويقول عمر بن عبد العزيز

---

1- محمد ناصر بوحجام ، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، ص 128 .

2- زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي ـ دار الشروق ، بيروت لبنان ، ط : 7 ، 1982 ، ص230 .

3- محمد ناصر بوحجام ، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، ص 128 .

في هذا " إن الرجل ليكلمني في الحاجة يستوجبها فيلحن فأرده عنها ، وكأني أقضم حب الرمان الحامض ، لبغضي استماع اللحن ، ويكلمني آخر في الحاجة لأستوجبها فيعرب فأجيبه إليها إلتذاذا لما أسمع من كلامه " [1].

لكل ذلك يستوجب من الكاتب أن يولي عنايته واهتمامه بسلامة اللغة ، ولأفكارها الهادفة ، ذات المغزى الحقيقي التي يكون مصدرها التعبير بالكلمة التي لا تنفصل عن عملية التفكير ذاتها ، الذي قال عنها : " دي تراسي " " إن تكوين الأفكار وثيق الصلة بتكوين الكلمات ، فكل علم يمكن رده إلى لغة أجيدت صياغتها ، ومعنى قولنا عن علم معين إنه تطور وتقدم ، هو أن ذلك العلم قد ضبطت لغته ، لا أكثر ولا أقل ، ضبطا يتم إما بتغيير ألفاظه ، وإما بأن يجعل الألفاظ القائمة أدق في معانيها " [2].

إن هذا الدور الذي تقوم به الدلالة اللفظية فيما يخص الإقتباس والتضمين الذي لا يعتبر عيبا ، وكذا " تكرار ألفاظ وكلمات ...، إنما المهم هو كيفية إجادة استعمال هذه المفردات والتصرف فيها بما يكفل الأداء الجيد والتعبير الصحيح البعيد عن مزالق التكلف والغموض وطمس معالم شخصية " [3].

---

1- زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي ، ص232.

2- المرجع السابق ، ص211.

3- محمد ناصر بوحجام ، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، ص130 .

إن محاولة المقارنـة بيـن لغة القرآن الكريم وغيرها من اللغات الأخرى ، سواء ما تعلق بقـوة_الدلالة المعبرة ، أو ما يتميز به القرآن من الإعجـاز البيانــي والبلاغي ، الذي يعود مصدره إلى ما نلتمسه من الخصائص التـي امتاز بها الأسـلوب القرآني ، و المزايـا التى تتـوافر فيه حيث أصبح له طابعا معجزا في لغتـه ، وبلاغته ، الأمر الذي استرعى وجهـة نظر العلماء فراحوا يبحثـون فيها بيـن مقل ومكثر ، فتوصلوا فى الأخيـر إلى الإعتراف بأنهم عاجزون عن الوصول إلى الأسلوب القرآنى الرفيع ، ولكنهم حاولوا قدر المستطـاع أن يتقربـوا من ذلك الأسلوب ولو على وجـه التمثيل ، وما لا يدرك كله لا يترك أقلـه [1].

ومسحة القرآن مـن ناحيـة اللفظ التـي تظهـر فـي الإتساق والإئتلاف بأسلـوب فائـق لا يمكن أن يضاهيه كلام بشر مهما بلغ مبلغـا يؤدي به إلى توافر عوامل الإبداع [2]، وتتجلى هذه المسحة القرآنيـة العجيبـة فـي نظامه الصوتي وجمالـه اللغوي :

أ- ومعنى نظـام القرآن الصوتي ، هو ما يشعرنـــا بـــه مـن التآلف فـــي حركاتـه وسكناتـــه

ومداتـه وغناته ، الأمر الذي يستدعي الإستماع إليه ، ويجذب النفـوس ، وهو ما لا يستطيع أن يبلغ إليـه أي كلام آخر سواء كان منظومـا أو منثـورا .

---

1- محمد عبد العظيم الزرقانـي ، مناهل العرفـان في علوم القرآن ، دار الفكر مصر ، 309/2 .

2- المرجع نفسه ، ص309 ، ينظر محمد الصالح الصديـق ، البيـان في علوم القرآن ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائـر 1989، ص234.

ب- جمـال القرآن اللغـوي : هو ما يسترعي انتبـاه القارئ أو السامع للقرآن الكريم في وضع الحروف ، ونظـام الترتيب للكلمات التي تختلف كل الإختلاف عما تآلف النـاس عليه في كلامهم والدليل على ذلك هـو إذا تلـي القرآن أمامك وسمعت لحروف الكلمات المتلـوة على المسامع خارجة من مخارجها الأصليـة ، فإنك تحـس بنشوة وسعـادة تغمرك من جراء ضم هذه الحروف إلى بعضها البعض ، ومن خلال ذلك تلاحـظ على هذه الحروف أن فيها ما ينقر وما يصفـر وما يخفى وما يهمس ، وهذا يجهر إلى غيـر ذلك مما هـو وارد في علم التجويـد [1] . وبعض هذه الخصائـص هي :

1- إرضـاؤه العامـة والـخاصة ، وذلك لأن القـرآن الكـريـم إذا تلـي علـى العامـة شعروا بعظمته وجلاله ، وفهموا منه حسب مداركهم واستعدادهم . وكذلك الخاصـة إذا قـرأوه أو تلـي عليهم أحسوا بالراحـة والثقـة التامـة التـي تثلج صدورهم وتنيـر قلوبهم بأنوار الإيمـان والاستئناس بالله تعالـى وأنهم بيـن يدي كلام ليس كمثله شيـئ من كلام البشر [2].

فالقرآن الكريـم موجه لجميع الخلـق علـى اختـلاف أصنافهـم و مداركهـم العقليـة والثقافية ويؤثر فيهم كافـة ، لأنـه يخاطب العقل بأدلـة واضحة لا تعقيد فيها ، مثل ماهو موجـود في تلك البراهيـن التي يتقدم بها الفلاسفـة لإقنـاع غيرهم [3].

---

1- محمد عبد العظيم الزرقانـي ، مناهل العرفـان في علوم القـرآن ، 312/2 ، ينظر : ابن الشيخ الحسن سفيـان المعجزة القرآنيـة ، دار الشهاب باتنـة الجزائر ، ط : 1 ، 1983 ، ص121-122 .

2- المرجع نفسـه : ص113 .

3- بلقاسم بغدادي ، المعجـزة القرآنية ، ديـوان المطبوعات الجامعيـة الجزائر، د-ط ، د-ت ، ص584-585 .

2- إقناعه للعقل والعاطفة معا : لأن القرآن الكريم يتوجه إلى مخاطبة العقل والقلب ونجده يضم في طياته الحق والجمال التي هي غاية لا يرتقى إليها بشر مهما بلغ من العلم . ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : {**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** } [1]. ومعنى هذه الآية أنها تبين الإستدلال العقلي على البعث ، كيف يهز النفوس ويثير العاطفة وكذلك ما جاء في قوله تعالى : {**أَفَلَمْ يَنْظُرُواْ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ، تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ، وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَآءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ، رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ** } [2]. نلاحظ في هذه الآية الكريمة جمال ساحر، وإعجاز باهر يشعر به الإنسان ذو العقل السليم ، ويقتنع بتلك الأدلة الواردة فيها [3].

3 - جودة السبك في القرآن الكريم: أي أنه بلغ في هذا المجال أسمى الدرجات بالنسبة لتماسك وترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره، مع طول نفسه، وتنوع مقاصده ، وتلوينه في الموضوع الواحد. والدليل على ذلك هو أنك إذا ما أخذت مصحفا وفتحته دون قصد في آية معينة وقرأت ما وقعت عليه عيناك وتأملته تلاحظ عليه أنه

---

1- فصلت : 39 .

2- ق : 6- 11 .

3- محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، 114/2 .

وحـدة مترابطـة الأطراف متآلفة الأوصال، ومتساندة الأعضاء، حيث قال فيه جل شأنه [1]: { **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، قُرْءَانًـا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**} [2] .

4- البراعة القولية في تصريفه أوالكثرة الفنية في الكلام ، ومعنى ذلك أن القرآن الكريم يأتى بالمعنى الواحد بألفاظ وطرق متعددة ، وبقدرة عالية تتوقف عندها أنفاس بلغاء البيان وفصحائه ، والبرهان على هذا الأمر واضح لا يغيب عن الإنسان الذكي البصير، لدى تلاوته للقرآن الكريم .

ويمكن الإستـدلال " على أن القرآن معجزة بأسلوبـه ، إن التأليف في البيان العربي ولد ونشأ وأينع وترعرع فـي جـو القـرآن "[3].

هذه بعـض الخصائـص المتعلقـة بلفـظ القـرآن الكريـم التـي تبـرز لنـا التلاؤم الواضح بيـن الشكل والمضمـون والجزالـة اللغوية وقـوة متانتهـا.

" إن القرآن الكريم يستثمر دائمـا أقـل ما يمكن من اللفـظ ، في توليد أكثر ما يمكن من المعانـي : تلك ظاهرة بـارزة فيه كله ، يستـوي فيـها مواضيع إجماليـة التي يسميها الناس مقـام الإيجاز ، ومواضـع تفصيليـة التي يسمـونـها مقـام الإطنـاب ، ولذلك نسميه إيجـازا كلـه ، لأننـا نراه

---

1- المرجع السابق ، 2/315-316 .

2- الزمر : 27-28.

3- محمد الصالح الصديـق ، البيان في علوم القرآن ، ص235.

في كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصد ، ولا يميل إلى الإسراف ميلا ما ، ونرى أن مراميه في كلا المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر والحلى بأقل من ألفاظه ولا بما يساويها ، فليس فيه كلمة إلا وهي مفتاح لفائدة جليلة ، وليس فيها حرف إلا جاء لمعنى" [1].

وعلى ضوء هذا المسلك الذي توصف به اللغة القرآنية التي قيل عنها بأنها :" مختارة منتقاة بما يناسب أغراضها ، وبما يؤثر في النفس الإنسانية ، ويستميلها إلى الإستجابة والإذعان"[2]. و أصبحت اللغة قد فتحت أمام الكتاب والأدباء مجالا واسعا ، في التصرف في أفانين القول المستوفية للأغراض الهادفة ، والإبتعاد عن القوالب الجاهزة والأدوات اللفظية ، التي تثقل من كاهل المتلقي ، واستعابه لها ، نظرا لما تحتوي عليه من الإبهام والإنغلاق.

وتسهيلا لمهمة البحث في مجال إكتشاف علاقة التأثر بلغة القرآن الكريم ، فضلنا أن نقوم بتجزئة هذا البحث إلى عناوين فرعية ليتسنى لنا الوقوف على التأثر ، وما هي الأسس القاعدية التي إستند عليها ؟ .

---

1- محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، 2/ 326.
- محمد الصالح الصديق ، البيان في علوم القرآن ، ص235
2- محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، 326/1 .

## 2- أسمـاء القـرآن في النثـر

إن المتتبع لأثر القرآن في النثـر الجزائري الحديث يلاحظ لفظـة " القرآن " ذاتـه ، التي وردت في النصوص النثريـة لكتاب النثر ، التي لم تكن بطبيعـة الحال جديـدة بالنسبة لعصر النهضـة بل وردت منذ عصرصدر الإسلام واستمرت بعده مع مرور الزمـن ، لذلك لم تكن غريبة على كتاب العصر الحديث ، فهم على درايـة وإلمام بمشتقات تلك اللفظة ودلالاتها.

وعند عودتنـا إلى بعض المصادر اللغوية ، ونخص بالذكر ما جـاء عن الصحاح للجوهري لكلمـة " قرأت " الشيء قرآنا بمعنى جمعتـه وضممت بعضه إلى بعض ، ومنه قولهم : وما قرأت النـاقة جنينا أي أنهـا لم تضم رحمهـا على ولد .

وفيما جـاء كذلك فـي هذا الصدد : قرأت الكتاب قـراءة وقرآنـا ومنه سمي القرآن . وقال أبو عبيـــدة : سمي القـرآن قرآنا لأنـه يجمـع السور فيضمها ، وجـــاء فـي قولـــه تعالى : { **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَـهُ وَقُرْءَانَـهُ** }[1]. أي جمعـه وقراءتـه ، وكذلك ما جاء فـي قولـه تعالــى: { **فَـإِذَا قَرَأْنَـاهُ فَـاتَّبِـعْ قُرْءَانَــهُ** } [2]. بمعنى قراءتـه [3].

فهذه اللفـظـة المعبـر عنهـا بـالقرآن ومجيئهـا بكثـرة لربـط الصلـة بيـن القرآن والنثر التـي لا تتوقف عند هذه المفـردة بالنسبـة لكتـابـات رجـال الإصلاح فـي الجزائر بطبيعـة الحـال ، فلفظـة

القــرآن وردت فــي العديـد مـن آيــات الـذكـر الحكيـم بأسمــاء أخــرى مـغـايـرة وهـــي تهـدف

---

1- القيامة : 17 .

2- القيامة : 18.

3- الجوهري ، الصحاح ، دار العلم للملايين بيروت ، 1948 ، 65/1 .

إلى نفس التسمية كالفرقان ، والذكر ، والتنزيل ، والوحي ، والكتاب ، والنور ، ويذكرها كـتاب رجال الإصـلاح في كتاباتهم بأنها أسمـاء للقـرآن أو صفـات له ، نذكر منها على سبيل المثـال ما ورد فـي الإشـادة بتعليم اللغـة العربيـة التي تيسـر لنـا فهم القـرآن الكريـم الذي نجد أن عبد الحميد بن باديـس يتحدث عن تلك الإشكاليـة التـي تطرح على شكل سـؤال يذكر فيه لفظـة القـرآن قائـــلا : " وبأي شـيء يفهمـون هذا الديـن ويصلون منه إلـى ما فيـه من تربيـة وتهذيب إلا باللغــة العربيـة لغــة القرآن العظيـم ؟"[1].

وفي الإتجـاه نفسه الذي يتساءل عنه ابن باديس ، نلتقي مع الإبراهيمي الذي يشيـر بأن فهـم الإسلام لا يتأتـى لنـا إلا عن فهم الآيـات القرآنية ، مشيـرا إلى ذكر لفظة القرآن ، الذي وحد بيـن الديانـات ، واتبـاع نهج النبـي المبعـوث من الإله الواحـد الأحد فـي قولـه : "وهذا هـو الإسلام الواحد متجليا فـي آيات القرآن . دينا واحدا جاء به نبي واحد عن إلـه واحد "[2].

وإذا ما انتقلنـا من لفظـة القــرآن إلـى غيرها مما ورد عن كتاب النثـر فـي عصر النهضة التي نجدها في خطبـة الإفتتـاح للـدروس العلميـة الإسلامية لابن باديـس الذى استعرض فيها بعض الصفـات التـي وصفت بـهـا لفظــة القـرآن الكـريم حيث يـقول : " هـو الذكـر الحكيم ، هو النـور المبين هـو الصـراط المستقيـم هـو حبل الله المتيـن ، فمن تمســك به نجا ومن تركـه كان من الهالكيـن "[3].

---

1- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 563/3.

2- محمد البشير الإبراهيمي ، أثـاره ، 90/1.

3- عبد الحميد بن باديس ، أثار الإمام ، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط : 1 ، 1985، 171/1.

تلك هي بعض الصفات التي وصف بها القرآن الكريم مثل لفظة الذكر التي وردت في قوله تعالى : { **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** }[1]. أي أنه يخاطب سبحانه وتعالى : محمدصلى الله عليه وسلم بعظمة شأنه سبحانه الحافظ لهذا القرآن ، وليس لأحد القدرة أن يزيد فيه أو ينقص أو يبدل أو يغير مهما كان شأنه [2].

وفي الإنتقال من لفظة " الذكر" إلى لفظة " النور" التي وردت في قوله تعالى: { **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** } [3]. أي أنهم اتبعوا ذلك القرآن المنير الذي شرع شريعته المجيدة فأصبحوا من الفائزين بالسعادة السرمدية [4]. التي لا يمكن أن ينالها إلا أولئك الذين هداهم الله لنوره ، والاطلاع على كتابه ، واكتشاف أسراره ، وعظمة شأنه ، وإحكامه ، ورصانة بلاغته ، ذلك هو الكتاب المبين الذي يعبر عنه محمد البشير الإبراهيمي بلفظة الكتاب ويعني به القرآن الكريم الذي جاء بـ : " اللسان العربي فهو لسان هذا الدين الذي نزل به كتابه وهو- يعد-ترجمانه الحاذق الذي نقل الإسلام وما فيه من عقائد سامية ، وحكم غالية

---

1- الحجر: 9.

2- الصابوني ، صفوة التفاسير ، 106/2

3- الاعراف : 157.

4- الصابوني ، صفوة التفاسير ، 476/1.

عالية ، وأسرار جليلة وآداب قيمة إلى أمم أجنبية عن لغة هذا الدين ، وأخذهم بها أخذة السحر بكيفية تريهم أن الدين هو اللغة ، وأن اللغة هي الدين فبينما هما دين ولغة إذ هما شيء واحد " [1].

وهذا هو الربط الذي حاول الإبراهيمي أن يقيمه بين اللغة والدين ، ويحاول من خلال ذلك الوصول إلى إستنتاج التوحيد والتماسك بين اللغة والدين ، كما ورد لفظ الكتاب في مثل قوله تعالى : {**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**}[2]. ومعنى الكتاب هنا هو القرآن لأن الله يقول للرسول صلى الله عليه وسلم ، وإني أنزلت إليك يا محمد القرآن بالعدل والصدق الذي لا ريب فيه ومصدقا للكتب السماوية التي سبقته ، ومؤتمنا عليه وحاكما على ما قبله من الكتب [3]. كما يذكر الزمخشري بأنه الرقيب على سائر الكتب السماوية لأنه يشهدلها بالصحة والثبات [4].

وبهذه الأدلة الواضحة من القرآن الكريم نجد أنه تصح تسميته بالكتاب وأنه من

---

1- الإبراهيمي ، أثاره ، 35/1.

2- المائدة : 48.

3- الصابوني ، صفوة التفاسير ، 346/1.

4- الزمخشري ، تفسير الكشاف ، تحقيق مرسى عامر ، دار المصحف القاهرة ، ط : 2 ، 1977 . 30/2

الصفات التـي أطلقت عليـه لتعبر على أنه هو القرآن الكريـم ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الفرقان وهو النور المبـين وغيرها من الصفـات التي ذكرنا بعضا منهـا ، مما يوصف بـه الذكر الحكيم والذي كان له أثر كبير على أقلام الكتـاب الجزائريين الإصلاحيين ، ويتضح ذلك في المحـاولات التي بادروا بها فيمـا يخص الأسلوب القرآني ومـا يخص مفرداته مثل الصفـة والموصوف التي ظهرت في أسلوب أولئك الكتـاب الإصلاحيين التي سنتعرض لها فيما يلي :

## 3- الصفة والموصـوف

إن الحديث عن المفـردة القرآنيـة والطابـع الذي طبعت بـه ، يحق لنا فـي عجالة الوقـوف عنـد لفظ الصفـة في القرآن العظيم ودورها في النثر الجزائري الحديث ، الذي حاول فيـه الكتاب أن ينتهجوا تلك الدقة التي لاحظوها في المعنى والوصف الذي يجعل الموصوف أكثرحضورا فـي الذهن والوجدان ، وهو ما يـؤدي إلى أن يكون الوصف جزءا من التلاحم العضـوي فيما يخص التعبير ، ولا يمكن أن يكون وصفا زائدا[1] .ولو وقع الحذف بالنسبة لهذه الصفة لأصبح الموصوف دون جدوى للتأثير فـي الواقع ، وصارغير واضح الدلالة وهو نفس الإتجاه الذي نجـد أن محمد كامل جمعة يذهب إليه في قولـه :"ومن وسائل القوة استخدام الصفات التـي تترك فـي نفس القـارئ أثرا جماليا إلـى جانب قـوة دلالتهـا ، والصور التـي تثيـرها في خيـال القـارئ " [2].

1- شلتاغ عبـود شراد ، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، ص119 .

2- بوحجـام ، أثـر القرآن ، 154/1 .نقـلا عن محمد كامل جمعـة ، الأسلوب ، مكتبة القاهرة الحديثة، ط: 2 ، 1963 ص82 .

وإذا ما رغبنا في زيادة الوضوح أكثر بالنسبة للوصف وكل ذلك نجده لا يخرج عن التعريف الذي ذهب إليه من أن الوصف هو " ذكر بعض الأشياء تخص الشيئ وليست ثابتة على حده ، كما يقال في الدار إنها الواسعة أو الضيقة أو المبنية بالحصى والآجر وكما يقال في الرجل الطويل الأسمر الأقنى ، وكل هذه الأوصاف لا تأتي على الحد بل يشرك الموصوف بها غيره فيها ، ومثل ذلك التجلية التي يستعملها الحكام والكتاب فيمن لم يعرفوه باسمه وعينه ونسبه فيكون وصفهم الرجل بحليته مقنعا فيما يمكن الإحتياط إذا لم يجدوا سبيلا إلى غير ذلك "[1].

ونتيجة لذلك التأثير النفسي التي تتركها تلك الصور في خيال القارئ نجد أن الكثير من الكتاب الجزائريين الذين تأثروا بهذا الأسلوب الوارد في التراكيب القرآنية حاولوا تقليدها من ذلك مثلا : خلقا جديدا ، حسابا شديدا ، العذاب الشديد ، زبر الحديد ، سواء السبيل والصبر الجميل ، الصراط المستقيم ، صرحا سامقا وغيرها ، وهو ما نجده قد استعمل بكثرة لدى جُل الكتاب الجزائريين .

إن الوضع السائد بالنسبة للحياة الاجتماعية والسياسية ، والاستبداد القائم من طرف الاستعمار الفرنسي، هو الذي دفع الكتاب الجزائريين إلى الكتابة والإبداع ، ونشر الثقة في النفس والأمل في المستقبل ، لأن المعاناة التي تعيشها في حاجة إلى ما يذللها ، ولا يتأتى ذلك إلا بالصبر والتجلد ، وهو المجال الوحيد الذي يؤدي إلى الإنتصار ، ولأجل ذلك كان من الأجدر

---

1- قدامة ، نقد النثر ، دار الكتب العلمة بيروت لبنان ، 1982 ، ص22 .

استعمال المفردة في المجـــال الذي يخفف عن النفس تلك الحالـة من المعانـاة فكانت لفظـة " الجميل" التي تلائم كلمة " الصبـر" ، لأن هذا التعبيـر هو الذي أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتمسك به عندمـا يصاب بالأذى مـن طرف كـفـار قريـش الـذيـن يقفـون ضد دعوتـه بالمرصاد فــي قوله تعالـى : { **فَاصْبِـرْ صَبْـرًا جَمِيـلاً** }[1]. لأن جزاء الصبـر الجميل هـو النصر الذي وعده الله بـه على المعتديـن.

وكذلك ما جـاء على لسان يعقـوب عليه السلام بعد الاحتيـال الذي صدر من أبنائـه عندما زعموا أن الذئب أكل أخاهم يوسف الذي ألقـوا به في غياهب الجُبْ فالتقطـه بعض السيارة ، وفي هذا ما جاء في قوله تعالى: { **وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**}[2]. لذلك وعد بالتعـويـض لـمن اتصفـوا بهـذه الصفـة الفاضلـة التـي لهـا الجزاء الأوفى مـن الله ، والذي عبـر عنه فـي قوله تعالـى : {**قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**}[3].وفـي هذا دليل على الحث بالألتزام على الصبـر بالنسبة لمن يعاني المضايقة من أعداء الديـن والوطن من طرف المستعمريـن وأعوانهـم ، لذلك نجد الإبراهيمي يـدعوا إلى الإلتزام بهذه الفضيلة لمن أراد تفويت الفرصـــة على الإدعاءات

---

1- المعـارج : 5 .

2- يوسف : 18.

3- الزمر : 10.

الاستعمارية الكاذبة في قوله : " والصبر الجميل إذ تقولت السياسة . والعزيمة الصادقة إذ ساور البأس " [1]. وهكذا نجد أن الإبراهيمي يرغب المواطنين باتباع المنهج الإله الذي يوفى أصحابه أجرهم.بغير حساب ، وهو عهد تعهد به للذين صادقوا الله على الإلتزام بأوامره ، وإجتناب نواهيه في شتي مجالات الحياة الاجتماعية ولم يتخل كتاب النثر الجزائري عن النعوت القرآنية واستعانتهم بصفاته في رسم معانيه ، ومحاولة تحري الدقة ، وهذا الإبراهيمي يوضح للأفراد من رجال الدين أن يكونوا متحررين من القيود المفروضة عليهم وأن على " الحكومات الإسلامية وجماعة المسلمين لا تكيد لدينها بل تنصح وتسدد وتقارب ولا تختار للوظائف الدينية إلا أصحاب المؤهلات العلمية المستكملين للشروط الدينية ؛ لأن وراء الجميع رقيبا عتيدا من الدين وأمام الكل حسابا شديدا يوم الدين "[2]. بخلاف ما هو واقع في الجزائر في اختيار رجال الدين من طرف حكومة متسلطة ، وأن هؤلاء الرجال ليسوا من الأصناف المرغوب فيهم ، لعدم توفر الشروط المطلوبة ، و اللازمة فيهم .

والإبراهيمي استعمل في نصه هذا كلمة الوصف (الشديد) المقتبسة من القرآن التي جاءت في قوله تعالى:{ **وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا** } [3] .ومعنى الآية الكريمة أن هناك عقابامن الله سبحانه وتعالى للطالين بأنواع من العذاب الساحق من مثل

1- الإبراهيمي ، عيون البصائر، 169/1.

2- المصدر نفسه ، 75/2.

3- الطلاق : 8 .

الجوع والقحط وغيره [1]. وهذا الذي جيئ به ليكسب موصوفه وضوحا ودقة وتأثيرا .

وكذلك ما جاء على لسان ابن باديس في مقال له بعنوان " ما هكذا عهدنا أدب صروف " الذي جاء فيه الرد على صروف موضحا له بأن مدينة عاد هي قصة وردت في القرآن الكريم ، وهي قصة واقعية فعلا ، وليست قصة خرافية كما يعتقد صروف وأن الله " كان يخوف العرب أن يحل بهم ما حل بالأمم قبلهم ، ولقد خلت قبلهم أمم كثيرة جاءتهم رسلهم بالبينات فكذبوا فأخذهم الله بالعذاب الشديد "[2].

وصفة هذه الجملة أي العذاب الشديد جاءت في قوله تعالى : { **الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ**}[3]. وهذه الصياغة لها أصول قرآنية تكررت في عدة أوصاف قرآنية مثل : (شديد العقاب) و(شديد العذاب) عدة مرات [4].

وهكذا ترد صفات أخرى من مثل : زبر الحديد ، خلقا جديدا ، الصراط المستقيم وهي مما استوحى من القرآن الكريم ، وساعد الكتاب على تضمين مقالاتهم ، وخطبهم مادة لغوية ثرية تتميز بالدقة ، والوضوح في التعبير.

وعن صفة الإنكار والجحود ، والإحباط الذي وقع لأمة الإسلام والمسلمين الذين بلغتهم صور عكسية كما يذكر ابن باديس أن الإسلام صور لهم " تصويرا عكسيامخالفا لحقيقته

---

1- أنظر الصابوني ، صفوة التفاسير ، 402/3.

2- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 495/3.

3- ق : 26.

4- البقرة : 165 ، المائدة : 2.

فابتعدوا عنه وأصبحوا عالة عليه. فلا بد من مواصلتنا السعي لرفع مستوى هؤلاء المسلمين العقلي والروحي على النمط الذي يرضيه روح الإسلام وبهذا يخلق الله الأمة خلقا جديدا يمكنها من إستعادة مجدها بين الأمم "[1].

ولقدوردت لفظة الصفة والموصوف من طرف صاحب النص التي استمدها من الأسلوب القرآني في عبارة " الخلق الجديد" التي اقتبست من قول الكفار الذين لم يومنوا بأنهم مبعوثون خلقا جديدا بعد موتهم ، وضلوا على ضلالهم يهزؤون بهذا الخبر الوارد عليهم لأن تصورهم بهذا الأمر كان قاصرا ، وأصبح في نظرهم من المستحيل ، قال الله تعالى : { **انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعْونَ سَبِيلاً ، وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا** }[2]. و في هذا الآية ما يشير بأن المشركين المكذبين لا يجدون مسلكا إلى الهدى لأنهم لم يؤمنوا بالبعث ، وخاصة إذا ما أصبحوا ذرات مفتتة كالتراب ، ويتساءلون هل سيبعثون إذا ما صاروا إل تلك الحالة من الفناء ، وكان الجواب أن الأمر حاصل ولو كنتم من الأجسام الصلبة كالحديد أو الحجارة في آية أخرى [3].

ويرد الإبراهيمي العبارة نفسها في مقال له بعنوان : "من مشاكلنا الاجتماعية "، وفي فقرة يتحدث فيها عن الشباب الجزائري المثقف بثقافة غيره من أبناء الأمة الإسلامية الذين " قد يزيغ بعضهم الزيغة الكبرى فيتزوج بأجنبية ، ينفق عليها ما ينشىء إبنة عمه

---

1- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 495/3 .

2- الإسراء : 48- 49.

3- أنظر الصابوني ، صفوة التفاسير ، 163/2.

خلقا جديدا متعلما مهذبا مدبرا منظما ، ولا نلوم أولئك ولا هؤلاء ، لأن الحضارة الغربية
فسدت أذواقهم "[1]. والتساؤل المطروح هنا بالنسبة لهذين المصلحين بهذه الطريقة التي لا تمت بصله للإنكار الذي تعمده كفار قريش ، بل نجدعكس ذلك تماما ، إذ كان هدفهم هو البعث الجديد الذي من سماته التفاؤل للمستقبل المنتظر من عودة الشباب الجزائري إلى ثقافته الإسلامية التي تربطه بالشخصية الوطنية ، وتحرره من التبعية الثقافية التي أراد المستعمر نشرها في أذهان شباب الجزائر ، الذي حاد أو أوشك أن يحيد. وإذا ما تمعنا النظر في كيفية الأسلوب المتبع في العصر السابق للعصر الحديث ، المتصف بكثرة ألوان البديع الذي أصبح رائجا لدى المثقفين والكتاب ، وأعجبوا به أيما إعجاب من مثل الجناس والطباق والتقابل والتورية وغيرها من الموضوعات البديعية إلا أن ما يلاحظ على كتاب النهضة هو ما إستولى على نفوسهم من تلك الهموم التي حلت بهم وبمجتمعاتهم ، التي جعلتهم يحاولون التخلي عن ذلك الأسلوب المتبع من طرف سابقيهم ، وهو محاولة تجنب الارتباط بالتنميق والتعلق بالشكل والزخرف اللفظي . لأن هذه العناصر البديعية ، التي جاءت في القرآن الكريم إنما كان ذلك من أجل توضيح البيان القرآني .

وهو ما نجده في الوقت نفسه بعيدا كل البعد عن الزخرف والتنميق اللفظي ، مثل ما هو الأمر في التعابير التي وردت في القرآن الكريم التي تحتوي على أشكال بديعية عالية ، انجر عنها
وقوع بعض الكتاب الجزائريين تحت تأثيرها ، كالطباق والتقابل وغيرها مما سنتحدث عنه فيما يلي :

---

1- محمدالبشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 324/2.

1- 4- **الطبـاق** :

إن أصل الطباق هو الجمع في الكلام بين الشيء وضده ، لتوضيح الغاية من جهة وتعميق الفكرة و التأثير في المتلقى من ناحية أخرى . وهو من قبل تجاور المفردتين أو تباعدهما .

ولا نقصد بذلك ما ذهب إليه فقهاء اللغة من إطلاق اللفظ على المعنى وضده ، مثل ما هو الأمر في لفظ " الجون " الذي يطلق على الأبيض والأسود ، و " أسر" المتمثل في الإخفاء وضده وغيرها من الألفاظ الواردة في هذا الشأن [1].

وما نحاول إستعراضه هنا هو المقابلة بين اللفظ وضده من لفظ آخر ومجيئهما معا في سياق واحد . ومن ذلك ما ورد في كلمة ألقاها الإمام عبد الحميد ابن باديس بعنوان : " ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان " إذ يذكر أن ما جمع بين الجزائريين هو الدين الإسلامي الذي وحد بين هذا الشعب الأبي منذ عشرات القرون ، وربط بينهم في كل الملمات وجعلهم أمة جزائرية واحدة قائلا :

" إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضع عشرة قرنا ، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرضا ، وتؤلف بينهم في العسر واليسر ، وتوحدهم في السراءوالضراء حتى كونت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا أمه الجزائر وأبوه الإسلام ، وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون

---

1- علي عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط:7، 192/7.

بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله ، وما أسالوا من محابرهم في مجالس الدرس لخدمة العلم "[1].

نلاحظ في هذا النص محاولة عبد الحميد بن باديس الرد بالأدلة والحجج المقنعة على من يحاول زرع الفتنة بين أبناء الأمة الواحدة ، حتى يتسنى لهم الاستمرار والبقاء في هذا الوطن الذي لا ينبغي أن يدنس من طرف العملاء وأتباعهم .

أما عن الناحية البلاغية فإننا نجد الكاتب إلتزم بنقل المعاناة التي يعانيها الشعب الجزائري من الفرنسيين ، كما جاء في قوله تعالى : {**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**}[2]. ومعنى ذلك أن الله يريد التخفيف بهذه الرخصة ورفع المشقة ، وفي قوله { **يُرِيدُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ** }[3]. فيه من المحسنات البديعية ما يسمى بطباق السلب الوارد في الآية الكريمة التي تقيد بها الكاتب في إستعماله لكلمة التضاد أو التقابل بين كلمتا " العسر واليسر" ، وإن كان الكاتب في نصه قدم العسر قبل اليسر تماشيا مع ما ورد في قوله تعالى : { **إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** }[1].

1- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 483/3 .
2- البقرة : 185.
3- البقرة : 185.

ومعنـاه أن بعد الإحراج والضيق لا بـد وأن يأتـي الفرج وبعد الشدة لا بد وأن يكـون بعـده مخـرج [2].

كما نجد طبـاقا آخر في جملـة : " وتوحدهم في السراء والضراء " ، الذي إقتبسـه الكاتب من قوله تعالـى : {**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**}[3]. ومعنى "السراء والضراء " فـي حالة كثرة الخير واليسر وفـي حالـة الشدة والضيـق والعسر ، وفي كلتا الحالتيـن يجب أن ينفقـوا ما استطاعوا عليـه سواء كان ذلك كثيـرا أو قليـلا [4].

ونجد التعبير نفسه ينص على الطباق الذي هو من المحسنات البديعيـة ، وفيما يخص الاقتبـاس من القرآن الكريم الذي تتضمنه النصيحـة التي قـام بتوجهها الإبراهيمي لمجلس الجمعيـة الجديدة في التقريـــر الأدبـي الذي قدمـه أمـام الوفــود القادمـة من أنحـاء الوطـن الجزائـري من أجل التعـاون والتلاحم ، لإستكمال المسيـرة المقدسة ، ومطالبـة الحقـوق المشروعة لرفـع الظلـم وذلك فـي دعوته :" وأوصيكم بالتضامن في السراء والضراء ، والتعاضـد فـي الأراء والأعمال فـإن التخاذل أول مراتب الخيـبة "[5]. تلك هي الوصية التـي أوصى بهـا الإبراهيمي مـن ضمـن

---

1- الشرح : 5- 6.

2- أنظر الصابوني ، صفوة التفاسير ، 576/3 .

3- آل عمران : 134.

4- الزمخشري ، تفسير الكشاف ، 200/1.

5- محمد البشير الإبراهيمي ، أثاره ، 355/3.

عدة وصايا تدور جلها حول الأهداف السامية ، ومن جملتها الالتفاف حول التضامن الذي يرسخ القواعد الأساسية لبناء الشخصية الوطنية ، والذود عنها بكل ما أوتوا من حنكة وتدبير وسلامة الذوق لرفع الهمة.

وجاء في نص آخر لابن باديس بعنوان : " الجنسية القومية والجنسية السياسية " وفي الفقرة التي يتحدث فيها عن البرلمان الفرنسي الذي استحوذ على نفوذ الشعب وتسلط على رقابهم ، يدعو فيه الأمة الجزائرية إلى الاستيقاظ من السبات العميق ، والتفطن إلى المكائد التي تحاك ضدهم ، وأن يتوكلوا على ما دعاهم إليه رب الخلق ، وأن يستعملوا عقولهم في كل ما يواجههم ، وما يحاك ضدهم ، من جراء تلك التصرفات السلبية من طرف البرلمان الفرنسي ، حيث يقول لابد " وأن نتحقق أن الموقف الذي يقفه البرلمان الفرنسي ، يوم تعرض عليه المسألة هو الذي يوجه الأمة الجزائرية إحدى الوجهتين فالمستقبل بيده والأمر لله من قبل ومن بعد "[1].

والعبارة الواردة في النص " والأمر لله من قبل ومن بعد " هنا طباق مقتبس من قوله تعالى: {**فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ**}[2].

ومعنى ذلك أن الأمر يعود في كل شيء لله في الأول وفي الآخر ، من قبل الغلبة [2] ومن بعد الغلبة ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليس الأمر إلا بقضاء الله وقدره .

---

1- ا بن باديس ، حياته وآثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 354/3 .

2- الروم : 4.

3- أنظر الصابوني ، صفوة التفاسير ، 471/2 .

وهو ما يدعو الشعب الجزائري أن لا يقنط من رحمة الله جراء تصرفات البرلمان الفرنسي الذي ذكره ابن باديس في نصه ، بل عليه بالسعي بشتى الأساليب والوسائل لإزاحة ذلك التسلط والإستبداد الذي حل بهم وبأهاليهم .

**2- 4- المقابلة :**

والمقابلة هي : " المواجهة والتقابل مثله . ومقابلة الكتاب معارضته "[1]. وهي نوع من الطباق خصص بهذا الإسم لأنه " يؤتى فيه بمعنين متوافقين أو أكثر ثم يؤتى بالمقابل ذلك على سبيل الترتيب "[2]. والتجاور الذي ينسق الألفاظ فيما بينها؛ لأن : " للعادات اللفظية أثرًا... لا يقل عن ... أهمية ، وهو أنها أحيانا تضع للفكر قوالب وصيغا جاهزة. فلقد يخطر ببالنا فكرة وعندما ننتقل بها من حيز التصور إلى مرحلة التعبير نهيئ لها الكلمة المناسبة . إلا أن تلك الكلمة قد تكون ملازمة لغيرها ، بحيث لا تكاد تفارقها في أكثر ما نسمعه من الأحاديث ، أو نقرأه من المقالات ، فلا نجد مناصا من إستعمالها معا ، حتى ولو أن الفكرة لا تقتضي منها إلا الكلمة الأولى " [3].

ويبدو من هذا الطرح إلتزام الكتاب من الأعضاء البارزين في جمعية علماء المسلمين الجزائريين تضمين نصوصهم عبارات متجاورة على غرار ما ورد في النصوص القرآنية مثل :

---

1- الجوهري ، الصحاح ، 1797/5.
2- أحمد مصطفى المراعي ، علوم البلاغة ، دار القلم بيروت لبنان ، ط : 2 ، 1984 ، ص299 .
3- حنفي بن عيسى ، محاضرات في علم النفس اللغوي ، ص179.

الأمربالمعروف ، والنهي عن المنكر، والضعف والقوة ،والحي والميت، والحياة والآخرة والسراء والضراء، والعسرواليسر...إلخ.واعتمادهم للأسلوب المقتبس من القرآن الكريم الواضح في النثر الجزائري الحديث لدى أولئك الذين ساقهم الله لنصرة المظلومين ، وإحقاق الحق وإبطال الباطل ، والدعوة إلى المساواة والعدل مثل ابن باديس ، والإبراهيمي ، والعربي التبسي ومحمد السعيد الزاهري وغيرهم ممن أنار الله عقولهم بالعلم النافع الذي يعتبر من السلاح المهم لكل أمة.

فابن باديس في خطابه الذي ألقاه في الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقي بالجزائر العاصمة ، نجده يتعرض إلى الحديث عن أهداف الجمعية ، بما فيه فريضتي الأمر بالمعروف ، وإحياء ما كان عليه السلف الصالح ، والارتباط بالمنهج الذي جاء به الإسلام الواضح المستمد من القرآن ، وذلك في قوله : " إن جمعيتكم تفخر بأنها قامت بإحياء فريضتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وقت قل القائمون فيه بهاتين الفريضتين وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما مرجع الفضائل الإسلامية ومنبعها وقامت بإحياء هدى سلفنا الصالح في وقت طغت فيه البدع والأهواء على ذلك الهدى حتى خيف عليه الإندثار . وأن أول من رفع صوته بكلمة الحق في هذا الوطن وبلزوم الرجوع من بنيات الطريق إلى نهج الإسلام الواضح ، وبوجوب إلتماس الهداية من كتاب الله وما صح عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما آثر عن سلف هذه الأمة...، ولهم الفضل يوم مدوا أيديهم إلى بعضهم فأصبحوا أقوياء متعاونين "[1].

1- ابن باديس ، أثار الإمام ، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، 164/4 .

وإن مـا جد في هذا النص اقتباس واضح مستمد من ثقافـة الكاتب المستمدة من الثقافـة الإسلاميـة المرتبطة بالقرآن الكريم ومن ضمنها الآيـة التي يقـول فيها الحـق تعالـى : { **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** }[1].

ومعنى الآيـة أنـها تبيـن صفـة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في كتب الأنبياء ومعرفته لدى علمائهم وأحبارهم ، وهـو الـذي يـدعــو إلـى الخيـر والعمل بـه ، وتجنب مـالا ينفعهـم ويضرهـم من الخبائث والحيل تخفيفـا عنهم من المشقـة والأهـوال [2].

والمؤكد لدينا في هذا كله أن هنـاك تقابلا تجاوريا ثنائيا ينتمي إلى المحسنات البديعية المرتبط بالإتيان بالمعنييـن ، ثم يؤتى بما يقابله على الترتيب ، وذلك فـي الاقتبـاس الحرفي لابن باديس في نصه السابـق ، وبالتحديـد في جملـة : " الأمـر بالمعروف والنهـي عن المنكر " .

وإذا ما انتقلنـا إلـى كاتب آخر وهـو الإبراهيمي نجده يتجه إلـى الغرض نفسه الذي يدعـو إليه زميله ، وهو المحافظة على الإسلام وإقـامـة الشعائر الدينية ، والدعـوة إلـى الحـق ، والصــبر

---

1- الأعـراف : 157.

2- أنظر الصابونـي ، صفـوة التفاسيـر ، 476/1 .

- الزمخشري ، الكشاف ، 139/2 .

على المظالم ، والتعـاون في كل الحـالات الطارئـة ، من أجل نصـرة القضيـة العادلة ودفع الظـلم على أبنـاء الأمـة الجزائريـة ، داعيا في حديثـه الذي وجهه إلى أبناء الجزائر الأحرار " حثـوا إخوانكم على إقامـة الفرائض الدينيـة والاجتماعية التي أضاعوها كالزكاة والتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر والتواصي بالحـق والصبـر والمرحمة والتعاون على البر والتقوى والتآلف والتحابب مستندين في ذلك على كتاب الله وحديث نبيه مستدلين بنصوصها على النهج السلفي لجمعيتكم "[1].

وإذا ما تمعنـا جيدا في هذا النص لا نستغرب من أن صاحبه يقتبس من المصدر الأول والأساسي ، الذي هو القرآن الكريم ، لأنـه كـان من الرجال القلائل الذيـن أنجبتهم أرض الجزائر الملهميـن برجاحـة العقل وحسن التدبيـر للذود عنها بالكلمـة والقلم ، مثله مثل الرواد الذيـن عايشوه وعاش معهم في عضويـة الجمعيـة الإصلاحية .

والجملة التقابلية المقتبسة من الذكر الحكيم في هذا النص السالف الذكر ، وله علاقة فيما ورد في نص ابن باديس وهي جملة " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " . فالهدف واحد لكلا الكاتبين ، وهو الالتزام بتوجه الإرشاد والنصح ، لكي يستفيق أولئك المغيبون عن الحياة الواقعيـة بالنسبة لبعض الشبـاب الجزائـري .

---

1- محمد البشير الإبراهيمي ، آثاره ، 180/3.

## 6 - الجمـل

والجملة أو الجمل في اللغة معناه كما ورد في الصحاح و اللسان أن : " الجملة واحدة الجمل "[1]. والجملة جماعة الشيء ، جمعه عن تفرقة ، وأجمل له الحساب كذلك . والجملة جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره [2]. قال تعالى : { **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا** } [3]. ومعنى ذلك أن هذا قول كفار مكة الذين تساءلوا قائلين هل نزل هذا القرآن على محمد دفعة واحدة كما هو الأمر في نزول التوراة والإنجيل فجاء الرد من الله على شبهة الكفار التافهة في قوله تعالى : { **كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ** }[4]. أي أنزله الله على الرسول صلى الله عليه وسلم مفرقا ليستطيع قلبك يا محمد على تحمله فتحفظه وتعمل بمقتضى ما فيه [5].

والجملة هي الوحدة المركبة من كلمات منتقاة من أجل أداء مهمة الافصاح والتعبير عما يختلج في النفس من إحساس ، وفي هذا الصدد نجد أن الرافعي يقول أن : " الجملة هي مظهر الكلام وهي الصورة النفسية للتأليف الطبيعي ، إذ يحيل بها الإنسان هذه المادة المخلوقة في الطبيعة إلى معان تصورها في نفيه أو تصفها، ترى النفس هذه المادة المصورة

---

1- الجوهري ، الصحاح ، 1663/4.

2-ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، 1992 ، م 611/11.

3- الفرقان : 32.

4- الفرقان : 32.

5- أنظر الصابوني ، صفوة التفاسير ، 362/2.

وتحسها ، على حين قد يراها المتكلم الذي أهدفها لكلامه غرضا ، ولكنه بالكلام كأنه يراها "[1].

ونتيجة لما تتركه الجملة من بصمات لها دلالات الوقع في نفسية المتحدث والمتلقى على السواء وجدنا كتاب جمعية الإصلاح الجزائريين يلجأون إلى الأخذ من القرآن الكريم جملة كاملة لكونها تفيء بالغرض النفسي المرغوب في الكشف عنه ، وفي بعض الأحيان يكون ذلك الاقتباس بسبب الإعجاب بذلك النسيج القرآني ، ومحاولة محاكاته في أسلوبه ، لعل ذلك يكون عاملا مساعدا للإفضاء ، بما يكمن في صدورهم ، ونلاحظ كثرة الاقتباس لمثل الجمل التالية :

والراسخون في العلم ، تعاونوا على البر والتقوى ، الرحمن الرحيم ، جنات عدن عيشة راضية ، رجس من عمل الشيطان ، خذ الكتاب بقوة ، أفاك أثيم ، بأسهم بينهم شديد رجما بالغيب ، العسر يسرا ، وغير ذلك الكثير .

ومن تلك الأمثلة ما نجده بكثرة في نصوص كتابات رجال الإصلاح ، فابن باديس يتحدث في موضوع له عن غلو الصوفية ، في جعلهم الكمال عدم طلب الدنيا والآخره بعنوان : " طلب الآخرة وحدها مذموم في الإسلام "[2]. فيقول :" والمؤمن الكامل من يعرف حق ربه على عباده ، وما شرعه من حقوق بعضهم على بعض ، والقيام في كل ذلك بذكره

---

1- مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط:8 ، د-ت ص236.

2- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 52/3.

وشكره وحبه والتوكل عليه والإخلا ص له ، وأعلى مراتب معرفته في الآخرة هو مقام الرؤية بتجلية الأعلى في جنات عدن ، والاشتغال بذكر الجزاء عن العمل الموصل إليه جهل لا علم ولا معرفة " [1].

ففي هذا النص توجه للمؤمن الراغب في التقرب من خالقه ، وأن يعرف ما عليه من حقوق ، وما عليه من واجبات ، وأن يعمل بها بإخلاص متوكلا على الله دون سواه ، وهو ما يؤدي به إلى أعلى مراتب السعادة في الآخرة ، ونلمس في هذا النص تعلق ابن باديس بالثقافة الإسلامية والإعتماد على القرآن الكريم ، ويتجلى ذلك واضحا في اقتباسه من قوله تعالى : { **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ**} [2].

وهدف الكاتب هنا هو إثبات مقام جنات عدن ، وفي هذه الجنات موضع إقامة خالدة يجتمع شملهم فيها مع الصالحين من دونهم من أبائهم ونسائهم وأولادهم ، ليفرحوا بلقائهم ويتم بذلك سرورهم ، وإن لم يكونوا يستحقون هذه المنازل العالية بأعمالهم ويكرمون بجمع شتاتهم وتلاقي أحبابهم ، وهي سعادة ثانية تضاعف سعادة الشعور بالجنان وذلك فضل الله [3].

---

1-المرجع السابق ، ص54.

2-الرعد: 23.

3-سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 2058/4.

- انظر الصابوني ، صفوة التفاسير ، 81/2.

وفـي جو هذا التجمع واللقاء يكون اشتراك الملائكة التـي تدخل عليهم من كل باب من أبواب الجنـة ، يقولون لهم :{**سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ** }[1]. أي سلمتم من الآفات والمحن بصبركم فـي الدنيا، وتلك بشـارة بدوام السلامـة لهم.

وكل ما فـي الأمر أن الكاتب يسعى الى تثبيت العقيدة بالإيمان الصحيح الواضح الخالى من الزلل و الأخطاء، التى يحاول أولئك الذين لا يعلمون علم اليقين ما جزاء العمل الصالح الذى يتحصل عليه كل من جد واجتهد ليبلغ عن طريقه المجد العظيم وهو جنات عدن التى وعد بها المتقـون ، ويستمر ابن باديس فى الذود عن حيـاض الإسلام والعروبـة فى الجزائر ضد الفرنسين الذين حلوا بالوطن ومن حذا حذوهم لطمس تلك المعالم التى تنحصر فى بناء قواعد الإسلام وعدم فهمها وتطبيقها كما وصلت إلينا من مصادرها الأساسية ، وهو ماأدى بالإمام ابن باديس أن يتصدى لهذه المحاولات الاستبدادية بكشفها ، وفضحها أمام أعيـن الجميع ليحتاطوا من ممارسة الإستدمار الراغب في تغير الشخصية الجزائرية الإسلامية ، وذلك فى موضوع له بعنوان :"يالله للإسـلام والعـروبة فـي الجزائـر" [2]. يقول فيه : " سيرى الذين دبروا المكيدة ، والذين لم يتفطنوا لها فشاركوا فى تنفيذها أنهم ما أصابوا بهذه المكيدة إلا سمعة فرنسا فى العالم الإسلامي والعربى، فـي الوقت الذى تنفق فيه الملايين على تحسين سمعتها فيها ومكانتـها عند الجزائـريين فـي أحرج أوقاتـها، وأشدها حاجة إلى الأمم المرتبطـة بها ولا يحيق

---

1- الرعد: 24.

2- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 243/3.

المكر السيء إلا بأهله ، فهل ينظرون إلى سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا " [1].

يقتبس الكاتب فى نصه هذا جملة تأثر فيها بالقرآن الكريم الذى جاء فى سياق الآية قوله تعالى :{**وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرِ السَّيِّءِ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** }[2]. ويقصد الكاتب هنا فى هذه الآية التى لم يجد فى قاموسه ما يكفى ليعبر به عن الواقع ، وما يفي بالغرض الذى ينشده إلا بأسلوب هذه الآية ، التى يقصد من خلالها أن من يرغب فى التنكيل بغيره ، وتسليط المكاره عليه فإنه لامحالة عائد عليه بالوبال ، لأن من حفر حفرة لأخيه وقع فيها كما يقال فى الأمثلة العامية ، نتيجة عدم إيمانهم بسنن الله التى يجب الإلتزام بها ، والخروج عن ذلك يؤدى إلى ما لا تحمد عقباه مثل ما هو واقع للأمم السابقة عليهم ، والتي سلط الله عليها العذاب والهلاك بسبب كفرها وتكذيبها للرسل كعاد وثمود ، لأن أحكام الله فى هذا الوجود لا يحدث لها تحول ولا تبدل ، وليس بإمكان أيا كان أن يغير ما أقره الله على عباده .

وعندما نطلع على ما كتبه الإبراهيمى فيما يخص معالجته للواقع الذى أحدثه الاستعمار الأجنبي من تمزق وتفرق في المجتمعات العربية والإسلامية عامة والجزائر بخاصة ، نجده يقول في مقال عنونه بـــ : " فلسفة الإصلاح الدينى ". قائلاً : " وقد انقرضت تلك الفرق

---

1- - ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 245/3.

2- فاطر : 43.

وانقرض بانقراضها سبب جوهرى من أسباب التفرق بل مات بموتها شاغل طالما شغل طائفة من خيرة علماء المسلمين ببعضهم وجعل بأسهم بينهم شديدا ، وألهاهم بما يضر عما ينفع"[1] .

ومن الجمل التي وردت في هذا النص التي أقتبسها الإبراهيمي من القرآن الكريم " بأسهم بينهم شديد"، أخذها جاهزة كما وردت في قوله تعالى : { **لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ**}[2]. وعلى ضوء ما جاء في هذه الجملة من معنى العداوة الشديدة فيما بين أولئك العلماء وغيرهم الذين يذهبون إلى التفكير فيما يضر، ولا يهتدون إلى ما ينفعهم وينفع الناس جميعا. يتحدث الإبراهيمي في موضوع آخر عنوانه:" فصل الحكومة عن الدين " [3]. ليدافع فيه عن الدين الذي كان ملاحقا من طرف الاستعمار الفرنسي الذي حل بالبلاد لكي يطمس الهوية العربية الإسلامية ، وتبديله بالدعائم التي تثبته وتقوي كيانه في الجزائر من مثل الفرنسة والتنصير ، وفي ذلك يدعو القضاة إلى الإنصاف في الحقوق وأن لا يتعاونوا مع الاستعمار فيما يخص نصرة الحق الذي ينشدونه ،وأن لا ينساقوا وراء أهداف الاستعمار الذي يؤدي بهم إلى الخزي والعار ساعة لا ينفع الندم ، قائلا :

---

1- الإبراهيمي ، أثاره ، 97/1.
2- الحشر : 14.
3- الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 125/2.

"إننـا نريد لقضائنا حرمة ومكانـة ، ونريد لرجاله سمعـة ومنـزلة ، ونغار عليها، وندافع عنهما بحمية وحماسة ، ونطالب بإصلاح القضـاء ثم باستقلاله ، ونرى أنه لا عزة لأمـة إلا بعزة قضائها وقضاتها ، ولكن بعض القضاة كانوا بأقوالهم وأعمالهم عونا علينـا ، وكانواع الاستعمار إلبا على مطالبنا ، وكأنهم ضمنوا لأنفسهم الخلود في هذه الوظائف المهنية ، فاطمأنوا لهـذه (الخبـزة) الذليـلة ، وذاقـوا وبال أمرهم حين يسموا الخسف بالأمس ، وحملوا على خطة الهوان فلم يجـدوا وليا ولا نصيـرا " [1].

يقتبس الكاتب في هذا النـص جملتيـن همـا " فذاقـوا وبال أمرهم " ، ومعناه أن هـؤلاء القضاة المسانديـن للأفكار الاستبداديـة سيجازون بالعقوبـة الوخيمة على خروجهم على الاستقامة فـي الأحكام القضائيـة التـي أمرت بها الشريعـة الإسلاميـة [2]. والجملـة وردت فـى قولـه تعالــى : { **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** }[3]. والجملـة في هذا السيـاق تفي بالعرض الذى يهدف إليـه الكاتب . أما الجملة الثانيـة التى جـاء بها فـي هذه الفقـرة مقتبسا إيـاها من القرآن الكريم هى قولـه تعالـى : { **لايجدون وليا ولا نصيرا**}. التى وردت فى سياق معنـاه قولـه تعالـى : { **وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**} [4]. فالجملـــة تكشف عما يهدف إليـه الإبراهيمي

---

1- المرجع السابق ، 129/2.

2- الصابوني ، صفوة التفاسير ، 392/3.

3- التغابن : 5.

4- الفتح : 22.

من أن هـؤلاء القضاة فى تصرفهـم السـيء مع الأهالـى ، سيأتى يوما يندمون فيـه حين لايجـدون من يتولى أمرهم بالحفظ والرعايـة ، ولا من ينصرهم من عـذاب الله [1].

وفى توجـه لرائد آخر من رواد الإصلاح فى الجزائر ، وهو العربـي التبسى الذى يتحدث فى موضوع لـه بعنـوان ملائم للفتـرة التى يعيـش فيهـا المسلمون عامة ، والمواطـن الجزائرى خاصة الراضخ لمـا يحاك ضده وضد بـلاده مـن إذلال وإحبـاط نفسي عميـق ، وتشويــه صورتــه أمام الأجنـاس البشريـة حيث يقول فيه : " ألا أيهـا النـوام ويحكم هبـوا " الذى يوضح فيـه الأبـعاد الإسلاميـة التـي تحث على العمل الصـالح للبلوغ إلى الإيمـان الحقيـقى ، الهـادف إلى تنبيـه العباد للمطالبة بالحريـة ، ونبـذ إستغـلال الإنسان لأخيـه الإنسان ، موضحا بـأن الرجل الحـق هو ذلك الشخص الذى لا يجـوز لـه أن يسيـر منحنيـا أو منكسا رأسـه ، حيث لايـرى طريقه كالإنسان المنتصب القامـة فى مشيـته ، فيـرى طريـقـه ولا يتعثـر فى خطواتـه ، لأنـه يسير على طريـق واضح المعالم يقول :" وسيان عندى لصحـة المثـل أكانـوا فيما قطعـوا فيـه الأعمار على ظـل من الصـواب- وما أبعدهم عنـهم- أم كانوا كمن يمشي مكبا على وجهـه وسوف يتردى ، وإنمـا نغبطهم على صحـة العزيمـة ، وشدة التمسك بما تهيـأ لهم أنـه حـق فكأنما أصل هاتـه الأمم مسك ، وأصل أمتنـا طيـن "[2].

1- محمد علي الصابونى ، صفوة التفاسير ، 224/3.

2- العربي التبسي ، مقالات في الدعوة الإسلامية ، جمع وتعليق : شرفي أحمد الرفاعي ، 50/2.

ونلاحظ في إقتباسه لجملة :"يمشى مكبا على وجهه" الواردة فى قوله تعالى: { **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** }[1]. فالعربي التبسي يذهب فى هذا الشأن إلى نقل روح العبارة ، التى حركت مشاعره وتصرف فيها بالمناسبة التي تشير إليها الآية حرفا ومعنى .

ويتحدث العربي التبسي في موضوع آخر بعنوان : " لقد ضل من كان مثل هذا يهديه" يقصد فيه ابن عليوة وجماعته التى تنصلت عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم ورغبت في إضافة أشياء على الدين نتيجة لغلوهم دون الإطلاع عما جاء فيه ، وبالتالي العمل بما فهموه من هذا الدين ، ولكن جحودهم ، ونكرانهم لكل ما يهدف إلى تنوير بصائرهم ، وإرشادهم إلى الحق، ذلك أدى بهم إلى الكشف عن سرائرهم ، وفضحهم أمام الخاص والعام ، ويوضح الكاتب ذلك بقوله : " ففى مجامعهم و مجالسهم لاعالما ولا متعلما لسنة ، وإنما تجد غوغاء تهرف بكلام لا تعرف له وجها، وتتقلب في بدع لوخرج عليهم أحد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لأيقن أنهم من ملة أخرى ، وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون " [2].

يقتبس الكاتب في نصه هذا جملة من آية في قوله تعالى : {**وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ** } [3]. ليدعم بها نصه التي أبت نفسه إلا أن يدعمه بهذه الجوهرة

---

1- الملك : 22.

2- العربي التبسي ، مقالات فى الدعوة الإسلامية ، جمع وتعليق : شرفي أحمد الرفاعي ، 114/2.

3- القصص : 69.

من الذكر الحكيم ، لاعتقـاده بأنـه لا يفي بإحساسه وشعـوره إلا إذا عبـر بهذه الآيـة لأنـها تعبـر عن صنف من مثل هذه الأصنـاف ، لأن الله هـو العالم بما تضمره قلوبهم من العـداوة للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنـون ، وما يتفوهـون به بألسنتهم من الطعـن في شخص الرسـول الأكرم صلى الله عليـه وسلم [1].

وبهذا الأسلوب المتشبع بالثقافـة الإسلامية ، استطاع هؤلاء الكتاب الإصلاحيون أن يبثو ا أفكارهم التحررية ، فـي وسط الشعب الجزائـري الـذي تلقاهـا بشغف ، وأمعـن النظـر فيهـا ، بروح العقل فزودتـه بنـوع من الإحساس الذي جعله يعيـد حساباته فيما مر به ، وما هو فيه من الاستبداد والإذلال والقهـر ، فتفطن بعدها إلى كل ما يحـاك ضده ، فما كان عليـه إلا أن هب للصمود في الميدان للتصدي لكل المحـاولات مهما كان نوعها ، وهو الأمر الذي أدى إلى إفشال الاستبداديين والمستكبـرين في الأرض ، وبعدها ينال حريتـه التي هي بيت القصيد بالنسبة لرجال الإصلاح.

---

1- الصابوني ، صفوة التفاسير، 424/2.

# الفصل الثالث

# أثر القرآن الكريم في بناء الرمز الفني

## أثـر القرآن في بنـاء الرمز الفنـى

### تمـهيد :

قبـل الخـوض فـي الحديث عن كلمة الرمز الفني لا بد من التعرف على معنى الرمز اللغـوي الذي ورد عنه في المعاجم اللغوية ومنها "الصحاح" على أنه عبارة عـن" الإشارة والايمـاء بالشفتـين أو الحاجب" [1]. أو كل أسلـوب أو طريقة تؤدي إلـى الفهم أو الكشف عـن الشيئ المرموز إليه ، وقد وردت هذه اللفظة فـي قولـه تعالـى:{**قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ**}[2]. أي أن علامتك على قدر الكلام بالنسبة للناس الإشارة مدة ثلاثة أيام بلياليها مع أنك سَوِيٌّ الصحـة [3].

ومعنى ذلك أنـه : " الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم "[4]. والغرض من هذا يبـدو أن المتكلم ينصرف باستعمال " الرمز في كلامه فيما يريد طيـه عن كافـة الناس والإفضاء لهم إلى بعضهم ؛ فيجعل للكلمة أو الحرف اسمـا من أسماء الطيـر أو الوحش أو سائر الأجناس أو حرفـا مـن حروف المعجـم ، ويطلـع علـى ذلك المـوضع مـن يريـد إفهامه ، فيكون ذلك قـولا مفهومـا بينهما مرمـوزا من غيرهمـا" [5].

---

1-الجواهري ، الصحاح ، 880/3.

2- آل عمران : 41.

3- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 200/1.

4- قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، ص 61.

5- المصدر نفسه ، ص61-62 .

وللرمز حـالات مختلفـة من حيث كونـه مصطلحا أدبيـا يستخدم " كمصطلح فـي المنطق وفـي الرياضيات ، وفي نظرية المعرفـة ، وفـي علم الدلالات ، الإشارات ، ... غير أن فعل الرمز ، ... يوحي بأن فكرة التشابـه بين الإشارة والمشار إليه كانت موجودة في الأصل ، وما تزال تعيش في بعض الاستعمالات العصريـة كمصطلح . فالرموز الحميريـة والمنطقيـة رموز تقليديـة متفـق عليهـا ، غير أن الرموز الدينيـة تقوم على بعض الصلات الداخليـة بين :"الإشـارة" والشيء "المشار إليـه" ، استعارة أو مجـازا " [1].

وهكذا نلاحظ أن الرمز قد أصبح عبـارة عن الأداة للتعبيـر ؛ لأن اللغة العاديـة قاصرة عن القيام بالمهمة المنوطـة بها لاحتواء التجربـة الشعورية ، وإبراز ما في اللاشعور ، دون إعاقـة توافد الأفكـار فـي ذهن القـارئ وتوكيدها ، وبـالرمز تتمكـن اللغـة مـن نقـل التجربة واختراق عالم اللاوعي ، فتتكاثر ولادتها ، وإيحاءاتها ، في معان تتوافد على ذهـن القارئ كالمطـر [2]. وفـي هذا الإطـار الذي يدعم هذه الفكـرة ، ويزيـد فـي الكشف عنهـا أكثر مـا ذهب إليه "مرسيـا إليـاد" الذي يعتقـد أن التفكـير الرمـزي مـلازم للإنسان ، ولا ينحصر فـي تلك الألفـاظ التعبيريـة للطفـل والشاعر والمجنـون ، بـل إنـه : "سابـق علـى اللغـة والعقـل الاستدلالـي . يكشف الرمـز عن بعـض مظـاهـر الواقـع الأكـثر عمقـا ، والتي تتعـدى أي وسيلة أخرى للمعرفــة

---

1- رينيه ويليك أوستن وارين ، نظرية الأدب ، ترجمة محي الدين صبحي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيـروت د-ط ، 1987 ، ص196.

2- نسيب النشاوي ، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبيـة ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، د-ت ، 1984 ص471 ، نـقلا عن خليل موسى ، اللغة في ميزان الشعر ، ملحق الثورة الثقافي ، العدد : 2 ، 1978. ص471.

ليست الصور والرموز والأساطير إبداعات لا مسؤولة من طرف النـاس ؛ إنها تستجيب لضرورة تقوم بوظيفة تعرية صيغ الكـائن الأكـثر سريـة "[1].

وللتوضيح أكثر نجد أن الرمز يكمن " في التشبيهات والاستعارات والقصص الأسطوري والملحمي والغنائي وفي المأساة والقصة ، وفي أبطالها اتخذه الناس قديما ليبرزوا قيمة الفكرة بواسطة الاستعارة الحسيـة أو ليخفوها كما هو الشأن عند الصوفيين في الديانات ... ومن غايته كذلك تزييـن الفكرة وتجنب الاعتراف الشخصي"[2].

وإذا ما عدنا إلى دور الرمز في القرآن الكريم والهدف منـه نلاحظ أن : " في القرآن من الرموز أشيـاء عظيمـة القدر جليلـة الخطـر ، وقد تضمنت علم مـا يكون فـي هذا الدين مـن الملوك والممالك والفتـن والجماعات ومُدد كل صنف منها ، والقضائية ، والعصر ، والشمس واطلع على علمها الأئمـة المستودعون علم القرآن ... وروي عن ابن عبـاس رضي الله عنه أنـه سئل عن الـم ، وحـم ، وطسـم ، وغير ذلك مما في القرآن من هذه الحروف فقال : ما أنزل الله كتابا إلا وفيـه سر ، وهذه أسرار القرآن "[3].

---

1- العربي الذهبي ، شعريـات المتخيل ، شركة النشر والتوزيع – المـدارس- الدار البيضاء ، ط:1 ، 2000 ص204 .

- أنظر ...... 13-14. Mercia eliad . 1952 . images et symboles .gallimard. paris-

2- موهوب مصطفاي ، الرمزية عند البحتري ، ص139.

3- قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، ص62 .

وعلى غرار ما تقدم ذكره ، نلاحظ أن هناك محاولـة من طرف النقاد للفصل بين نوعيـن من الرموز همـا : الرمز الموضوعي واللغـوي ، والقصد من الرمز الموضوعـي : هو إحـلال صـورة الرمزية على الشخصيات والأعلام مـن منظور السلوكات الصادرة عنهم ، أو ما اشتهروا به من الفضائل والقيم الرفيعـة التي تؤثر إجابا في فكر الكتاب ، وينعكس ذلك فـي كتاباتهم ، ونخص بالذكر الإعـلام والشخصيات الواردة فـي القرآن الكريم [1]، والرمز اللغوي هو الذي يتنـوع أسمـاء وأفعالا وصفات إلخ ... ويقابلها المدلولات وهي كل ما تشتمل عليه الحيـاة المادية والذهنية والوظيفة الدلاليـة لتلك الرمـوز هي إثارة صور المدلولات لدى السامع أو القارئ .

والرمز اللغوي هو الذي نجده يتميز بسمتين هامتين هما : الإيجاز أو الاختصار من جهة والتجريد من جهة أخرى [2].

وهكذا نرى أن هناك محاولـة من طرف الكتاب لإبـراز بعض الصفات الرمزية مستمدين ذلك من ألفاظ القرآن الكريم ، الذي هو النبع الذي تشبع منه هـؤلاء الكتاب والإصلاحيون .

---

1- محمد ناصر بوحجام ، أثر القرآن ، 270/2.

2- فائز الداية ، جمليات الأسلوب ، دار الفكر دمشق سورية ، ط :2 ، 1990 ، ص174.

**1- الرمز الموضوعي:**

لقدحاول كتاب الفترة الحديثة من الإصلاحيين الجزائريين ، استلهام بعض السير لأعلام قرآنية ، للتنفيس عن أحاسيسهم ومشاعرهم الفكرية ، والأخذ منها ببعض التعابير التي تقدم أشكالا ورموزا تحمل معان ، وبعدا عميقا ، يتصف به هؤلاء المرموز إليهم ، وسواء تعلق الأمر في هذا الشأن برموز الأنبياء أو الرسل أو بعض الصالحين ، لإتخاذ العبر والإسترشاد بها إلى الأهداف السامية ، ونبذ كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الإنحطاط ، والتدهور والتفكك الاجتماعي ، وفي صددترسيخ الإيمان ، وإثبات الشخصية، سنحاول التعرض إلى بعض من الشخصيات التي تناولها الكتاب في كتاباتهم ابتداء بشخصية إبراهيم عليه السلام.

**أ- إبراهيم عليه السلام :**

ومن تلك الرموز الدلالية ، والأعلام الخالدة ، والعظماء الأجلاء ، الذين وقف عندهم رجال الإصلاح ، وأخذوا من قصصهم كثيرا من الرموز لشتى المواضيع التي اعترضت إحساساتهم ، ومشاعرهم ، لغرض الكشف عنها ، والإدلاء بأفكارهم البناءة للوصول بأمتهم إلى إدراك المجالات الحقيقية لسبل التحرر والإنعتاق ، والسؤدد . من ذلك إبراهيم عليه السلام.

إن لقصة حيات إبراهيم عليه السلام المميزة بالعديد من العبر المفيدة ، والعضات الأخلاقية السامية ، وكان من المفروض على الإنسان الوفي لدينه ، والقوي بإيمانه أن يتخذ من سيرته الحميدة سبيلا للارتقاء نحو العلى مصداقا لقوله تعالى : { **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**}.[1]

هكذا يثبت الله قوة وعظمة إبراهيم عليه السلام ، وهو أبو الأنبياء الذي إمتدحه الله بهذا المدح ؛ لأنه : " كان نموذجا للهداية والطاعة والشكر والإنابة لله . ويقول عنه هنا : إنه كان أمة . واللفظ يحتمل أنه يعدل أمة كاملة بما فيها من خير وطاعة وبركة . ويحتمل أنه كان إماما يقتدى به في الخير " [2]. وهذان المعنيان " قريبان ، فالإمام الذي يهدي إلى الخير هو قائد أمة وله أجره وأجر من عمل بهدايته فكأنه أمة من الناس في خيره وثوابه لا فرد واحد"[3].

إن إتصاف إبراهيم عليه السلام بتلك الشمائل والكمالات التى لانستطيع العثور عليها إلا في شخصية تستمد قوتها من إرادة الله ، هو ما استدعى رجال الإصلاح أن يستلهموا من شخصيته وسيرته الفذه . كل مايتعلق بالترميز الذى يحتمل الإيحاءات التى تستنهض الهمم وتذكي النفوس بالأفكار التى تميز بين الغث والسمين وتنير السبيل المبين ، وتمد الجزائريين بالأضواء التى يستطيعون من خلالها معرفة كل ما هو مبيت لهم من طرف المعتدين من الإغراءات لتبعدهم عن تاريخ أجدادهم وماضيهم التليد ، وسماحة دينهم الإسلامى السليم وأنبياء الله المرسلين.

ولإرساء هذه الصفات الحميدة المميزة لهؤلاء الأعلام ، التى ما انفك هؤلاء الإصلاحيون يشيدون بها ، ويسعون إلى غرسها في نفوس المواطنين الذين خيم على صدورهم نوع

---

1- النحل : 120.

2- سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، م 4/12-2201/18.

3- المرجع نفسه ، ص2201.

من الضبابية والنسيان للحضارات ، والمعجزات التى جاءت بها الأديان السماوية ، لذلك نجد ابن باديس يشير فى وضوح إلى سر التضحية التى سنها الله للمسلمين على يد إبراهيم عليه السلام قائلا : " فهذا يوم الحج الأكبر ، والموسم الأشهر جعله الله عيدا للمسلمين وشرع فيه ما شرع من شعائر الدين ، تزكية للنفوس وتبصرة للعقول ، وتحسينا للأعمال ، وتذكيرا بعهد إمام الموحدين وشيخ الأنبياء والمرسلين إبراهيم الخليل عليه وعليهم الصلاة والسلام أجمعين "[1].

ففى هذا النص الذي أشار الكاتب فيه إلى هذا العَلَم الرمزي الجليل الذى استلهمه من قوله تعالى : { **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** }[2]. ومعنى الخلة وحيثياتها هو " أن يتبع أفضل دين ، وأن يسلم وجهه لله ، وأن يكون محسنا ويتبع الملة وأن يكون حنيفا..."[3]. وهذه الصفات كانت مشتملة فى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، والتى أهلته أن يكون شيخ الأنبياء والمرسلين ، وهو ما استدعى أنتباه ابن باديس ليشر إليه في هذه الخطبة ليتعض ويتذكر أولو الألباب ، وينصاعوا إلى ما أمر به الله ، وما أتى به الأنبياء والمرسلون ، ليكون السامعون لهذه الخطبة قوة متلاحمة تدفع عن نفسها الظلم والطغيان مثل ما فعل إبراهيم عليه السلام ، على الرغم من العداوة والبغضاء التي لاقاها من قومه الذين تنكروا لدعوته وعبدوا الأصنام دون عبادة الله الواحد القهار .

---

1- ابن باديس ، حياته وآثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 530/3.

2- النساء : 125.

3- محمد متولي الشعراوي ، قصص الأنبياء ،ص99.

وعلى الرغم من كل تلك المعاناة والمحن التـي لاقـاهـا إبراهيم عليه السلام من أهلـه لكي يتوقف عن تبليغ الدعوة التي أمـره الله بنشرها على أوسع نطاق ، إلا أنه إستمر في توكيد أن ما جاء به هو الحـق ، وأن ما يتبعونـه هو الباطل ، ولذلك جاء في قولـه تعالى : { **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** }[1] من بـاب الترغيب في اتباعـه ، لأنـه إمام يقتدى بـه حيث وصل إلـى غايـة ما يتقرب إليه العبـاد حيث إنتهى إلـى درجة الخلـة التـي هي أرفـع مقامات المحبة فذلك راجع لكثرة طاعتـه لربه كما وصفه بـه فـي قولـه تعالـى :{ **وَإِبْرَاهِيـمَ الَّذِي وَفَّى**}[2] ومعنى ذلك أنـه : " قـام بجمع مـا أمربه ووفى كل مقام من مقامات العبادة ، فكان لا يشغلـه أمر جليل عن حقير، ولا كبير عـن صـغير"[3] . وهذا ما كان ابن باديـس يـود الإشارة إليـه ليطلـع عليه المؤمنـون من أبناء الأمـة الجزائرية ، ويعملوا به ليرفعوا الغـبن عن أنفسهم والمعانـاة التـي يلاقونـهـا من طرف المتسلطين ، ولا يتأتى لهم ذلك إلا بانتهـاج سبيل هذا الرمز الدينـي وغيـره من الأنبياء والمرسليـن .

وفي هذا السيـاق الذي يشيد فيه رجال الإصلاح ، ويحاولون كلما سنحت لهم الفرصة الترميز إليـه ، محاولـة منهـم لإحيـاء ذلك التـراث التاريخـي الناصـع البياض لدحض تلك التهم والدعايات المغرضـة ، التي يحـاول أعداء الله إلصاقها بأمـة التوحيد ، وبشمس الإسلام المشرقـة على الخلق أجمعيـن.

---

1- النساء : 125.

2- النجم : 37.

3- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 1/826-827.

فهذا الإبراهيمي في حديث لـه عن فلسطين السليبـة ، يحاول أن يستعرض الخضوع والتقاعس المسلط على الأمة الإسلامية والعربية ، التي لا بد لها من أن تستقرئ ماضيها الحافل بالأمجـاد والبطولات ، منذ أن سطع نور الله في أرضه المبلغ عن طريق الأنبياء والمرسلين نجده يتساءل قائـلا : "فكيف لا ينتخى بخيلـه التي وردت المشارف من هـو فـي السر من فهر وفـي الذوائب من قريـش . وما وردت إلا لإنقـاذ تراث الخليل ، من يد الدخيـل "[1] . وفي هذا النص نلمس دعوة الإبراهيمي إلى المحافظـة على الإرث العظيم الذي تركه لنـا إبراهيم الخليـل أي حبيب الله عليـه الصلاة والسلام ، في فلسطيـن التي يقع بها بيت المقدس التي استولى عليها المعتدون من اليهــود وعملاؤهم الذين يعيثون في الأرض فسـادا .

وأن الإبراهيمي في هذه العبارة الأخيـرة استعمل فيها أداة الحصر " إلا " التي خصصت قدوم تلك الكتائب العربيـة الإسلامية لفتح بيت المقدس القبلـة الأولى للأنبياء والمرسلين ومسرى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو ما يوجب على الخلف الصالح من أبنـاء الأمـة الإسلاميـة ، الذود عن هذه الديار التي دنست من طرف هـؤلاء الدخلاء ، لتعود إلـى أهلها الأصليين ، وبذلك يصبح تراث الخليـل محفوظا ، وبهذا يكون الكاتب قد وظف هذا التركيب في عبارة الموصوف للفظة "الخليـل" ويتخلي عن الصفة التي هي " إبراهيـم" عليـه الصـلاة والسلام الـذي ورد فـي قولـه تعالـى : { **وَمَـنْ أَحْسَنُ دِينًـا مِّمَّنْ أَسْلَـمَ وَجْهَـهُ لله وَهُـوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** }[1] .

---

1- محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 514/2.

دون أن يحدث هذا الأسلوب خللا في المعنى ، بل أضاف إحساسا وشعورا ، وإبداعا بيانيا متنوع الدلالة في التبليغ ، والموصوف المعبر عنه بلفظ "الخليل" الذي يعني بها الشخص المحبوب والمقرب إلى الله . والتلفظ بهذا السياق اللفظي البلاغي يعد مدحا ، وإشادة بعظمة وقدر إبراهيم الخليل عليه السلام.

ب- **قصة يوسف عليه السلام :**

إن لقصة يوسف عليه السلام مكانة سامية في الوجود الإنساني ، وذات أهمية كبرى تجعلها من أحسن القصص الواردة في القرآن الكريم لتميزها عن غيرها من القصص ، واشتمالها على العديد من العبر المتعددة ، الحاصلة من تلك المعاناة المرافقة لمراحل حياة يوسف عليه السلام من ذلك صفة الحسد التي اتصف بها إخوانه .وتمردهم على أبيهم ،وتمسكه بالرفض بالنسبة للحادث الذي انجر عنه إدخاله السجن ، وعملية الصفح عند المقدرة لإخوانه الظالمين والمبعدين له عن أهله ، وهو ما يزال صبيا لا يقدر على إجتياز الصعاب والمحن ، مما جلب عليه الكثير من الويل والأتعاب والعقبات ، في مراحل حياته الأولى وكل ذلك لم يترك في نفس يوسف عليه السلام صورة الإنتقام .

والقصة كما جاءت في القرآن الكريم تتعرض للنفس الإنسانية الزكية في شتى الأطوار والمراحل المختلفة من العمر الزمني ، والعقلي ، والعاطفي ، مما أضفى عليها ثراء هي الطريقة التي جاء بها القرآن وما أسدله عليها من الإعجاز البلاغي الذي أعجز أسلوب البشر [1] .

---

1- النساء :125 .

وبهذه المواقف التي تزخر بها قصة يوسف عليه السلام المتمثلة في رموز تحمل في طياتها فضائل أخلاقية عالية كفضيله الوفاء ، والطهر ، والأمانة ، والعفة ، وغيرها مما استأثر بها رجال الإصلاح الجزائري ، وكانت نمودجا للتفكير الجيد ، والحنكة والتدبر فيما يحيط بواقع الأمة من صور الحياة ، وما يجب أن يتحلى به المؤمنون بالقضية الجزائرية من الفضائل التي تحلى بها غيرهم ، وتستلزم الإحتذاء بها.

وهو ما أدى برجال الإصلاح أن يلجأوا إليه في كتاباتهم كرمز للإقتداء به ، وخاصة عندما تعترض لهم العديد من القضايا المطروحة ، ولا يمكن إيجاد الحلول لها إلا بالإستناد على الرموز التاريخية المميزة بأفكار سامية وتوجيهات سديدة خلاقة ناجحة ، وليس أدل على ذلك إلا ما جاء في قصة يوسف عليه السلام ، وما يذكر أنه رأى رؤيا فيما يرويه يوسف عليه السلام عن أبيه في قوله : "يا أبت إني رأيت ليلة الأمس رؤيا جميلة ضاءت لها جوانب نفسي ، وانشرح لها صدري"[2]، مصداقا لقوله تعالى: { **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ** }[3] ومعنى ذلك " أن الأحد عشر كوكبا عبارة عن إخوته ، وكانوا أحد عشر رجلا سواه وذلك حين رفع أبويه على العرش ، وهو سريره ، وإخوته بين يديه "[1] ، والشمس والقمر أبوه وأمه .

1- محمد متولي الشعراوي ، قصص الأنبياء والمرسلين ، ص15.
2- محمد أحمد جاد المولى ومن معه ، قصص القرآن ، ص 58.
3- يوسف : 4.

لذلك ورد عنه تعالى أن يعقوب عليه السلام أجاب إبنه يوسف بعدما قص عليه ما رآه في رؤياه من خضوع إخوته وتقديرهم المعتبر له في ظاهره السجود تعظما له ، فخاف يعقوب عليه السلام أن يذكر يوسف ذلك أمام إخوته ، فيزداد حسدهم على ذلك فيكيدون له مكيدة تضره لذلك جاء عنه في قوله تعالى : { **قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** } [2].

أي أن يعقوب عليه السلام يقوم في هذه الآية بتوجيه النصح إلى يوسف عليه السلام بأن إخوته إذا علموا بهذه الرؤيا سيحاولون الإحتيال عليه بما يضره لأن الشيطان يوسوسهم ويحاول التوغل في صدورهم ليبث فيها السموم ، والوساوس ، والحيل ، والمكر والدهاء لأن الشيطان هو العدو الأكبر للإنسان ، فهو يحاول دائما البحث عن الحيل التي لا تسمح له ببلوغ تلك المنزلة الرفيعة .

هذا هو الأسلوب المتبع لدى بعض من الأصناف البشرية الموجه إلى سبل الجهل والظلال والهاوية التي استولى عليها الشيطان ، وبث في قلبها صفة من الصفات الذميمة المتمثلة في ظاهرة الحسد التي لا تنفع ولا تغني من الأمر في شيء ، بل ضرها أكثر من نفعها ، بناء على ماورد في الحديث النبوي الشريف في قوله صلى الله عليه وسلم : " **إِيّاكُمْ وَالْحَسَدْ فَإِنَّ الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ** "[1].

---

1- ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ، 149/2.

2- يوسف : 5 .

وفـي هذا ما أشار إليه عبد الحميد ابن باديس في خطاب ألقاه في الإجتماع العام لجمعية علماء المسلمين مشيرا فيه إلى دورها فـي القيام بنهضة الأمة قائلا : "وكذلك عرفت الأمم فـي تاريخها ألا تنهض إلا على صوت علمائها فهو الذي يحل الأفكار من عقالها . ويزيل عن الأبصار غشاوتها . ويبث الهمم من مراقدها ، ويدفع بالأمم إلـى التقدم فـي جميع نواحي الحياة . ولهذا نرى أعداء النهوض فـي كل عصر ومصر يبذلون لإخفاء هذا الصوت كل جهودهم ، ويكيدون له كل كيدهم " [2]، أي أن صاحب هذا القول يعلم علم اليقين أن من وسائل قيام النهضة في البلاد هو رفع صوت علمائها . لذلك عمل المستعمر على إسكات هذه الأصوات ، وإبعاد أصحابها وذلك بالتشريد ، والنفي ، والقتل ، وغيرها من وسائل الهدم والإحباط النفسي .

وفـي النـص علاقة بما نصح بـه يعقـوب عليـه السـلام يوسف فـي عـدم ذكر مـا رآه فـي منـامه أمـام إخوته لكي لا يحسدونـه ويكيـدون له ، وهو ما رمز بـه الكاتب ابن باديس إشـارة منه إلـى واقعية قصة يوسف ، التـي وردت على لسان أبيه يعقوب عليه السلام ، الذي خبر الدنيا ومـا يقـوم بـه الأشرار مـن الأعمـال الهدامة لإزالــة نعمـة السعادة عـن غيرهـم بشتى سبـل الكيد وهو ما اقتبسه ابن باديس من قوله تعالـى : { **قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**} [1]، وهو الأمر الذي لاقاه أعضاء رجال الإصلاح من جمعية علماء المسلمين الجزائريين من سجـن ، وتعذيب ، وتشريـد ، وغيـره مـن أعمـال التنكيل ، لإخمــاد أصواتهم التي تنبــذ القمع والإستبداد ، وتطالب بالعــدل والمساواة والحريــة .

---

1- عز الدين بليق ، منهاج الصالحين ، ص289.

2- من تراثنا ، أثار عبد الحميد ابن باديس ، 4/204-205 .

ومع ذلك فكل التصرفات اللاإنسانية ، تطالعنا بمواقف رجال الإصلاح المنادية بالعودة إلى القرآن والإشادة به ، والتمسك بآثاره ، والعـودة إلى الرمـوز الدينية التاريخية الخالـدة الممكن إستنباطها من قصص القرآن الكريم كما جاء في قصة يوسف عليه السلام ، وخاصة موقف أبيه يعقوب المتمثل في الصبر والتجلد عند سماعه أن إبنه يوسف أكله الذئب . ليكون لهم النصر كما كان للذين صبروا ونالوا رضى الله وخلدهم القرآن الكريم بذكره في قصة يوسف عليه السلام ، بالتصرف الصادر من طرف إخوة يوسف ، في محاولة تغطية فعلتهم الشنعاء المفضوحة عند إستظهار قميص يوسف وعليه بقع من الدم ، دون أن يصاب القميص بأي مظهر يكشف بأن الذئب هو الذي أكل يوسف عليه السلام ، فعلم يعقوب عليه السلام من خلال ذلك أن إبنه لم يؤكـل من طرف الذئب ، بل ما يـزال على قيد الحيـاة.

فمن خلال الخبر المساق إليه ، وعدم يقينه المستخلص من القرائن في الدم الموجود على القميص ثبت عدم صدق الخبر ، وبالتالي لا يجـوز البحث عن الإثبات المادي فكان الرد على أبنائه " فـي جمال الأسلوب المعتمد ، فقدكان بإمكانـه أن يقـول لهـم : بـل كذبتـم ، إلا أنه تنزه عن إتهامهم المباشر بالكذب ، واستعمل أسلوبا راقيا جدا فـي الرد عليهم بقوله سولت لكم أنفسكم أمرا. وفـي هذا تعليم لنا فـي كيفية إدارة حواراتنا فيما بيننا " (1) .

3- يوسف : 5.

ثم يقـول لهم ما جاء فـي قوله تعالـى :{ **وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**}[2]، فالصبر من الصفات الأخلاقية الحسنة ، وهو مطلوب فـي مثل هذه المواقف لقوله تعالـى : {**فصبر جميل**} ، لأن هنـاك معنيين لهذه العبارة ، منهـا ماهو خالـي من الشكوى والجزع ، ومنها مـا فيه جزع وشكوى ونـواح ، والمسلمون مدعوون إلى ما دعي إليه نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :{**فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً** } [3].

وهو ما تفطن إليــه محمد البشير الإبراهيمي ، وحاول أن يرمز إلــى تلك الواقعة ويشيد

بمثل ذلك الموقف الهام الصادر من شخص عظيم ، المتمثل في يعقـوب عليه السلام .كما أخبرنا به الله ، وقصد الإبراهيمى من ذلك هو تبليـغ الرسالــة الملقـاة على عاتــقه ، وكذلك ممن هم على منهجه ، ليبلغوها إلى الأمة الجزائرية لتتولى الدفاع على القضية الوطنية .وهو ما جاء في موضوع له بعنوان : "يـوم الجزائر" الذى ورد عنـه فيــه "والصـبر الجميل إذ تـقولت السياسة والعزيمة الصادقة إذ ساور اليـأس"[1].

---

1- فؤاد العريس ، لطائف التفسير من سورة يوسف ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، ط: 1 ، 2005 ، ص72.

2- يوسف : 18.

3- المعارج : 5.

نلاحظ في هذا النص إقتباس الكاتب عبارة " الصبر الجميل " من القرآن الكريم وخاصة ما جاء في قصة يوسف عليه السلام ، التى بينت موقف يعقوب عليه السلام من صبره الجميل عند الفزع الأكبر ، وهو السلوك الذي دعى إليه الإبراهيمي الجزائريين ، من أجل البلوغ إلى الأهداف المطلوبة والمرجوة وهي تحرير البلاد والعباد مما يسلط عليهم من الدخلاء، وأن لا يقنطوا ولا ييأسوا من رحمة الله وأن يثبتوا على الإيمان الصادق وعلى الصبر الجميل ، بالتوكل على الله.

أما إذا انتقلنا إلى لفظة أخرى منتقاة من قصة يوسف عليه السلام في تصوير أبيهم بأنه كما جاء في قوله تعالى : { **إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**}[2]، أي أن أباهم يتصرف تصرفا فيه خطأ ، وخروج عن الصواب ، لإيثاره يوسف عليه السلام وأخاه بالمحبة دونهم مع العلم أن الضلال المقصود لديهم ليس ضلال الدين لأنه لو كان القصد هو ذلك لكفروا ، وإنما هو إيثار إثنين عن الباقين من أبنائه [3].

بخلاف ما جاء على لسان ابن باديس في موضوع بعنوان " الإصلاح أمس واليوم " الذي توجه فيه بالدعوة إلى الإصلاح الديني علما وعملا في قوله : " كيف يكون حال العالم الإسلامي ومراكزه العلمية الدينية في ذلك الضلال المبين "[4]، أي أن هذا السلوك المنتهج من المؤسسات العلمية الدينية لا يبشر بالخير ، ولا يميز بالإعتدال ، والاستقامة ، علما بأن اللفظ"في الضلال المبين" استلهمه ابن باديس من قصة يوسف عليه السلام ، الرامزة إلى مالاقاه من الإبتلاءات والمحن ، واتهام إخوته لأبيهم يعقوب عليه السلام . إلا أن العلاقة بين المعنيين لفظ "الضلال المبين " عند ابن باديس هو الكفر، والإبتعاد عن الدين الإسلامي الحنيف أما ما يعنيه أبناء يعقوب ليس الخروج عن الدين إنما هو حبه ليوسف وأخيه دونهم .

---

1- محمد البشير الإبراهيمى ، آثاره ، 169/1.

2- يوسف : 8.

3- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ،42/2.

4- عبد الحميد إبن باديس ، حياته أثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 66/3.

ومن هذا المنطلق نلاحظ أن رجال الإصلاح حاولوا الاستمداد من هذه الرموز القرآنية ليدعموا أفكارهم بما هو وارد في القصص القرآني خدمة لإبراز الشخصية الوطنية والمحافظة على الدين الإسلامي النابع من سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، الخالي من البدع ومن الضلال المبين .

**ج ـ قصة موسى عليه السلام :**

لقد شاء القدر أن ترتبط حياة النبي موسى عليه السلام بالعديد من الأحداث والمواقف المميزة بالصفات الخصوصية ، المؤثرة في كل ذي لب وعقل راجح، عالم بسيرته المنيرة لسبل الهدى .

و ذلك ما نجده في قصة موسى عليه السلام من توجيهات وأحكام وعبر لا يمكن الإستغناء عنها لأن ذلك ينجر عنه كل ما يؤدي إلى:" إصلاح الأمم بعد فسادها ، عاقبة الكفر والظلم ، صمود العقيدة، انتصار الحق على الباطل ، حرية الشعوب ، تفويض الطغيان نجاة المؤمنين ، التحرر من سلطان التقاليد ، التحلي بالقول اللين ، الإيمان عن طريق العقل

دحض معتقدات المصريين القدماء ، تنزيه الله وتقديره حق قدره"[1] .ولأجل كل هذا أخذ الكتاب يستقون من هذا النبع ، ومن هذا الرمز الشخصي تلك التعابير الفكرية المختصرة والهادفة لإصلاح ما أفسده الدهر ، وما انجر عنه من الحالات والمواقف الخلاقة التي لا تصدر إلا من العظماء أصحاب الهمم والشرف.

فهذا ابن باديس أحد المصلحين الجزائريين الذين ساهموا مساهمة فعالة في بناء وإرساء قواعد التربية المستمدة من القرآن الكريم ، وما ورد فيه من القصص الرمز ي الذي حاول من خلاله تبليغ الرسالة الإصلاحية للذين ضلوا طريق الصواب ، وانساقوا وراء
أهوائهم الهدامة . وعلى كل فإن ابن باديس مرب و موجه لكل من يرغب في طلب العلم والمعرفة ويستعين بذلك في توضيح القصد الهادف بالرمز القصصي الذي ورد في القرآن عن الأنبياء والمرسلين مثل ما هو الأمر في استرشاده لإشكالية معنى الإستغاثة ، في موضوع له بعنوان : " الدعاء منه عادة ومنه عبادة ". والذي جاء عنه الرد على ما نشر بجريدة البلاغ عدد : 282 ، عن بيان معنى الإغاثة ومناقشتها ، " فالاستغاثة هي طلب الغوث وهو تخليص من شدة أو إعانة على دفع مشقة فهي من أقسام النداء والدعاء ، وتكون من مخلوق لخالقه عبادة وتكون من مخلوق لمثله عادة ، فيدعو المخلوق ويستغيث به فيما هو مقدوره " [2].

---

1- محمد ناصر بوحجام ، أثر القرآن ، 272/2، نقلا عن عفيف عبد الفتاح طبارة ، مع الأنبياء في القرآن ص 250.

2- ابن باديس ، آثاره ،جمع ودراسة : عمار الطالبي ،33/3.

وهو يشير هنا إلى ما ورد في القرآن الكريم عن الحادثة التي صادفت موسى عليه السلام لما أتاه الله الحكم ، ودخل المدينة على حين غفلة من سكانها ، وهو وقت نصف النهار كما يذكر ابن عباس ، فالتقى برجلين يتنازعان ، هذا من المستضعفين من بني اسرائيل وهو من موالي موسى عليه السلام والآخر قبطي موال لعدوه فرعون فاستنجد الإسرائيلي بموسى عليه السلام ، فوجد موسى لنفسه فرصة سانحة ، وهي غفلة الناس عنه فالتفت إلى القبطي ، فوكزه فلقي حتفه فمات [1]. مصداقا لقوله تعالى : { **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ** }[2] ، ويبدو من سياق نهاية الآية أن موسى عليه السلام لم يكن يقصد قتل القبطي ، والقضاء عليه ولكن لما رأى جثة هامدة أمامه ندم على فعلته تلك وساق كل ذلك التصرف إلى عمل الشيطان وغوايته ، التي صدرت من الغضب فأعترف بظلمه لنفسه فتوجه إلى الله بطلب الصفح والمغفرة وكانت رحمة الله واسعة ، فاستجاب لتضرع موسى عليه السلام فغفر له [3].

هكذا كان ابن باديس وغيره من رجال الإصلاح يستمدون براهينهم واستدلالاتهم مما هو وارد في القرآن الكريم من الأحداث والوقائع التي تكشف عن السبل والطرق الواجب اتخاذها عند الحاجة ، لتجنب الوقوع فيما لا يحمد عقباه .

---

1- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 2161/3.

2- القصص : 15.

3- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، م :5 ، 19 ، 2682/25.

وليس ببعيد عن هذا الذي ذكرناه ما ذهب إليه مصلح آخر من أصحاب ابن باديس وهو مبارك بن محمد الميلي في كتاب له بعنوان : " رسالة الشرك ومظاهره" . وفي نص من هذا الكتاب بعنوان "الدعاء" الذي تعرض فيه إلى معنى الدعاء ، وتفسيراته التي منها الدعاء والسؤال والطلب والرغبة ، وذكر كذلك أن للدعاء أخوات في المادة ومعان في الاستعمال تعود إلى السؤال في تضرُّعٍ ، والرغبة في الاستكانة ، وذلك في شرح وجيز مستدلا ببعض الآراء ، من ضمنها ما جاء في تفسير المنار من أن الدعاء هو عبارة عن الشعور بالقلب والتوجه بالدعوة إلى عناية الخالق ، فيما يتوجه إليه سبحانه وتعالى ويرغب فيه . ثم ينتقل إلى توضيح الدعاء العادي ، وصفات المدعو في توجيهه في طلب العوذ أو العون أو شيء آخر من الفرد القادر عليه مدعما ذلك بما جاء في الدعاء العادي مركزا على قول القائل : " فتقول استغثت بالحاكم من الظالم واستغثت بالجيران على اللصوص واستصرخت ذا الغيرة على الغير"[1].

وفي هذا النص نلاحظ الدلالة الكبيرة الواضحة على أن المنهج الذي إعتمده رجال الإصلاح متقارب ، وأن مصدرهم الذي يتزودون منه هو القرآن الكريم ، وما جاء فيه من القصص القرآني ونخص بالذكر هنا التاريخي منه كلفظة الاستغاثة التي مرت معنا في قوله تعالى : { **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ**}[1].

---

1- مبارك بن محمد الميلي ، رسالة الشرك ومظاهره ، شركة الشهاب الجزائر ، د-ت ، د-ط ، ص186.

**عَدُوِّهِ** ومعنى ذلك أن تلك الحادثة التـي تعرض لها موسى عليـه السلام فـي حادثة نصرة الرجل المظلـوم المعتـدى عليـه مـن طـرف الرجل الظالم المعتـدي ، ولكـن ما كـادت تمتد يده إليــه حتى وكزه وسقط ميتا وهو ما أشاد بـه ابن باديس في نصه السابـق ، والتي كانت بدايـة مرحلة الدعوة لموسى عليه السلام وخروجه من قصر فرعون .

وفي هذا إشارة مـن ابن باديـس إلى دعوة الشعب الجزائري لكي يدفع الظلم والطغيان تماما مثل ما فعل موسى عليه السلام فـي الفتك بالأشرار الطاغين فـي الأرض ، والفاسدين فيها .

ولا ينفك رجـال الإصـلاح يشيــدون بالرمز القصصي القـرآني للسير وأحداث من قبلنــا
من الأنبياء والمرسلين وغيرهم ، من أجل أخذ العبـرة والإعتبـاركالنبي موسى عليه السلام الذي أرسله الله لنصرة الحـق ، ودفع الظلم ونبذ الشرك ، والعبودية لغيـر الخالق ، وهي الرسالـة التي انتدب من أجلها ، للذين " يتخذون من نفوسهم أربابا مصورين من طبيعتهم البشرية الناقصة آلهة يفرضون على السوقة عبادتهم من دون الله .... وأطفـأوا أمامهم سروج الأمل ، فكانوا معهم من سقط المتـاع . وأوغلوا في شهواتهم ، وانصرفوا عن نور الإيمان ووضح اليقيـن وانحسرت نواضرهم عن سبل الهداية فحادوا عن الطريق المستقيم "[2]. وهذا الذي دعا إليـه موسى عليه السلام قـوم فرعون إلى التخلي عنـه ، وحاول الدفاع عنه بكل قـوة من الله وبشتى

---

1- القصص : 15.

2- محمد أحمد جاد المولى ، على محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، قصص القرآن ، ص92.

الوسائل المتاحة لـه. وهو المنهـج الذي حـاول رجال الإصلاح الإشـادة بتلك الأفعـال والأحداث لمحاولـة نشرها وبثها فـي نفوس الأفـراد من الشعب الجزائري الـذي تكالبت عليـه نوائب الدهر المفروضة عليـه من طرف أعداء الوطـن والديـن. لينهض بنفسه ويستدرج وعيـه ، وأن كل ما يحـاول الاستعمـار وأعوانـه زرعـه في أبنـاء الأمـة من الفساد والتضليل والاشراك بالله معتمـدا فـي ذلك على المجموعات المتشبعـة بهذه الأفكـار الهدامة ، ووظفت في الأماكن الحساسة والمناصب الدينيـة كالطرقيون الذيـن تشبعوا بأفكار الشعـوذة والسحر وغيرها من البدع التـي ما أنزل الله بهـا من سلطـان ، والتـي تصدى لها رجـال الإصلاح ، من ضمنهم ذلك الرجل المخلص لوطنـه ودينـه ، وهـو مبارك الميلي فـي كتابـه "رسالة الشرك ومظاهره" الذي شرح فيـه كل ما ليس لـه صلـة بالديـن الإسلامي الحنيف من بـدع وغيرها من المظاهر الفاسدة المستمدة غالبا من الديانـة المسيحيـة واليهوديـة ، وتحدث عـن ذلك فـي عناويـن عدة من ضمنها عنوان باسم : " السحر" الذي عبـر عنه بأن : "السحر بكسر فسكون مما يلتبس بالكرامات ، ويظن صاحبه قادرا على التصرف في الكائنـات ، نافذا عمله في حجب المغيبـات " [1].

وهو من المظاهر التـي كانت منتشرة بكثرة في الأوساط الإجتماعيـة ، لذلك أراد أن يبلغ إلى كل ذي بصيـرة بأن القيـام بهذا العمل فيه شرك بالله ، وعلى المرء اجتنابه ، لأنه مجلبة للدنـاءة،وهومن أعمال الشيطان،ثم تطرق إلى أنواعـها، ومن ضمن تلك الأنواع:"سحر أصحاب التخيل بالصنعـة " الذي ورد فيه السحر القبطي : و"من هذا النـوع الذي عمدوا فيه إلى الحبـل والعصي فحشوها زئبقـا فصارت تتلوى ، فخيل للناضرين أنها تسعى باختيارها " [1].

---

1- مبارك الميلي ، رسالة الشرك ومظاهره ، ص155.

فالميلي في هذا يوضح بأن السحرة بخداعهم واحتيالهم على الكثير من الناس لا محالة سينكشف أمرهم عندما يحق الحق ، ويتفطن كل ذوي البصيرة والعقول النيرة ويذكر الذكي الفطن منهم الغافل ، لأن الكثير من السحرة السابقين أمتهنوا هذه الحرفة المصطنعة عند الأقباط ، وذلك في زمن الطاغية فرعون ، الذي أرسل الله إليهم سيدنا موسى عليه السلام ففي عبارة : "فخيل للناضرين أنها تسعى" ، الواردة في النص رمز إلى قصة سيدنا موسى عليه السلام التي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى :
{ **قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى**} [2].
ومعنى ذلك الموقف الذي خير فيه موسى عليه السلام من أن يكون هو البادئ ، أم يترك الفرصة لسحرة فرعون الذين جمعوا من أجل الإنتصار والتغلب عليه وهزمه أمام الملأ ، ولكن موسى عليه السلام أسلوبه كان أفضل من أسلوب سحرة فرعون ، حيث أجابهم قائلا ابدؤوا أنتم لإظهاره عدم الإهتمام بسحرهم ليبذلوا أقصى جهدهم ، وليسحقهم الله بالحق ، ويبطل سحرهم. فالقوا ما عندهم من الحبال والعصي ، فخيل إلى موسى عليه السلام من قوة سحرهم أنها حيات تسعى على بطونها ولعظمة سحرهم فزع منها واضطرب"[3].

1- مبارك الميلي ، رسالة الشرك ومظاهره ، ص 155.

2- طه : 66.

3- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 239/2.

وفي هذا الإمتحان العسير تدخلت إرادة الله ، للكشف عن موقف موسى عليه السلام وكيف أن عمل السحرة وحيلهم أفزعت موسى عليه السلام نفسه ، وهنا تتجلى قدرة الخالق فـي فضح هـؤلاء القوم ، وإبطال مفعول سحرهم ، ويتضح عجزهم أمام الملأ وعندها تصبح كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كـفروا هى السفلى ، فأوحى الله إلـى موسى عليه السلام بالثبات أمام أعداء الله ، وإن نصر الله لقريب ، وذلك بسحق أهل الكفر وتدميرهم وفضحهم أمام المـلأ بأنهم ليسوا على حق .

وفعـلا هذا ما أراد الميلي أن يشيـر إليه بالنسبة للشعب الجزائـري وأبنائـه الذين لا بد لهم من الثبـات على الإيمـان الصادق ، وأن لا ينجـروا وراء هذه الإدعاءات والتضليلات المرغوب بثها فـي وسـط الجزائريين من قبل المستعمرين وأعوانـهم ، وعليهم بأخذ العبـرة من القصص الرمزي الذي ورد فـي القرآن الكريم ، كالأحداث التـي مرت بموسى عليـه السلام.

وهذا النمط السائـد فـي التاريخ لا يجب هجرانـه أو الابتعـاد عنـه ، بل لا بد مـن التمسك به ، لأن المحافظـة على إحيـاء تاريـخ أمتنـا المجيـدة ، الناصع البياض ، هي التي تزود المجتمع ، وتمـده بالقــوة التي تدفعـه إلـى المحافظـة على كيانـه دون الإنــزلاق فـي المهــاوي التـي تـؤدي به إلـى الاضمحلال والخنـوع ، ويصبح فاقـدا للشخصية التـي هي أساس إثبـات الوجود لأنهم كما يقـول الإبراهيمي : "يعلمون أننـا نعيش بلا حاضـر . ويوجسون خيفـة من أن يلم بنا طيف من ذلك الماضـي الزاهر فنبني عليـه حاضرا من جنسه أكمل منـه"[1].

1- محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 118/2.

وإذا كان الإبراهيمي يقتبس في هذا التعبير من القرآن الكريم عبارة "ويوجسون خيفة" الرامزة إلى قصة موسى عليه السلام التي رأيناها عند الميلي ، وتوضيح كيف أنه كان خائفا من سحر السحرة ، لما قاموا بإلقاء كل ما ثبت لهم من جدارة تعلم السحر لقهر موسى عليه السلام ، وفعلا بعد شروعهم في إبراز مهارتهم في كيفية التصرف في هاته الحيل المعروفة عندهم بالسحر ، وهو ما يتبين من القرآن الكريم أنه وقع في نفس موسى عليه السلام نوع من الهلع والخوف ، وذلك فيما أنبأنا به القرآن الكريم في قوله تعالى :{ **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ، قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى ، وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى**} [1].

ومعنى ذلك أن موسى عليه السلام شعر بهول وعظمة الحيل السحرية ، فأحس بالخوف من هول ما رأى ولكن إرادة الله كانت دائما حاضرة ، فأنبأته بأن النصر حليف المؤمنين بالله ، وما عليه إلا إلقاء ما في يده اليمنى فإنها ستزيل كل ما صنعوه من السحر لأن كل ما ابتدعوه وافتعلوه ما هو إلا من باب الشعوذة والسحر ، لأن الساحر كيفما كان ومهما بلغ من المهارة لن ينتصر ولن يفوز بما ينشده ويسعى إليه ، بل إنه مجرد كاذب ومضلل لغيره "[2].

إلا أن الإبراهيمي في استعراضه لهذه العبارة : "ويوجسون خيفة " المقتبسة من قوله تعالى : { **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى**}[1].

---

1- طه : 67-69.

2- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 239/2.

الرامزة لقصة موسى عليه السلام عند لقائه بفرعون وسحرته ، وهلعه مما شاهده بأم عينيه ، يختلف عما يشير إليه الإبراهيمي من ناحية الموضوعية ، لأن ما ورد في تعبير الإبراهيمي هو العكس بالنسبة للحقيقة والواقع لما رمز إليه بهذه العبارة بين موسى عليه السلام وما يهدف إليه هؤلاء التضلليون ، الراغبون في قهر الإرادة التنويرية والمحافظة على ماضيها بكل ما في المقومات الإصلاحية والحضارية.

وفي خضم هذه التداعيات الفكرية الرامزة للحدث القصصي للقرآن الذي ما انفك رجال الإصلاح الجزائريون ينهلون منه ، ومن سيرة حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ، من ذلك ما نلاحظه في موضوع للإبراهيمي بعنوان : "ونعود إلى فصل الحكومة عن الدين" وفي فقرة منه ، يتعرض فيها إلى ما تقوم به هذه الحكومة الفرنسية من التجارب في أبناء الوطن الجزائري ، قبل إنتقالها إلى تشتيتهم ، والعبث بهم ، وعندما اكتشفت سرائرهم واطلعت على قرارات أنفسهم ، وعلمت أن أفكار البعض منهم عبارة عن أفكار ساذجة ليست مبنية على أسس علمية ذات منطق سليم واع يدرك أبعاد الأحداث والمؤامرات . لذلك استطاعت أن تتسلل وتتوغل في أوساطهم ، وأن تسمح لنفسها أن تفعل ما يحلو لها من أعمال الطيش والتخريب ، لأنها ليست من الحكومات الصالحة ، ذات البعد التاريخي التى ترى بعين الحنكة والتدبير الراشد كصاحب موسى عليه السلام ، الذي بعثه الله لتعليمه طرق الهداية والإصلاح المتعددة في هذا الوجود ، وهو ما يشير إليه الإبراهيمي لكشف عدم التجانس والتوافق قائلا :"وإن هذه الحكومة تقدم التجريب ، على التخريب وقد جربتكم فوجدت منكم جدارا متداعيا للسقوط ، فما أقامته بل خربته ، لأنه لم يكن لغلامين يتيمين في المدينة ، ولا كان تحته كنز لهما ولا كانت هي تنظر بعين صاحب موسى ..." [2].

1- طه : 67.

وفـي هذا الطرح للمشكل القائم في وسط المجتمع الجزائـري المحتـل من طرف فرنسا وهي جنس لا يعرف قيمـة الإنسانيـة ، ولا قيمـة التحرر التـي قامت عليـه ثورتهم لتحريـر شعبهـا مـن عبوديـة الديكتاتورية المتسلطـة ، والعبودية الاستغلالية من طرف الإقطاعييـن ورجال الدين المفروضة عليهم فـي القرون الوسطى ، وحاولت أن تنقل تلك المظاهر اللاإنسانيـة إلـى البلدان الإسلامية ومن ضمنها الجزائر التي حطت الرحال بها ، وحاولت أن تجعلها حقلا لتجاربها الدنيئه التـي تنكرها كل الديانـات والأعراف الدوليـة .

ويبدو أن الإبراهيمي يدعو الفرد الجزائري إلـى التمعـن لما يحـاك ضده ، وينتبـه له ويتخذ الموقف المناسب للحفاظ على كيانـه كإنسان ، مثله مثل من أراد تبديلـه من إنسان حر مثقف إلى إنسـان جاهل مستعبد ومستغل موجـه إلى بناء مجد وحضارة غيـره ، وذلك في إشارتـه إلى الرموز الدينيـة المستقـاة من القصص القرآني الذي له علاقة بقصـة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح وهو الخضـر، تلك القصة المملـوءة بالعجائب الغيبيـة الغريبة ، التي يعجـز الفكر البشري عن إدراكها وفهم كنـهـها ، ويعلم أنه لا يعلم إلا ما علمه العالم الخـلاق. فهذه القصـة لرسول أوحي إليـه ، ولـه منهج خـاص مستمد من التـوراة ، صـدر منه إفعل ولا تفعل وكذلك قصـة عبدصالح الذي منَّ الله عليه من عنده ، ومكنه علما له خصوصية خاصة بـه .

---

2-محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 118/2.

جـاء فـي التاريخ أن موسى عليه السـلام ألقى خطابا فـي بنـي اسرائيل ، فلما أشرف على الإنتهـاء من خطابه ، سئل من طرف رجل عما إذا كـان يعرف من هو أعلم منـه فـأجاب بالنفـي ، فأوحى الله إليه أن لـي عبدا بمجمع البحريـن هـو أعلم منك ، فقال موسى لربـه : فكيف أتصل بـه [1].

ومع العلم أن موسى عليـه السلام في هذه القصـة لم يرفض أو يتكبـر أن يعلمه عبد من عبـاد الله "والخضر عليه السلام لـه تحقيـق المعلـوم لله الذي قد تغيب نتائجـه على سلم العقل فإذا ظهرت حكمة الغيب فيه ، آمن به العقل ، وهذه الاصطفائيـة للخضر ليس معناها أن يفهم البعض أنه فـوق موسى عليه السلام ، لا إنمـا لكل وجهـة الله هو موليهـا"[2].

هكذا إنطلـق موسى عليه السلام مع صاحبـه الرجل الصالح ليعلمه من علمه كما جاء فـي قوله تعالـى : { **قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** }[3]. وفـي هذا تنبيـه للمخلوقـات البشريـة من الله سبحانه ، أنـه مهما تعلم الإنسـان وبلغ درجة عاليـة من العلم يجب عليه ألا يغتـر بنفسه ويتكبـر ، لأن الكبـرياء لله وحده . لذلك على الإنسان أن يتخذ العبـرة من موسى عليه السلام ، وأن يتعظ بـه.

والإبــراهيمــي أشــار إلــى هـذه القصـة فــي عبارة : "فـوجـدت منكـم جــدارا متداعيـا للسقوط ..."

---

1- محمد متولي الشعراوي ، قصص الأنبياء والمرسلين ، ص322-323.

2- المرجع السابق ، ص323.

3- الكهف : 66.

التي اقتبسها من قوله تعالى : { **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا** }[1].

ومعنى ذلك أن الخضر عليه السلام استمر في رحلته مصاحبا لموسى عليه السلام ليزيده اطلاعا ومعرفة على مالم يكن مطلعا عليه من العلوم الغيبية ، ونتيجة لاستعجال موسى عليه السلام على ما يقع أمام عينه ، وعدم صبره على ما اتفق عليه مع الخضر عليه السلام من أن يكون صابرا ، ولا يطلب الاستفسار عما يحدث في رحلتهما تلك حتى نهاية المطاف .

لكن تلك الأحداث كانت كلها بالنسبة لنبي الله موسى ظلما واعتداءً سافرا ، وفي كل واقعة يحاول الاستفسارعنها ، وفي الأخير أي في حادثة الجدار التي كانت آخر المطاف لرحلة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح الذي أجابه على استفساراته قائلا : سأنبئك بتأويل الفائدة والحكمة من تلك الأعمال التي قمت بها، ومن ضمنها في الأخير بناء الجدار الذي أوشك على الإنهيار ، وكيف أن الله أرسله إلى إصلاحه للحفاظ على كنز الغلامين اليتيمين في هذه المدينة ، والمال الصالح لرجل صالح يبتغيه الله لذرية صالحة ، لذلك أراد الله أن يحفظه للغلامين إلى حين بلوغهما وحاجتهما إلى ذلك الكنز فيرشدهما إليه ، هذا بإيجاز بالنسبة لما تشير إليه الآية .

---

1- الكهف : 82.

أما ما يهدف إليه الإبراهيمي فهو يختلف عن عمل الرجل الصالح ، لأن الاستعمار
الفرنسي وغيره من الاستغلاليين في هذا الوجود ، لم يتعظوا بهذه العظة الأخلاقية والحكمة الإلهية ، ويفعلون ما فعله الرجل الصالح ، مع جدار الغلامين ، يصلحون من أمر الشعوب التي تعيش تحت سلطتهم ، سواء تعلق الأمر بالمساواة أو العدل أو الحرية ، وهو الأمر الذي ينكره الإبراهيمي عن هؤلاء الإستبداديين ، لأنهم مجرَّدون من الإنسانية وغيرها من الفضائل الأخلاقية ، لذلك فهم لا ينظرون إلى غيرهم ، بمنظار الرجل الصالح صاحب موسى عليه السلام ، وإنما هم عكسه تماما .

ونجد الإبراهيمي في هذا المجال لا ينفك يدعو إلى اليقظة ، والتمعن في مجريات الأحداث والبحث في المقارنة بين عمل الرجل الصالح ، وأولئك الذين لا يرغبون في بناء العقول والأفكار العلمية الخلاقة بل همهم الوحيد هو الهدم والتضليل ، وفعلا تلك هي دعوة الإبراهيمي إلى هذه الأمة الإسلامية للعودة إلى جادة الصواب ، ووقوفها جماعيا استعدادا للدفاع ضد كل ما من شأنه أن يكون عقبة من أجل تحرير البلاد والعباد.

وإذا ما انتقلنا في مجال مضرب الأمثال ، والتأثر بالرمز الموضوعي الذي جاء في القرآن عن موسى عليه السلام كذلك ، نجد مصلحا آخر من مصلحي الجزائر الذي ما انفك يذود عن الأمة الإسلامية عامة والجزائر خاصة ، وهو أبو اليقضان الذي ورد عنه في حديثه عن الجمود الفكري قوله : " تعتقد أن العقل آلة صماء لا تتصرف ، وآلة عاطلة لا يجوز استعمالها
في شأن من الشؤون ، ونقد زائف يجب أن يحكم صره في صرة ، ويوضع في رف عتيق

بجدار متداع للسقوط" [1]. هكذا نلاحظ الإشارة الواضحة في هذا النص والاقتباس من الذكر الحكيم ، الذي يبدو أنه سيطر على ثقافة الكاتب في عبارة : "بجدار متداع للسقوط" وهي نفس العبارة السابقة التي أشار إليها زميله الإبراهيمي ، مما يدل دلالة واضحة أن هناك علاقة الإشتراك الثقافي المستمد من القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام .

تلك الأحداث التي رسخت إمتياز شخصية موسى عليه السلام ، عند الهيئة الإصلاحية وغذت أفكارهم بشتى القناعات والدلائل القاطعة ، لذلك كان لزاما عليهم بتوجيه الدعوة للقضاء على الأوهام ، والوقوف ضد الاستبداد ، وكل مخلفات الاستعمار كالمسخ والتشويه ، ونسيان الذات ، ومحاولة العودة بهم إلى الماضي التليد ، وانطلاقا منه
إلى الآفاق المستقبلية ذات البعد الجوهري والحقيقي ، حفاظا على الكرامة الإنسانية .

**د- عيسى عليه السلام :**

إن هذه الشخصية تعد من معجزات خلق الله سواء تعلق الأمر في ولادته من مريم البتول أو في كلامه وهو في المهد ، وإحياء الموتى ، وشفاء المرضى ، وإبراء الأكمه والأبرص واقتران ذكره بالرفق والرحمة ، والطهر والنقاء ، والعلم بما يعانيه ويحسه ، كل ذلك أدى إلى لفت أنظار الأدباء ، والتعبير عنها بالدلالات الرمزية ، وفسح المجال واسعا لاستحضار هذه الشخصية العظيمة ، والتعاليم التي جاءت بها من أجل إحترام الإنسانية وإسعافها حتى يسود الحب ، والرحمة والشفقة ، والهداية إلى وحدانية الله ، وهو ما يحاول الإبراهيمي أن يكشفه ، ويشير إليه ، بأن الذين يدعون بأنهم مكلفون بالمحافظة على تلك التعاليم التي جاء بها المسيح عليه السلام تخلوا عنها وتحولوا إلى وحوش الفلاة .

---

1- محمد ناصر ، أبو اليقظان وجهاد الكلمة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط:2 ، 1983، ص87.

وفي تصويره لهؤلاء الذين نصبوا أنفسهم محافظين على تعاليم المسيح عليه السلام والذين يدعون تقمص تلك الفكرة يقول : "الراهب المبشر ذئب الفلاة ، يتربص اليتم لينصر الأبناء والمجاعات ليفتن الآباء ، فكان من وصايا المسيح عنده أن لا يطعم البطن إلا إذا أخذ القلب وأن لا يكسو الظهر إلا بالتجريد من الدين ، ولا ينشر تعاليم المسيح إلا باستغلال أزمات الضعفاء والبائسين ! ... حَاشَ لدين المسيح عليه السلام وكلمته التي ألقاها إلى مريم أن يكون هذا طريقه إلى النفوس ، وهذه طريقته في الإنتشار. إن المسيح كان عدوا للظلم والباطل"[1].

وهكذا نلاحظ أن هناك عدم انسجام الأعمال مع الأقوال ويتضح ذلك في تصريح أحد المسؤولين الفرنسيين بعين صالح [2] قائلا : أن فرنسا جاءت إلى الجزائر وفي نيتها إصلاح المجتمع الجزائري لأنها أتت بالمعلم ، والطبيب ، والراهب ، هذا "بعد أن أجرت لهم عملية التلقيح بمادة "الاستعمار" ، وهي مادة من خصائصها تعقيم الخصائص ، فلم يبق المعلم معلما علميا ، ولا الطبيب طبيبا إنسانيا ، ولا الراهب أبا روحيا ، وإنما جاؤوا في ركاب الاستعمار ليخدموه ويثبتوا أركانه "[3].

---

1- محمدالبشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 85/2.

2- المرجع نفسه ، 83/2.

3- المرجع نفسه ، 84-85.

وهو عكس ما كان يدعو عيسى عليه السلام إلى نبذه ، وإحلال الخير محله ونشر العدل والمساواة ، والإخاء بين بني الانسانية جميعا مهما كان إختلافهم في الشكل أو اللون أو اللغة ، خلافا لما يقوم به الراهب المنتدب إلى بلاد الجزائر لتضليل الشباب عن دينه الإسلامي القويم مستندا على حقيقة التوحيد الذي لا شبهة فيه ، ونبذ كل ما يؤدي إلى الشرك عملا بقوله تعالى : {**وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ ، إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**} [1] .

ومعنى ذلك أن السيد المسيح يعلن حقيقة التصور الإعتقادي الذي يجب أن يكون عليه دين الله كله ، لأن المعجزات الصادرة منه ، لم تكن من تلقاء نفسه ، وليس له قدرة عليها وهو بشر ، إنما كان ذلك من عند الله ، وأن دعوته تلك تنبني على تقوى الله والطاعة لرسوله . وأن التوجه في العبادة لا يكون إلا لله دون سواه ، وما دون ذلك فهو إعوجاج وإنحراف ، وليس بالدين السوي [2].

ويحاول الإبراهيمي أن يكشف تصرف اليهود المجردين من الإنسانية والذين نصبوا من طرف الأقوياء في فلسطين بلاد العرب والمسلمين بعد تسليمها لهم من طرف الانجليز وإحلالهم محلهم ، حيث قام السكان بمحاولة الدفاع على أرض فلسطين أرض الإسلام والعروبة ولكن لم يسعفهم الحض على الإنتصار ، لعدم وجود مساعدة قوية تمكنهم من دحض

---

1- آل عمران : 50-51.

2- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ، م :1 ، 1-401/4.

اليهود المستقدمين من أنحاء العالم من طرف تلك الدول القوية ، وبترخيص من قبل تلك الدول القوية ، المنتصرة في الحرب العالمية الثانية ، والذين لا يعلمون بأن هؤلاء اليهود من الذين ينقضون العهود والمواثيق ، وهو ما يرمز إليه الإبراهيمي في تصويره في قصة زعمهم أنهم قاموا بصلب عيسى عليه السلام وأن "اليهود الذين كذبوا الأنبياء وقتلوهم ، وصلبوا- بزعمهم- المسيح الصادق ، وشردوا حوارييه من فلسطين ، وكفروا بمحمدصلى الله عليه وسلم بعدما جاءهم بالبينات"[1].

و في هذا إشارة رمزية للسيد المسيح عليه السلام الواردة في الذكر الحكيم ، فيما تصور الآية الكريمة في قوله تعالى : {**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**}[2].

ولقد جاء في صفوة التفاسير للصابوني أن المراد من قوله تعالى : { **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ** }[3]. نجاة "عيسى من شر اليهود الخبثاء فلم يقتل ولم يصلب وإنما صلبوا شخصا غيره ظنوه عيسى وهو الذي ألقى الله الشبه عليه فقتلوه وهم يحسبونه عيسى ، وهذا هو الاعتقاد الحق الذي يتفق مع العقل والنقل ، وأما النصارى فيعتقدون أنه صلب وأن اليهود أهانوه ووضعوا الشوك على رأسه وأنه تضرع وبكى مع زعمهم أنه هو "الله" أو "إبن الله" وأنه جاء ليخلص البشرية من أوزارها إلى غير ما هنالك من التناقض العجيب الغريب"[1].

وهذا-كما نرى- أمرٌ مناقضٌ للتفكير الإنساني السليم المبني على التزيف والتضليل الموجه لشخص نبي الله عيسى عليه السلام الذي لا يسمح ولا يجوز لأي كائن موحد لله أن يطعن فيه ، ويتهمه بالإخلال فيما أرسل إليه من لدن خالقه ، لأنه المسيحُ الصادقُ المتصف بالعديد من الصفات ، وهي الصفة الحميدة التي لا يمكن أصلا أن تخلو من نبي مرسل من الله مهما كان الأمر.

---

1- المرجع السابق ، 401/1.

2- النساء : 157.

3- النساء : 157.

### 2- الرمز اللغــوي :

بعد استعراضنـا للرمز الموضوعي ، نلاحظ أن هنـاك نوعاً آخر من الرمـوز ، وهو اللغوي الذي يجب بنا أن نتعرض إليه ، لمـا له من أهمية فـي البحث لارتباطه باللغـة ، واعتماده كل الاعتماد على اللفظ الذي " يحمـل دلالـة لغويـة معينـة ثـم يأتـي القـرآن فيجـعلـه رمزا إلـى نكرة أو مشهد أو سلوك ، فالنور والظلام مثلا لهما دلالتهما اللغويـة المعروفة ، ولكن القرآن حـين يـذكـرهما فـي مواضــع خاصـة يـقصـد إلى دلالـة الأولى على العـلم والهـدى والرشـاد ، ودلالــة

---

1- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 319/1.

الثانيـة على الجهل والكـفر والظــلال " [1] ، كما جاء فـي قوله تعالـى : {**الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ** } [2].

أي أن هذا القرآن العظيم كتـاب أنزلنـاه عليك يا محمد ، وهو أشرف ما أنزلـه الله من السماء ، على أشرف رسول بعثه الله في الأرض إلى جميع مخلوقـات البشر عربهم وعجمهم ليخرجهم من ظلمات الجهل والظـلال والغـي إلى الهدى والرشاد ، ونور العلم والإيمان [3]. والاستقامة والاعتـدال .

وإذا مـا أمعنـا النظر في التراث الذي خلفـه لنا رجال جمعيـة الإصلاح فـي النثـر الجزائري الحديث ، نلاحظ عليهم السعي الحثيث نحـو التمسك بتـراث الأجـداد الذي استمــدَّ أصالتـه مـن الثقافـة الإسلامية ، ويبدو ذلك جليا لدي أقطـاب الدعـاة الإصلاحيين كمحمد السعيد الزاهري الذي كتب موضوعا بعنـوان : " طلبة إفريقيـا الشماليـة " ، تعرض فيه إلى تلك الفئـة مـن الشبــاب التـي حملت لــواء الإصــلاح الدينـي واصفـا إياها فـي قـوله : " وقد وفقت إلـى أن تحطـم بالقـرآن العظيم كـثيرا مما لصـق بالإسـلام من خرافات وأضاليل ، وهي ترجو أن يهيء الله لها من أمرها رشدا ، فيرجع المسلمون إلى الديـن الخالــص ، والإســلام الصحيـح ويخرجهم من الظلمات إلــى النـور "[1].

1- شلتاغ عبود شراد ، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، ص228.
2- إبراهيم : 1.
3- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 1568/2.
- أنظر محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 90/2.

وهكذا كان تعبير هذا الكاتب رامزا بهذا اللفظ المستقى من القرآن الكريم ، وفى الإطار نفسه نجد الشيخ العربي التبسي يتعرض لنفس اللفظ الذى تعرض له الزاهري " الظلمات والنور" في حديثه عند فتح دار التلميذ الجزائرى ، التى كانت نتيجة ثمرة الجهد المبذول من طرف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، المجاهدين الصابريـن، حتى يتحقق لهم ذلك الحلم والخيال المنتظر الذى يقول فيه : " وقدمتها باسم الله إلى شبابنـا العامل المناضل فـي سبيل الديـن ، والعروبة والقوميـة ، والوطنيـة لتكون له مأوى الراحة والاستقرار ، يركن إليها فيجد فيها الهنـاء والسعادة ، ويصفو له طلب العلم والتفرغ له والبقاء فيه ويـغدق على الأمة بعد حيـن من فيـض علومه ، ونـور قلبه وخالص نصيحته ما يخرجها من الظلمات إلـى النـور ، ويـهديـها الطريـق السـوي الذي يبوئـها مقعد صدق لدى الأمم الحيـة الراقيـة " [2].

واضحٌ من هذا النـص أن صاحبه يتمتع بروح عاليـة ، ورصيد ثقافـي عميـق الجذور مستمد من القرآن العظيم ، لذلك فهو يغرف منه كل ما يناسبه ، ويجـوز له توظيفـه عنـــد الحاجة ، ليدعم به نصوصه لتكون حجة دامغـة ، ودليـلا قاطعا وذلك مثل عبارة "الظلمات والنور" المستمدة من الآيـة الكريمة السابقة . التي تعني الانتقـال من حالـة اليـأس والقنـوط ، إلى حالة الإشراقـة النورانية ، والأمل في الحيـاة السعيدة والمستقبل الزاهر .

---

1- محمد السعيد الزاهري ، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ، ص 38.

2- العربي التبسي ، مقالات في الدعوة ،جمع وتعليق: 222/1.

وفي خضم محاولة إبراز هذه الصحوة ، وطمس كل ما يقوم به أولئك التضليليون من المستعمرين وأذنابهم المقربين إليهم ، الذين وقف لهم رجال الإصلاح بالمرصاد ، ومن ضمنهم عبد الحميد ابن باديس الذي كتب في موضوع له بعنوان : "عبداويون" ثم "وهابيون" قائلا : " رأينا واجبا علينا أن نقوم بالدعوة العامة إلى الإسلام الخالص والعلم الصحيح إلى الكتاب والسنة ، وهدي صالح سلف الأمة ، وطرح البدع والضلالات ، ومفاسد العادات فكان لزاما أن نؤسس لدعوتنا صحافة تبلغها للناس فكان المنتقد وكان الشهاب ونهض كتاب القطر ومفكروه في تلك الصحف بالدعوة خير قيام ، وفتحوا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أعينا عميا وأذانا صما وقلوبا غلفا " [1].

فالكاتب في هذا النص استوحى من القرآن الكريم لفظة "غلف" التي وردت في الآية الكريمة قال تعالى : {**وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ، فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ**} [2]. ومعنى هذه الآية أن قلوب اليهود في أكنة ، أي مغطاة ، لذلك فهم لا يعلمون ولا يفقهون ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يسمعون إلى داعية جديد تيئيسا لمحمد – صلى الله عليه وسلم وللمسلمين - من دعوتهم إلى هذا الدين ، أو تعليلا لعدم إستجابتهم لدعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنهم مطرودين ومبعدين من رحمته بسبب كفرهم وظلالهم ، والقليل ممن يؤمن منهم ببعض الكتاب ويكفر بالبعض الآخر [3].

---

1- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 28/3.

2- البقرة : 88.

3- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص240. - أنظر محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص77.

فالصورة التي وردت في لفظة "غلف"[*]. ترمز إلى الحالة التي تسود الوسط الشعبي الجزائري ، والصراع السائد بين رجال الإصلاح ومناوئيهم ، الحاصل بين فئة ذات عقلية متنورة وأخرى تنتمي إلى مجموعة الظلاميين الذين أعماهم ظلام الجهل والتخلف المؤدي بهم إلى الإنحطاط السافل .

وهكذا نجد هذه الرموز الدلالية المقتبسة من القرآن الكريم ، التي لا تخلو منها كتابات رجال الإصلاح ويبدو ذلك في الموروث الثقافي البارز في نص آخر بعنوان : "رحلتنا إلى العمالة الوهرانية باسم الجمعية"[1]. لابن باديس أيضا ، الذي حاول فيه وصف الرحلة ، بدأ نصه بتمهيد وضح فيه ما القصد من تلك الرحلة ؟ وما هو هدف الجمعية ؟ وهو محاربة الآفات الإجتماعية عن طريق الوعظ، والإرشاد بالهداية القرآنية ، وهي أنجع دواء لدى المسلمين ، ثم انتقل إلى وصف الرحلة ، وذكر ما قام به من إلقاء المحاضرات والدروس، وفي نص له بعنوان جانبي:" الإشاعات الباطلة "[2]، يتحدث عن الفئة الضالة التي تحاول دحض وتسفيل كل ما يصدر عن أعضاء الجمعية الاصلاحية مبرزا ذلك في قوله : " قد منيت هذه الجمعية بمن يحاربها بالباطل ، ويعرقلها بالإفك ويستحيل في إذايتها العظائم فأشاعوا عنها كل إشاعة شنيعة ، ورموها بكل نقيصة ورذيلة حتى قالوا إنها جمعية تنكر البعث والنشور دع ما هو دون ذلك . ولكننا كنا – والحمد لله - لا نفرغ من الدرس العام حتى تنحل عقد الشيطان كلها ويقول الناس بلسان ... حالهم"[1]. { **وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** }[2].

---

*- غلف الشيئ : غطاه وجعله في غلاف ، والقلوب الغلف : المغشاة بأغشية .

- أنظر محمد اسماعيل ابراهيم ، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ، دار الفكر العربي ، ط :2 ، د-ت ، 93/2 .

1- أثار عبد الحميد بن باديس ، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، 24/4 .

2- المرجع نفسه ، ص261.

يصور ابن باديس في هذا النص تلك الطائفة الضالة الفاقدة لنور الحقيقة والرشاد والراغبة في دحض كل الجهود المبذولة من طرف رجال الإصلاح . ولقد وردت لفظة : "النشور"[*]. المستقاة من القرآن الكريم في قوله تعالى : {**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ** }[3].

وفي ذلك ما يدل على أن " هذا المشهد يتردد في معرض دلائل الإيمان الكونية في القرآن لأنه دليل واقعي ملموس ، لا سبيل إلى المكابرة فيه ولأنه من جانب آخر يهز القلوب حقا حين تتملاه وحين يقظى ؛ ويلمس المشاعر لمسا موحيا حين تتجه إلى تأمله وهو مشهد جميل مثير. وبخاصة في الصحراء حيث يمر عليها الإنسان اليوم وهي محل جدب جرداء . ثم يمر عليها غدا وهي ممرعة خضراء من أثار الماء ، والقرآن يتخذ موحياته من مألوف البشر المتاح لهم ، مما يمرون عليه غافلين عنه . وهو معجز معجب حين تتملاه البصائر والعيون"[1].

---

1- المرجع السابق ، ص261.

2- الإسراء : 81.

*- النشور : بعث الموتى يوم القيامة ، محمد اسماعيل ابراهيم ، معجم الألفاظ للقرآن الكريم ، 291/2.

3- فاطر : 9

ولقد وردت كلمة "النشور" عند العربي التبسي بنفس المعنى تقريبا ، وذلك فـي موضوع له بعنـوان : "نــداء" [2]. وجهه إلى الشعب الجزائري ، مفتتحا إيـاه بهذه العبارة المعبـرة :

" أيهـا الشعب العظيم ! إستعد لليوم العظيـم !"[3]. هكذا وبمثل هذه النداءات الموجهـة إلى الأمـة الجزائرية من أجل المحافظة على كيانها الذاتـي والشخصي ، الذى يتطلب منها الإتحاد والتعاون ، فيما يخص بنـاء المؤسسات الثقافيـة لنشر العلم الذي يحيـي القلـوب التـي أماتها الجهل، وتحديد يــوم يحتفـل بــه ، يدعى يـوم العــلم .

وكل ما تهدف إليـه في هذا هو ما أقتبسـه الكاتب من القـرآن في نصـه الذي وردت فيـه لفظـة "النشـور" في محاولـة وصفـه لمشهد يستذكر بأنـه : "هو يـوم الثامن من شهر نوفمبر 1953. هو اليـوم المشهـود الذي يؤمـه القاصي والداني من رجال الأمة الجزائرية ، وتشد إليـه الرحال من الوهـاد والجبال فيجتمع الشعب فـي صعيد واحد ، حــول المؤسسة ذات العمـاد التي لم يخلـق مثلهـا في البـلاد . ويحتفل بيوم العيـد يـوم النور يـوم البعـث والنشور. ذلك هو اليـوم الموعـود "[4].

---

1- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 2929/5.

2- العربي التبسي ، مقالات في الدعوة ، جمع وتعليق : شرفي أحمد الرفاعي ، 121/1.

3- المرجع نفسه ، ص221.

4- المرجع نفسه ، 221/1 .

هكذا نجد هذه اللفظة : "النشور" التي يقصد بها النماء والإنبات وعودة الحياة في النفوس التي حاول المستعمر إماتتها وإزالتها والقضاء على هويتها من الوجود. تلك هي الصورة اللفظية الرامزة إلى روح الانبعاث والتجديد المستلهمة من القرآن الكريم المصدر الحقيقي والأساسي الذي يسعى حثيثا إلى دفع الإنسان للمطالبة بالحرية والإنعتاق ، والذود عنها بكل ما أوتي من قوة.

وبهذا الأسلوب المستمد من القرآن الذي تشبع به رجال الإصلاح كابن باديس وغيره من الذينهم ما انفكوا يقتبسون هذه الألفاظ القرآنية .و يستعملونها بنفس الدلالات القرآنية حينا ، وحينا آخر في تصوير تلك الحالة تصويرا غير واقعي ، كما هو الشأن في لفظة : " القيامة " التي أتى بها ابن باديس في نص عبر فيه عن الصعوبات التي تعترض له أثناء قيامه تبليغ المهمة المسندة إليه ، والمكلف بأدائها كما يجب بكل ثبات على النهج القويم ، والصراط المستقيم إذ يقول: إن " اتباع السنة هو النجاة ،وأن الناس لن يغنوا عني من الله شيئا فأخذت في ذلك على حكم التدرج في بعض الأمور، فقامت علي القيامة وتواترت علي الملامة وفوَّق إلي العتاب سهامه ، ونسبت إلي البدعة والضلالة وأنزلت منزلة أهل الغباوة والجهالة وإني لولا التمسك لتلك المحدثات مخرجا لوجدت غيرأن ضيق الطعن والبعدعن أهل الفطن"[1].

بهذا التوجيه إلى السلوك السوي في أقتفاء أثار السنة لكل من أراد النجاة ، والخروج من المأزق والمحن ؛ لأن ذلك هو السبيل الأمثل لمن يعاني ماعانته الأمة الجزائرية في تلك الفترة الا ستعمارية.

1- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 30/3.

كما حاول الكاتب أن يقدم صورة مما يعانيه من طرف الاحتلا ل وأعوانهم من الأتهامات الباطلة كالغباوة والجهل ، والظلا ل وغيره من صفات الذم والسخرية ، ومع ذلك تمسك بمنهجه في التوجيه و الإصلاح ، رغم كيد الكائدين ، وعجرفة المتعجرفين المرتدين الذين أقاموا عليه الدنيا وأقعدوها لعله يتوقف عند ذلك القدرمن التبليغ، دون مواصلة مهمته الإصلاحية ، ولكن ابن باديــس كان موقفــه غير ذلك ، وأبى إلا أن يواصل مشواره في تبليغ رسالته كاملة ، وكان النصر حليفه بقوة إيمانه بالله عز وجل عملا بقوله تعــالى { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**}[1] .

---

1- محمد: 7.

# الفصل الرابع

# أثر القرآن الكريم في الصورة والتصور والتصوير

**تمهيـــــد :**

قد تكون الصورة عبارة عن ظاهرة من ظواهر الطبيعة ،وهي إما أن تكون حقيقية أو خيالية ، وجاء عن الجواهري أن : "الصور بكسر الصاد ، لغة في الصور جمع صورة "[1] . والصور وردت في أسماء الله تعالى : المصور وهو الذي صور جميع الموجودات ورتبها وأعطى كل شيء منها صورة خاصة ، ومفردة يتميز على إختلافها وكثرتها " [2].

وفي هذا نجد الصورة في الأدب هي الكلمة المستعملة في التعبير " للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسن ، وتطلق أحيانا للاستعمال الاستعاري للكلمات "[3].و نلاحظ أنه عند رؤية صورة من الصور، فإن ذلك يؤدي فعلا إلى الانفعال الذي تصحبه من الإدراك الحسي الناتج عنه "الأثر النفسي الذي ينشأ مباشرة من انفعال حاسة أو عضو حاس ... وهو يعني الفهم أو التعقل بواسطة الحواس ، وذلك كإدراك ألوان الأشياء وأشكالها وأحجامها وأبعادها بواسطة البصر"[4].

من خلال هذه التعريفات يتضح لنا أن التصور هو عبارة عن العلاقة التي تربط بين الصورة والتصوير الذي تعد أداته الفكر لا غير ، خلافا للتصوير المتعلق بالنسبة لأداته التي هي الفكر واللسان واللغة [1].

---

1-الجواهر ي ، الصحاح ، 716/2.

2- ابن منظور ، اللسان ، 473/4.

3- عبد الفتاح صالح نافع ، الصورة في شعر بشار بن برد ، دار الفكر ، عمان ، 1983، ص51.

- وانظر صلاح عبد الفتاح الخالدي ، نظرية التصوير الفني ، ص75.

4- المرجع نفسه ، ص74.

وقد ورد أن " الأديب الفنان يستخدم التعبير لتصوير التجربة الشعورية التي مرت به للتأثير في شعور الآخرين بنقل هذه التجربة إلى نفوسهم في صورة موحية ، مثيرة لانفعالهم . ومن هنا يستمد التعبير قيمته من عالم النقد ، فالتعبير ليس ألفاظا وعبارات فقط . ولكنه هو العمل الأدبي الكامل باعتبار ما يصوره من التجارب الشعورية"[2].

ولكي تكون الرؤية أكثر واقعية في هذا الصدد يجب معرفة :" عملية التحقيق الإدراكى"[3] التي نجدها " تتكون من مرحلتين متميزتين : الأولى هى إتصال الحواس بالعالم الخارجي ، ونقل معطياته إلى العقل.والثانية : التجريد ، حيث تتكون في الذهن بناء على الإدراك لأفكار شديدة التجريد ، لا يمكن نقلها إلى الآخرين إلا بعد تحويلها إلى صور"[4].

وللإدراك في رأي " برتراند راسل " ينقسم إلى نوعين :" الإدراك الحسي ، والإدراك
العقلي. فأما الإدراك الحسي فهو الشعور بوجود الأشياء التي يقع عليها الحس ، كرؤيتنا للمنضدة أو سماعنا لأصوات البيانو . والإدراك العقلي فهو ما يحدث عندما نفهم معنى كلمة مجردة .

---

1- المرجع نفسه ، ص74.

2- المرجع نفسه ، ص75.

3- نبيل رشاد نوفل ، العلاقات التصويرية، منشأة المعارف بالأسكندرية ، د-ت ، د-ط ، ص28-29.

4- المرجع نفسه ، ص 28-29.

فليس من الإدراك العقلي أن نرى قطعـة من الثلج الأبيض ، أو نستعيد صور قطعـة منه ، كان قد وقع عليها بصرنا في لحظة ماضيـة ، لكن إذا جعلنا موضوع تفكيـرنا هو "البيـاض"، فذلك هو الإدراك العقلي"[1].

1- المصدر السابق ، ص29.

## 1- التصويـر الفني في القرآن الكريم

أما إذا حاولنا البحث فـي الإعجـاز القرآني وعلاقتـه الفنيـة ، بالأسلوب التصويري المتبع فـي القرآن ، من أجل تبليـغ الدعـوة إلـى من وجهت إليهم مـن الشعوب ، حيث نجد سيد قطب فـي هذا الصدد يقول : " لا يرمي إلـى مجـرد أداء المعنـى الذهني ، إنما يريد الصورة كذلك والصورة تقتضي التنويع ، ليتم التناسق مع الأجـزاء الأخرى فـي اللوحة ، أو المشهد المعروض"[1].

وفـي ذلك اعتقـاد بأن فـي الصورة ما يدل على أن التصوير من الركائز المهمـة والأساسية فـي أسلوب القرآن ، لذلك فهو " لا ينتهي إلى أداء المعنى الذهني مجـردا ، إنما ينبض بطبيعته بصورة حيـة للمعانـي"[2]. وهنا يحـاول سيد قطب من خلال رؤيتـه أن يضبط ما يهدف إليه من الصورة الفنيـة فـي القرآن . ويعرف التصوير على أنـه :" الأداة المفضلة فـي أسلوب القرآن ، فهو يعـبر بالصورة الحسيـة المتخيلة عن المعنى الذهنـي ، والحالة النفسيـة وعن الحـادث المحسـوس ، والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشريـة "[3].

تلك هـي الطريقـة المثلـى والفعـالـة ، لإدراك معنـى الخطـاب القرآنـي لتشخيـص وتجسيـم
معانيـه . بوسائل مختلفـة ويتصورها المتلقي بخيالـه ، كأنه واقع أمامـه [4].

---

1- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة، ط:7، 1982، ص119.

2- المصدر نفسه ، ص119.

3- المصدر نفسه ، ص36 .

4- العربي لخضر ، الدراسة الفنية للقصة القرآنية ، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران الجزائـر ، د-ط ، د-ت ص105.

### 1-1- خصائص التصوير الفني في القرآن :

إن المتمعن في القرآن ، والمهتم بدراسته ، يلاحظ عليه أنه كتاب ديني محض لا غبار عليه،وهذا لا ينكشف أمامنا بديهيا ، بل بالعكس من ذلك ، لأنه يتخذ نمط إسقاط الصورة الفنية على السلوك ، المعتمد على التصوير الحقيقي المتحرر في تعبيره ، ولا ينحصر ضمن ما_هو معروف عن الأنماط البلاغية [1]. وحسب ما ذهب إليه النقد الحديث ، أن الصورة ليست منحصرة في التشبيه ، أو الاستعارة أو المجاز لا غير ، بل هي في تعريف "راي لويس" تشكيل مرتبط بالألفاظ ، وقد ينبثق من الاستعارة أو التشبيه صورة ، ومع ذلك يمكن للصورة الخلاقة أن تخلق من العبارة الوصفية خالصة شيئا أفضل من الإنعكاس الحرفي للحقيقة الخارجية[2].
ونستشف ذلك مما جاء في قوله تعالى : {**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ**} [3].

هكذا تكشف لنا هذه الآية الكريمة ، عن حال الأشقياء الفجار الجاحدين الذين لا يؤمنون بالقرآن وكذبوا بالأنبياء والرسل ، فجزاؤهم عن كفرهم نار جهنم ، والعذاب الدائم المستمر دون إنقطاع ، وهذه صورة الجزاء لكل متمادٍ في العصيان والنكران للحق [4].

وهو ما يوضحه لنا التعبير القرآني الهادف إلى بناء وتشكيل صور جمالية خلاقة متميزة

---

1- أنظرشلتاغ عبود شراد ، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ،ص164.

2- محمد لطفي الصباغ ، التصوير الفني في الحديث النبوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط: 1 ، 1983 ص489.

3- فاطر :36.

4- أنظر محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ،578/2.

نستطيع ملاحظتـه فـي التوضيح الذي أدلى بـه سيد قطب عن التصوير الفنـي الذي يقول عنه هو " الأداة المفضلـة في أسلـوب القرآن ، والقاعدة الأولى للبيـان "[1]. مضيفـا :" أنـه يعبـر بالصورة المحسـة المتخيلـة عن المعنـى الذهني والحالـة النفسيـة ، وعـن النموذج الإنساني والطبيعـة البشريـة ، كما يعبـر عن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها ، فيمنحها الحيـاة الشاخصة ، أو الحركة المتجددة ، فإ ذا المعنى الذهني هيئـة أو حركة وإذا الحالة النفسيـة لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الإنسانـي شاخص حي . فأما الحوادث والمشاهد ، والقصص والمنـاظر ، فيـردها شاخصة حاضرة فيها الحيـاة ، وفيها الحركة ، فإذا أضاف إليهـا الحوار ، فقد استوت لها كل عناصر التخيل"[2].

1- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص71.
2- المرجع نفسه ، ص71.

### 1-2- **خصائص الصورة :**

يمكننا محاولة التعرف على خصائص الصورة بشيء من الإيجاز وبالقدر الممكن.

#### **1-2-1- التخيل الحسي :**

إن هذا النوع من الخصائص يعتبر القاعدة الأولى والسمة البارزة ، التي يعتمد عليها التصوير الفني في القرآن . علما بأن " الخيال هو الميدان الذي تظهر فيه الصورة الفنية . إن هذه الصور تعمل عملها في الخيال ، وتدخل إليه عن طريق الحس والوجدان ، وتثير في النفس شتى الانفعالات والأحاسيس والتأثيرات ، وعندما يكون اكتشافه للصور الفنية أدق وتذوقه لها أتم وبيانه لها أوضح "[1].

والتخيل الحسي الوارد في الآيات القرآنية التي تندرج ضمن التصوير الفني للقرآن الكريم في قوله تعالى : { **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**} [2]. وإن هذا لون من ألوان التخيل ، الذي يتمثل في الحركة السريعة المنحصرة في الآية السابقة في قوله تعالى :{**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**}، وهي الصورة المثيرة للخيال في حركة الاشتعال التي تدب في الرأس ، كحركة اشتعال النار في الهشيم[3]. وفي هذا التصوير ما نلمسه من إحساس ندركه عن طريق الخيال الذي يضفي عليه هالة

---

1- صلاح عبد الفتاح الخالدي ، نظرية التصوير الفني ، ص131.

2- مريم : 4.

3- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص78.

من الجمال الفني الوارد عن طريق التشبيه للشيب بشواظ من النار في نصاعة بياضه وانتشاره في الشعر ، وأخذه منه مأخذ الاشتعال بالنار [1].

ومن ضمن هذا القبيل من التخيل الحسي في التصوير الفني في القرآن كذلك قوله تعالى :{ **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي**} [2]. أي أن الذين لا يومنون بالآيات القرآنية المنزلة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذبوا برسالته مستكبرين جاحدين فإنهم لا ينتفعون ولا يتحصلون على أي شيء من عمل طيب ، ولا يمكن لأرواحهم أن تصعد إلى السماء كما تصعد أرواح المؤمنين [3]. ولا يدخلون الجنة حتى يدخل الجمل في ثقب الإبرة وفي هذا تمثيل الإستحالة في ولوج الكفار الجنة ، كما يستحيل على الجمل وهو بتلك الضخامة أن يدخل ثقب الإبرة . وفي هذا مبالغة في التصوير مع ما فيه من الدقة الفنية التخيلية [4].

ويبدو التخيل الحسي أنه الخاصية التي تشتمل على الوضوح ، والبنية الأولى التي تبنى عليها الصورة ، والممكنة الوجود في كافة الصور الفنية ، إلى أن أصبح من القواعد العامة للتصوير ، وللتخيل الحسي لدى سيد قطب ألوان حصرها في خمسة ألوان [1]. نحاول التعرض لها فيما يلي :

---

1- الزمخشري ، تفسير الكشاف ،2/4.

2- الأعراف :40.

3 – الزمخشري ، تفسير الكشاف ،107/2.

4- أنظر محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير، 446/1.

### 2-2-1-ألـوان التخيـل الحسـي

1**- التشخيـص** : يذهب سيد قطب في تعريفـه للتشخيص بأنه " يتمثل في خلع الحيـاة على المواد الجامـدة ، والظواهر الطبيعيـة والانفعالات الوجدانية . هذه الحيـاة التـي قد ترتقي فتصبح حياة إنسانية ، وتشمل المـواد والظواهر والانفعالات ، وتـهب لهـذه الأشياء كلها عواطف آدمية وخلجات إنسانيـة ، تشارك بها الآدمييـن ..."[2]. عن طريق الأخـذ والعطاء ويشعرون بالحيـاة في شتى المجالات التي تقع عليها العيـن ، أو تشتمل على إحساس مرهـف . والتشخيص يبـدو في كـثيـر من السـور القرآنيـة ، وهو المعـروف عند البلاغيين بـ :" المجـاز" وهو اللفـظ المستعمل في غيـر ما وضع لـه لعلاقـة المشابهـة . وهذا النوع من التصوير يبعث في النفس معانـي الجمال والانشراح ، حسب ما ذهب إليـه " البلاغيون فإن النفس تأنس بالشيئ الحسي أكثر مـما تأنس بالمدرك المعنـوي " [3].

ومن الأمثلـة على وجود التشخيص في الصـور القرآنيـة ما نلاحظه في الآيـة التي تشخص جهنم : { **إِذَا أُلْقُـوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَـا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُـورُ، تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ** } [1].

1- العرابي لخضر ، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية ، ص125.
2- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص73.
3- العرابي لخضر ، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية ، ص126 ، نقلا عن : سمير أبو حمدان ، الإبلاغية فـي البلاغة العربية ، ص 146.

ففي هاتين الآيتن رسم لمشهد من مشاهد جهنم في حالة غيظ شديد، لأن جهنم مخلوق حي من مخلوقات الله ، وعند استقبالها للذين كفروا ، تحاول أن تخفي قلقها الشديد فتتصاعد زفرات أنفاسها في شهيق وتفور ؛ فتمتلئ جوانحها غيظا ، لما تحمله من بغض وكره للكافرين .

والمتمعن في هذا التعبير الذي ورد في الآيتين ، يكتشف أنه في ظاهره تصوير مجازى لحالة جهنم . ومع ذلك فهناك إحساس يقر بالحقيقة . لأن لكل خليقة من خلق الله حياة تتميز بروح من نوعها الخاص بها ، وتسبح بحمد ربها ، وتقف مندهشة عندما ترى الإنسان يكفر بخالقها. وتتميز غيظا من الجحود المنكر وتنفر منها روحها ، وتلك حقيقة جاءت في القرآن في مواضيع كثيرة ومنه قوله تعالى : {**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**}[2]. وكذلك قوله تعالى : {**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ**}[3]. هذه تعبيرات لا مجال فيها للتأويل [4].

---

1- الملك : 7- 8.

2- الإسراء : 44.

3- سبأ : 10.

4- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 3634/6- 3635.

وفي وجود التشخيص التخييلي في الصور القرآنية . في المثال الوارد سابقا عن تشخيص جهنم {**سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ، تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ** } [1]. أي أن جهنم من المخلوقات الحية من البشر التي تتصف بكظم الغيظ ، الذي يؤدي إلى إرتفاع أنفاسها ، فتفور وينطلق منها شهيقا يحدث هلعا شديدا مخيفا .

2- **التخيل بتوقيع الحركة** : فالصور الفنية للقرآن الكريم تبرز لنا الكثير من الرسوم لصور متحركة تعبر عن معنى من المعاني ، أو حالة من الحالات ، "ويذهب الحس والخيال مع هذه الحركات المصورة ، ولكن الريشة المصورة المعجزة لا ترسم هذه الحركات كلها دائما وإنما تبقى الحركة الأخيرة حيث يقف التعبير على الحركة التي قبلها" [2]. والأمثلة على هذا اللون كثيرة في القرآن الكريم . وخير مثال على ذلك ، ما جاء في قوله تعالى : {**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**} [3]. أي أن هناك من الناس من يعبد الله على حافة وطرف من الدين ، مذبذبين بالنسبة للذين لا يعبدون الله عن ثقة ويقين بل عن قلق واضطراب [4]. حيث تصور الآية هذا النوع من الأشخاص كأنهم في حركة جسدية متأرجحة موشكة على السقوط عند الدفعة الأولى . وبذلك ينقلب على وجهه [1] إذا ما أصيب بمكروه وبلاء فيرتد ويعود إلى ما كان عليه من الكفر.

---

1- الملك : 7-8.

2- صلاح عبد الفتاح الخالدي ، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، ص140.

3- الحج :11.

4- أنظر محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 282/2.

ومنها صورة النجاة من الوقوع في الخطر المتمثل في قوله تعالى : {**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**} [2]. أي النص القرآني يشير إلى عمق المشاعر ، ويحاول الغوص في عمق ، ليصور القلوب على أنها عبارة عن حزمة مؤلفة متناسقة بيد الله ، كما يرسم لنا النص صورة لما هم فيه ، ومشهدا حيا متحركا ، يتمثل في حركة السقوط في حفرة النار متماثلة أمام الأعين ، إذا بإرادة الله تمد لتعصم تلك المخلوقات من الخطر المحقق ، وتلك هي صورة النجاة والخلاص بعد الخطر المرتقب [3].

3- **اللون الثالث** : يتمثل في الحركة المتخيلة التي تبعث في النفس بعض التعبيرات ، لأن الصورة القرآنية تتكون في بعض الأحيان "من ألفاظ تبنى عليها هذه الصورة أو جزء من أجزائها ، وبعض هذه الألفاظ يلقي في نفس القارئ وحسه وخياله حركة متخيلة ، وهذه الحركة لا ترد على الخيال لولاه . إذ يكون في تركيب هذا اللفظ ودلالته ما يستدعيها"[4].

---

1- أنظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 2412/4.

2- آل عمران :103.

3- أنظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 443/1.

4- صلاح عبد الفتاح الخالدي ، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، ص142.

وهو ما يمثله قوله تعالى:{ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا**}[1]. وإذا أمعنا النظر في هذا النص القرآني نلاحظ فيه" لفظة "فقدمنا" ذلك أنها تخيل للحس حركة القدوم التي سبقت نثر العمل كالهباء . وهذا التخيل يتواري بكل تأكيد لو قيل : وجعلنا عملهم هباء منثورا . حيث كانت تنفرد حركة النثر وصورة الهباء دون الحركة التي تسبقها : حركة القدوم"[2].

وبالمثل ما ورد في قوله تعالى :{ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** }[3].

ففي كلمة "فأتبعه الشيطان" تشعر الخيال بحركة متخيلة لإنسان خرج عن طاعة الله ، ينسلخ إنسلاخ الحي من أديمه اللاصق بكيانه ، ويتجرد من الغطاء الواقعي ، والغطاء الحامي ، وينحرف عن الهدى ليتبع الهوى ، فيصبح غرضا للشيطان ، يتبعه ويستحوذ عليه لكي لا يعود إلى الآيات التي تخلى عنها وتركها خلفه [4].

انطلاقا مما في هذه الأمثلة وغيرها ، نلاحظ أن تلك الحركة المتخيلة ماكان لها أن تبرز في الخيال ، إلا عن طريق تلك الألفاظ المصورة التي تبث الإحساس في النفس وتشعر الخيال بهذه الحركة .

---

1- الفرقان :23 .

2- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص76-77.

3- الأعراف : 175.

4- أنظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 1396/3 .

4- **اللـون الرابع** : يتمثل في حركات سريعة متخيلة فهذا النــوع من التعبير القـرآني في حالــة تشخيصه ورسمـه للصـور الفنية ، ذات حركـات سريعة متتابعة متخيـلة ، توصـل إلى إتمـام تلك الصـور ، ومن ضمنها صـورة الذي يشـرك بالله ، كما جـاء فـي قولـه تعالـى : {**حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ** } [1]. وفي هذا تمثيـل للمشرك في ظلالـه وهلاكـه ، كما يلاحـظ وهو يهوي فـي سرعـة الحركة وشدتها وتتابع الخطـوات في اللفـظ "بالفـاء" ، والإختفـاء بسرعـة ، على شاكلة القـرآن الكريـم في التعبيـر بالتصوير .

وتلك هي صـورة لمـن يشرك بالله ، فيصبح من الذيـن انزلقوا من أفـق الإيمـان القوي إلـى مهاوي الفنـاء والا نـدثار . فـاقدا لقاعدة التوحيـد والاستقـرار النفسي والاطمئنـان ، وينساق وراء الأهواء ، التي تتقاذفها الأوهـام حسب تقاذف الرياح ، ولا يتمسك بالعـروة الوثقى ، تلك القاعدة الثابتـة للإستقرار في الوجـود الذي يعيـش فيـه [2].

وليس ببعيد عما يشبـه ذلك بالنسبـة للحركة المتعـددة السرعة المتخيلـة قولـه تعالـى : {**مَن كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَّن يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعَ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ** }[3]. هذه صـورة من الصـور العجيبـة التخيليـة السريعة التي تلاحظ في الذيـن يئسوا من نصـرة الله لنبيـه محمدصلى الله عليه وسلم ، فلينصرفوا لقتل أنفسهم إن كان الأمـر يتعلق بغيظـهـم . فإن النصـر لا محالـة آت من الله .

---

1- الحج : 31.

2- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 2422-2421/4.

3- الحج : 15 .

5- **اللـون الخامس** : يتمثـل في حركة التخيـل الساكن الذي يبعث في التعبير القرآنــي الحيـاة والحركـة " فينتفـض حيـا متحركا ... عن طريق الحـس والخيـال ، يمـلأ النفس شـعورا بـالجمـال "[1]. وما نلاحظه ينطبـق علـى ما جاء فـي قوله تعالـى :{ **وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ}** [2]، وهو ما يدل علـى صورة الأرض الساكنـة التي تبعث فيها الحيـاة والحركة من جديد من جراء تلك العيـون التي تنفجـر من الأرض بسبب سقوط الأمطار من السمـاء .

## 2- أثر التصوير القرآني في النثر :

وبهذا القدر اليسير من الاستعراض التصوري للقرآن الكريم ننتقل إلى تقديم بعـض النماذج التصويرية التي حاول كتاب نهضـة الإصلاح في الجزائر استنباطها واستلهامها من القرآن الكريم في كتاباتهم النـثرية.

### 2-1- اللفظ المعبرعن الصورة :

لقد حدث أنـه فـي بعض الأحيان تشترك عدة ألفـاظ فـي عبارة رسم الصورة الفنيـة تـارة وتارة أخرى تكون مساعدة على استكمال معالمها ، وبالتالي تكون الصورة قد استكملت رسمها التام .

---

1- الخالدي ، نظرية التصوير الفني عند السيد قطب ، ص145 .

2- القمر : 12.

وهذا جانب من الجوانب التي يطلق عليها نوع من الإعجاز في التعبير القرآني إلا أن هناك نوعا آخر من هذا الإعجاز أسمى منه ، ذلك أنه " قد يستقل لفظ واحد-لا عبارة كاملة- برسم صورة شاخصة - لا بمجرد المساعدة على إكمال معالم صورة – وهذه خطوة أخرى في تناسق التصوير ، أبعد من الخطوة الأولى ، وأقرب إلى قيمة جديدة في التناسق . خطوة يزيد من قيمتها أن لفظا مفردا هو الذي يرسم الصورة ، تارة بجرسه الذي يلقيه في الأذن وتارة بظله الذي يلقيه في الخيال ، وتارة بالجرس والظل جميعا "[1].

ويمكننا أن نتوقف عند اللفظة القرآنية التي لها علاقة بالصورة . ولكن ذلك لا يمكن أن يكون من حيث البنية اللغوية الموسيقية نفسها بل بالعكس يكون من حيث رسم صورة قرآنية أو استحضار مشهد قرآني . عند استخدام الكاتب لها في سياق خاص ، بحيث يحصل الفضل في جعل تلك اللفظة المعبر عنها بالصياغة التي تساهم في تداعي المعاني والصور التخيلية لدى المتلقى المثقف بالثقافة القرآنية ؛ لأن : " أسرار الإعجاز الأدبي لا تكون في المعاني اللغويه والنحوية ، وهي المعاني الأولى ، وإنما تكون في المعاني الثانية ، وهي التي يحملها الأديب اللفظ أو العواطف البشرية التي تمتلئ بها الألفاظ والتراكيب "[2].

والأمثلة اللفظية القرآنية التي استعان بها الكتاب الإصلاحيون وتجاوزت المعاني اللغوية الأولى ، إلى الاستعارية الثانية ، وصارت عندها محملة بصور عاطفية خفية ، ومن ذلك

---

1-سيد قطب ، التصوير الفني ، ص91.

2- عبود شراد شلتاغ ، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، ص174 ، نقلا عن الدكتور : محمد أحمد خلف الله الفن القصصي في القرآن الكريم ، مكتبة الانجلوا المصرية ، القاهرة ، ط : 3 ، 1965 ، ص237.

ما ورد في موضوع للإبراهيمي عن حديثه عن مهام جمعية علماءالمسلمين ، وفي عنصر فرعي بعنوان "عملها في توجه الأمة ". إذ يقول في فقرة منه : " إن الأمة الجزائرية –كغيرها من الأمم الإسلامية - ما سقطت في هذه الهوة السخيفة من الإنحطاط إلا حين فقدت القيادة الرشيدة في الدين ، تلك القيادة التي هي قبس من شعلة الوحي ، وشعبه من قوة النبوة ، التي تنبثق عنها جماعات المسلمين ، حينما يضرب الفساد والنخر في أصول مجتمعهم .

فإذا وحدت الأمة هذه القيادة التي لا يسفه في يدها زمام ، ولا تضطرب مقاده . وجدت نفسها ؛ ومن وجد نفسه وجد الحقيقة " [1].

وفي هذا توضيح بأن الأمة الجزائرية ما هي إلا جزء من الأمم الإسلامية ، التي فقدت سلطتها وقوتها ، وصارت إلى الإنحطاط أقرب منه للتحضر ، والسبب في ذلك يعود هنا للتخلي عن القيادة الرشيدة في الدين ، لأنه لا يمكن صلاح الأمة إلا بالعودة بما صلح به أولها .

وهو بتعبير : " تلك القيادة التي هي قبس من شعلة الوحي" التي يقدم لنا فيها صورة غنية ، عن القيادة الرفيعة الشأن ، الثابتة الإيمان ، وإن ما يهمنا في هذا النص هي اللفظة المعبرعنها بـ: "قبس" التي استلهمها الكاتب من القرآن الكريم الوارد في قوله تعالى َ: {**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ، إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**}[1].

---

1- محمدالبشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 35/2.

ومعنى هذا أن موسى عليه السلام "ذهب يطلب قبسا من النـار ؛ ويطلب هاديـا فـي السرى ... ولكنه وجد المفاجـأة الكبرى . إنها النار التي تدفئ لا الأجسام ولكن الأرواح "[2].

وفي هذا ما يكسب اللفظـة " قبـس" في بعدها القرآنـي صياغة تصويرية فنيـة قويـة ، وعمقا تخيليـا ، وجودة نص الكاتب ، لأنـه قبس القدرة القويـة ، ذات النـور الإلهي الساطع ، الذي تهتدي به الأمـة ، وبـه وحده تستطيع الخروج من ظلمات المحنة العسيرة التي تتخبط فيها الأمـة .

وفي نـص آخر للإبراهيمي يتحدث فيه عن اللغة العربية ، بعنوان اللغة العربية فـي الجزائر . عقيلة حرة ليس لهـا ضرة . إذ يقـول فيه : "وطار إلـى البربر منها قبس لم تكن لتطيره لغـة الرومان ، وزاحمت البربرية فأحالتها عربية ، كل ذلك باختيار ولا أثر فيه للجبر ، واقتناع لا يد فيه للقهر ، وديموقراطية لا شبح فيها للاستعمار . وكذب وفجر كل ما يسمى الفتح الإسلامي استعمارا "[3].

وفي هذا التوضيح للمكانة التي حظيت بها اللغة العربية في الجزائر ، دون سواها من اللغات مفندا تلك الأقـوال الدعائية المغرضة بأنــها لغة استعمار ، ولكــن انتشارها كــان عكس ما يروج له كلا من دعاة التفرقة ، وزرع البلبلة ، والتشتت من أجل إحلال الاستعمار.

---

1- طه : 9-10 .

2- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 2330/4.

3- محمدالبشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 221/2.

وما يضفي هالة على هذا التصوير البارع ، هو تلك الاقتباسات اللفظية القرآنية كالتي أشرنـا لها آنفـا والتي أوردها الإبراهيمي في عبـارة نصه قائـلا : "وطار من البـربر منها قبس" التي ضمنها لفظة " قبس" المستقاة من سورة طه الآية (10) التي مرت بنا ، وفي هذا الاستعراض الذى يصور لنا ظاهرة انتقال هذه اللغة العربية ، وكيفية تقبلها من طرف الأهالي الجزائريين وخاصة منهم المتدينين بالدين الإسلامي ، المشتمل على التوجيهات الإلهية الهادية إلى النور المبين ، والوعد الحق.

وإذا ما انتقلنا من هذه اللفظة إلى لفظة أخرى استحضرها الكاتب الإبراهيمي في موضوع له ، يتحدث فيه عن أثار اعتقـال الأستاذ العقبي نتيجة قيامه بالدعوة الإصلاحية ، التي نذر رجال الإصلاح من أجلها أنفسهم حين يقول : "وإننا لنبتهج بالمصيبة تصيبنا في سبيل الإصلاح أضعاف ما يبهج غيرنا بالطيبات والمسار وتعد كبيرها أعضل وآذى صغيرا هينا وخفيها مهما أفظع وبغت ظاهرا جليا ، ونأسى لأغبابها عنا كما يأسى المحل للجدب ، ونترقب إلمامها بساحتنا كما يترقب غيرنا النعم والخيرات لعلمنا أن المعاني التي تتركها في نفوسها هي المعاني التي نصبوا إليها وإن تمر سنابـها باب من أبـواب الرجولة وسبيل من سبلـها "[1].

يلاحظ في هذا النص ، أن الإبراهيمي وظف لفظة "يترقب" التي استقاها من الآية الكريمة فـي قوله تعالـى: {**فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ** }[1] ، وتوضيح قوله تعالـى : {**فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ**}، معناها أن موسى عليه السلام الذي قتل القبطي ، أصبح بعد وقوع الحادث يتوجس الخوف على نفسه ، وينتظر المكروه ، نتيجة لما بدر منه في إغتياله للقبطي [2].

---

1- محمدالبشير الإبراهيمي ، أثاره ، 207/1.

ولفظ "يترقب" يصور حالة القلق التي تنتاب موسى عليه السلام ، ويتوقع الشر في كل لحظة وتفيد اللفظة "يترقب " سمة الشخصية الإنفعالية البارزة سواء تعلق الأمر بما ورد في نص الإبراهيمي، وفـي موقف موسى عليه السلام ، لأن التعبير بتلك اللفظة يجسم هيئة الحيرة والقلق ، ومما يزيد فـي الضخامة هي كلمة "في المدينة" التي تعرف في أكثر الحالات بأنها موطن الإستقرار والأمن والراحـة ؛ لأن الإضطـراب والخـوف الكبير ما كان في مأمـن ومستقر! [3].

وفـي حديث آخر يستعرض الإبراهيمي ، فضل اللغة العربية على العلم والمدنية التي تأثرت بها الأمم غير العربيـة ، يقـول أن : " العربيـة لم تخدم مدنية خاصة بأمة . وإنما خدمت المدنية الإنسانية العامة ... ، وقد كانت هذه اللغة في القرون الوسطى يوم كان العالم كله يتخبط في ظلمات الجهل هي اللغة الوحيدة التي احتضنت العلم وآوته ونصرته"[4].

---

1- القصص : 18.
2- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 428/2.
3- أنظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 2682/5.
4- محمدالبشير الإبراهيمي ، أثاره ، 263/1.

وهذا توضيح لقيمة اللغة العربية ومكانتها الرفيعة في تاريخ الإنسانية ، التي كانت كالشمس الساطعة على العالم كله لإزالة ظلمات التخلف والجهل التي تتخبط فيها البشرية جمعاء.

وفي حديث الإبراهيمي السابق عن اللغة العربية ، نلاحظ تأثره بالقرآن الكريم وخاصة في استحضار اللفظة القرآنية " ظلمات" التي اقتبسها من الآية الكريمة في قوله تعالى :{ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍ ، يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ ، مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ . ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا . وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِّنْ نُورٍ**}[1] .

ومعنى ذلك أن الكفر ظلام مختلف أشد الإختلاف عن هدى الله ونوره المنتشر في الكون . وصورة" الظلمات" هي المشهد الذي يؤدي بالناس إلى الظلال والكفر ، الذي لا يمكن التغلب عليه ، إلا إذا جاء بعده مشهد الإيمان ، الذي ينير الكون الفسيح ، المتمثل في الوجود كله ، شاخصا يسبح لله وحده [2].

وفي نص آخر لمحمد السعيد الزاهري يشير فيه إلى جماعة الإصلاح الديني التي اتخذت القرآن الكريم دستورا لها لتنير به أفكار الشباب الجزائري ، وإزالة ما تعلق بأذهانهم من ثقافة التضليل ، والخرافات الواهية التي لا تمت بأي صلة إلى الإسلام ؛ لأن الإسلام الصحيح هو الوحيد الذي يخرجهم من الظلمات إلى النور . وذلك بفضل تلك " الفئة المباركة من جماعة " الإصلاح الديني" التي جعلت دستورها القرآن الكريم الذي هو خير جامعة تجمع أشتات الجزائريين المتناثرة . وفقت إلى أن تهدم كثيرا مما علق بالإسلام من خرافات وأضاليل ، وهي ترجوا أن يهيئ الله لها من أمرها رشدا ، للعودة بالمسلمين إلى الدين الخالص ، والإسلام الصحيح ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور " [1].

---

1- النور : 40.

2- أنظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 2521/4.

والهدف من استعراضنا لهذا النص هو ادراج الكاتب للفظة : "الظلمات"- التي استلهمها من القرآن الكريم - لتصوير المشهد الواقعي للشباب الجزائري ، وخاصة ما يحاول الاستعمار القيام به من أجل إبعاده عن دينه الإسلامي وإيقاعه في أتون الإلحاد ، والشك والحيرة ، مستندا في ذلك على ما جاء فـي قوله تعالـى : { **هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** }[2]. وهذا يهدف إلى إظهار نعمة الله التي وجدت بين أظهر الشعب الجزائري ، المتمثلة فـي جماعة الإصلاح التـي تدعو الأمة بلغة السماء وتخاطبهم بكلام الله ، قائلين لهم لقد أخطأتم وأثمتم فتوبوا إلـى الله ولا تقنطوا من رحمته التـي وسعت كل شيء .

تلك هي دعوة جماعة الإصلاح المستمدة من القرآن الكريم . وهو ما يجب التمسك به والاقتداء بهديه الذي ينير لهم الطريق ، ويهديهم إلى سبيل الهدى والرشاد . وممكن إيضاحه بشتى الوسائل ، ومن ضمنها المثل الذي سنتطرق إليه في الصفحات الموالية .

---

1- محمد السعيد ، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ، ص38.

2- الحديد : 9.

2-2- **المثـل :** " والمثـل والمثيل كالمثـل والجمع أمثـال ... والمثـل الشيء الذي يضـرب لشيىء مثـلا فيجعله مثلـه" [1] ، "ومثل الشيىء أيضا : صفتـه" [2] .

وللتوضيح أكثر نسوق ما ورد عن أبـي عبيد بأن : "الأمثـال حكمة العرب فـي الجاهلية والإسلام ، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بهـا ما حاولت من حاجاتها من المنطـق لكنايـة غير تصريح ، فيجتمع لها فـي ذلك ثـلاث خلال : إيجـاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وقد ضربـها النبي صلى الله عليه وسلم ، وتمثل بها هو ومـن بعده مـن السلف"[3].

و لقد جـاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم : "**إِنَّ مِـنَ الْبَيَـانِ لَسِحْرًا** "، ويعنـي بذلك الرسول عليه السلام ، أنـه كثيرا مـا يصدر من كـلام البلغـاء ، ما يـؤدي إلـى إظهـار وإبـراز الباطل في صورة حـق ، ومعلـوم أن البيـان هو عبـارة عـن إجتماع الفصاحـة والبلاغـة مـع ذكاء القلب ، وطلاقـة اللســان ، وقـد شبـه ذلك بالسحـر لقـوة تأثيره فـي قلب السامع وهكـذا نجـد هـذا المثـل يضرب في حالـة إستحسان المنطـق ، وإبراز الحجـة البالغـة [4] .

---

1- إبن منظور ، اللسان ، م: 11، ص 611.

2- الجوهري ، الصحاح ، 1816/5.

3- السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، دار الجيل بيروت ، د-ط ، د-ت، 486/1.

5- أنظر الميداني مجمع الأمثال ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ، د-ت ، ط:2 ،15/1.

وهكذا نجد أن " الأصل في المثل أنه قائم على تشبيه شيء بشيء لوجود عنصر تشابه أو تماثل بينهما ، أو لوجود أكثر عنصر تشابه"[1].

**2-2-1- التمثيل البسيط :**

وهو الذي يشتمل على التمثيل المفرد ، " لأن الممثل له يشابه الممثل به ومن وجه من الوجوه أو جانب من الجوانب ، كتمثيل الجاهل بالأعمى ، والعالم بالبصير والجاهل بالظلمات والعلم بالنور "[2].

**2-2-2- التمثيل المركب :**

وهو التمثيل الذي يلاحظ عليه على أنه يقدم على شكل لوحة تصور أكثر من مفرد ووجه الشبه فيه لا يكون مأخوذا من مفرد بعينيه ، بل يكون مأخوذا منه ومن غيره أو من الصور العامة "[3].

ونستطيع أن نسوق أمثلة للتمثيل البسيط من طرف أحد المصلحين من رجال جمعية العلماء وهو العربي التبسي . في مقال له بعنوان : " نداء" الموجه للشعب الجزائري ليكون مستعدا لليوم العظيم الذي هو افتتاح الأمة الجزائرية لمؤسستها الكبرى هي : دار التلميذ الجزائري ، حيث سعت جمعية العلماء الجزائريين لإخراجها للوجود ، " وقدمتها

---

1- عبد الرحمن حسن الميداني ، أمثال القرآن ، دار القلم دمشق ، ط :2 ، 1992، ص19.

2- المرجع نفسه ، ص45.

3- المرجع نفسه ، ص45.

باسم الله إلى شبابنا العامل المناضل في سبيل الدين والعروبة ، والقومية والوطنية لتكون له مأوى الراحة والاستقرار ، يركن إليها فيجد فيها الهناء والسعادة ، ويصفو له طلب العلم والتفرغ له ، والبقاء فيه ، ويغدق على الأمة بعد حين من فيض علومه ، ونور قلبه وخالص نصيحته ما يخرجه من الظلمات إلى النور ، ويهديها الطريق السوي الذي يبوؤها مقعد صدق لدى الأمم الحية الراقية ، والعقل السليم في الجسم السليم "[1].

تطرق الكاتب في هذاالنص إلى عدة مضامين وأهداف تمكن الطلبة الذين يؤمون المؤسسات العلمية من التزود منها بما يكفيهم من الأفكار التي تنير عقولهم ، وهو ما عبر عنه الكاتب في نصه السابق كمضرب للمثل ، لذلك النشء الذي ينهل من فيض تلك العلوم التي تخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وهذا مصداقا لقوله تعالى : {**رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا**}[2].

وكذلك قوله تعالى:{ **الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**}[3] أي ليخرج المؤمنين المتقين من الضلالة إلى الهدى ، ومن ظلمة الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم [1]

---

1- العربي التبسي ، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر ، جمع وتعليق :شرفي أحمد الرفاعي ص221-222

2- الطلاق :11.

3- إبراهيم :1.

نلاحظ أن الكاتب في تمثيله له دلالة واضحة بتأثره بهذه الآيات القرآنية التي حاول أن يقدم لنا من خلالها صورة تمثيلية من فيض القرآن الكريم الذي شبه فيها الظلمات بالجهل والعلم بالنور وهكذا .

أما إذا إنتقلنا إلى النوع الثاني من التقسيم التمثيلي ، وهو التمثيل المركب الذي جاء في لوحة المثل ، التي تصور " المنافق المتردد المتذبذب الحيران ، الذي تتجاذبه المتناقضات وهو قادر على أن يسمع الإنذارات التي تهز قلبه ، ولكنه يعرض عنها"[2].

ونوع هذا التمثيل الذي ينطبق على المنافقين ، ورد في قوله تعالى : {**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونْ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ، أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتُ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ، يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}[3].

فالنص يشتمل على مثلين للمنافقين : فالصنف الأول مرد على النفاق ، وهم الكفار

1- أنظر محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص403، ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص2916.

2- عبد الرحمن الميداني ، أمثال القرآن ، ص21.

3- البقرة :17-20.

دون شك ، انهم كانوا يتظاهرون بالإسلام من أجل تضليل المسلمين ، وهؤلاء هم الذين نزل فيهم قوله تعالى :{**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونْ**}[1]، خلاف للصنف الثاني من المنافقين
المتذبذبين بين الإيمان والكفر ، وهو إلى الكفر أقرب.

وعلى غرار هذا التمثيل القرآني نلاحظ عبد الحميد بن باديس يقتبس هذا التمثيل ويستعمله من أجل تبليغ الرسالة التي قام رجال الإصلاح بتوصيلها إلى من هم بأمس الحاجة إليها من الأمة الجزائرية ، ألا وهي الدعوة إلى الإسلام الخالص والعلم الصحيح ، وهو القائل لقد : "رأينا واجبا علينا أن نقوم بالدعوة العامة إلى الإسلام الخالص والعلم الصحيح إلى الكتاب والسنة وهدى صالح سلف الأمة وطرح البدع والضلالات ومفاسد العادات ، فكان لزاما أن نؤسس لدعوتنا صحافة نبلغها للناس فكان المنتقد وكان الشهاب ونهض كتاب القطر ومفكروه في تلك الصحف بالدعوة خير قيام وفتحوا بكتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا "[2]، وفي هذا ما يوضح دور ما قام به رجال الإصلاح من الأعمال الجليلة التي فتحت آفاقا ومجالا واسعا في حياة الفرد الجزائري الذي ظل سبيل الهداية بسبب ماكان رجال التبشير الذين استقدمهم الاستعمار معه يروجون له ، وهو الأمر الذي أشار إليه الكاتب بأن ما قاموا به نحو مجتمعهم هو فتح : " أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا "[3].

---

1- البقرة : 18 .

2- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 28/3.

3- المرجع نفسه ، ص28

إن ما ذهب إليه الكاتب في تمثيله الذي قدمه في نصه السابق ، أن عملهم أي رجال الإصلاح ، كان حقا الأسلوب الأمثل في فتح الآفاق للذين كانوا فاقدي الحواس لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون ، وقلوبا مغطاة ، إلا أن إرادة الخالق كانت فوق إرادتهم ، إذ ساق إليها من يهتم بأمر هذا الصنف من شباب الشعب الجزائري ، بواسطة تلك النداءات الموجهة إليهم سواء عن طريق النداءات المكتوبة أو المسموعة من أجل العودة إلى أصالتهم والتمسك بشخصيتهم ، وفعلا كان لذلك أثره في إعادة أولئك الشباب سمعهم وأبصارهم وتفتحت قلوبهم على الحقيقة وجادة الصواب ، والقيام بكل ما يمليه عليهم الواجب الوطني والديني .

وبهذا الموقف الجاد ضد كل من تسول له نفسه المساس بقيم الدين الإسلامي الحنيف أو الحط من قيمته السمحاء نجد ابن باديس ومن معه من زملائه قد نذروا أنفسهم من أجل الدفاع عن الدين والوطن حتى في أحلك الظروف والمواقف ، ومن ضمنها ما حدث في مجلة "المقتطف" وفي مقال بعنوان : "مفاخر أور الكلدانيين" من طرف كاتبه الدكتور صروف الذي ورد عنه قوله : " لقد جاء في بعض الخرافات العربية القديمة أن عاصفة من الرمل طمرت مدينة عاد فأصبحت بعد العاصفة لا عين لها ولا أثر"[1] ، إطلع عليه ابن باديس فأجابه معلقا عن ذلك بأننا : " لا نشك أن كاتب المقال ليس مسلما ، كما لا نرتاب أنه لا يجهل أن قصة عاد من قصص القرآن، فتعبيره عنها بالخرافة من سوء الأدب..

---

1- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 16/3.

إن القرآن العظيم كما يسلك في أدلتـه العقليـة أقرب طريـق وأوضحه ، كذلك يسلك فـي تذكيـره أصدق المواعـظ وأبلغـهـا .وإنـه كان يخوف العـرب أن يحـل بهم ما حل بالأمم قبلهـم ولقد خلت قبلهم أمم كثـيرة جاءتهم رسلهم بالبينات فكذبوا فأخذهم الله بالعذاب الشديد ..." وقد تواترت لديهم أخبارهم ، ومثلت أمامهم آثارهم من قوم عـاد سكان الأحقاف وقوم ثمـود سكان الحجـر"[1].

ونلاحظ فـي هذا النـص أن ابن باديس أجاب الكاتب صروف بأدلة تاريخية مفنـدة لأقـواله ، بما تواتر من أخبار الأمم ، الأقرب من الأمة العربية ، والمتمثلة فـي آثـار قـوم عاد وثمـود التـي اقتبس استدلالاتها من قولـه تعالـى : {**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**}[2]، والآية هنا تعنـي أن الإعراض عن الإيمـان بالله بعد هذا البيان الواضح والدليل القاطع من "جولة في مصارع الغابرين ، بعد تلك الجولة في ملكوت السماوات والأرض . جولة تهز القلوب المستكبرة برؤية مصارع المستكبريـن"[3].

تلك هي نوع من يمثل هذه الأدلة العقلية والنقلية التي كان رجال الإصلاح يستندون عليها للدفاع عـن الدين الإسلامي ومحاولة تصفيته وتنقيحه من البدع والخرافات ، وبذلك استطاعوا التغلب على كل من تسول له نفسه المساس بكل ما جاء فـــي القـرآن الكريـم أو الطعـن فيـه.

---

1- المرجع السابق ، 16/3.

2- فصلت : 13.

3- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 3117/5.

# الخـاتمة

إن الملاحظ لما تعرضنا له في هذا البحث ، يكتشف أن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي ، والمعين الوحيد الذي يغرف منه هؤلاء الكتاب ، ويلجؤون إليه فـي كل حين لحل ما يعترض سبيلهم من الإشكاليات ، نظرا لما ينطوي عليه ، وما يمتاز بـه فـي شتى المجالات وما اشتمل عليه من نصاعة البيان وفصاحة القول ، لذلك ومن خـلال هذا البحث نجد أنه استولى على نفوسهم ، واستهوى قلوبهم ، فراحو يتلهفون إليه ، وينهلـون من نبعه ، ولم يتوقفـوا عند هذا الحد بـل راحـو يسعـون ويبذلـون كـل مـا فـي وسعهم مـن أجل إحياء مدارسته مـن جديـد وتبليغه إلـى كافـة الخلـق عامـة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة ، وذلك عن طريق قيامهم بتشكيل الجمعية الإصلاحية التـي أسندت إليها مهمـة إنشاء المؤسسات التربويـة والتعليمية ، والإشـراف عليهـا بأنفسهـم تدريسـا وتنظـيمـا ، كما هـو الأمر بالنسبـة لمن أسندت لهم هذه المهمة من أعضاء الجمعية كالإمام عبد الحميد بن باديس ، والإبراهيمي والعربي التبسي ومبارك الميلي ، والعقبـي وغيرهم من رجال الإصلاح .

وهكذا راح رجـال الإصلاح من النخبـة المتحررة يدعـــون إلـى قيام النهضة بـروح مـن الحنكـة والحكمة والتدبيـر مستمدين أفكارهم مـن القـرآن الكريـم وسنـة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، لتقويم ما لمسوه مـن التقهقر والجمود والضعف الملحوظ فـي شتى المجالات السابقة للمرحلة السائدة لما قبل النهضة ، وبهذا السلوك المنتهج ، والمستمد من القرآن الكريم ، استطاع رجال الإصلاح أن يؤثروا في مجتمعهم ، وأن يرفعوا مـن مستوى قدراتهم الفـــكريـة ، بالدعـوة إلى الإعتـكاف على مـدارســة ماجـاء في كتــاب الله من صور

الهداية ورموز الإقتداء والتبليغ إلى من هم في حاجة إليه ليخرجوهم من ظلمات الجهل إلى
نور اليقين للتخلص مما تعانيه أمتهم من التقهقر والاستعباد المسلط عليهم من طرف الاستعمار ومن والاهم من الإستغلاليين . ومن هذا المنطلق يمكننا أن نخلص من بحثنا هذا إلى النتائج التالية :

**أولا** : توصل كتاب تلك المرحلة بتعاملهم مع القرآن واستلهامهم من روحه ، والإحتذاء على أسلوبه ومنهاجه إلى كشف و إبراز خفايا الاستعمار وأهدافه الرامية إلى طمس المعالم التاريخية ، وكذلك كل ما يمت بصلة إلى الشخصية الوطنية الإسلامية العربية في الجزائر وإماطة اللثام عن كل ما يحاول الاستعمار الفرنسي إحلاله في البلاد عن طريق إسكات كل أصوات الإ نتفاضة ، وإخماد كل حركة تطالب بحقوقها المتمثلة في التحرر والإنعتاق ، والوقوف ضد كل ما يمكن أن يؤدي إلى الحصول على الاستقلال . إلا أن إرادة رجال الإصلاح القوية والحازمة أدت إلى يقظة الأمة ،والقيام بالثورة التى تكللت بالنجاح المتمثل في الإستقلال . ومع ذلك فالأهداف التي سطرها أولئك القادة الذين خططوا للاستقلال لم تتحقق بعد ونتمنى من جيل الإستقلال أن يكمل المسيرة المسطرة من طرف أولئك الذين ضحوا بالنفس والنفيس . لكي يكون القرآن الكريم هو دستور الأمة الجزائرية ، دون سواه من الدساتير الوضعية للحفاظ على الوطن ، والمساواة ، والعدل ، ليسود الخير ويضمحل الشر وينتصر الحق على الباطل .

**ثانيـا** : كـان السعي من وراء اقتباس الأثـر القرآني من طرف رجال الإصلاح هو زرع الفضائـل الأخلاقية وتأكيدها ، ساعية مـن وراء ذلك إلـى تكويـن الفرد الجزائـري تكوينـا سويـا سليما من جميع الجوانب الإنسانية ، لذلك عندما نستقرئ ما خلفه هؤلاء الكتاب من تـــراث نجد أنهـم حاولوا أن يبينوا واقع الصراع ، والتجاذب الحضاري الغربي الاستعماري ، والمحلي العربي الإسلامي ، وكذلك الصراع القائم بين الإصلاحيين والطرقيـين مـن أجل إثبـات الذات عن طريـق تبليـغ تلك الرسالة الملقـاة على عاتـق رجـال الإصلاح ، الراغبين في إبراز النهضة الأدبية والفكرية وترسيخ حقيقة الثورة الجزائرية ، وتصوير الأمة الجزائرية على ضوء تلك الحالة من الإنحطاط التي لا تحسد عليه بسبب فقدانها للقيادة الرشيدة فـي الدين والوطن كما يشبهها الإبراهيمي : بأنها قبس من شعلة الوحي الـذي ينير الطريق المستقيم والهادي إلـى سبيل الرشاد ، وفي هذا التصوير نلاحظ أن هناك دعـوة إلـى إختيار القيادة الصالحة ممثلة فـي أرض الوجود لتعمل من أجل تحرير الأمة ، وإسعادها بنضامها السليم المستمد من العدالة الإلهية .

وفـي هذا التصوير توجيه وشحذ للعزائم ، وبث للأمل فـي قلوب النـاس المصابـين بالقنـوط واليـأس جراء الأعمال اللا إنسانية التـي يقوم بهـا الاستعمار الفرنسي المستبد والمتغطـرس . لذلك كـان لزامـا على رجـال جمعية العلماء المسلميـن الجزائريـين وغيرهم أن يستمروا في الأخذ من القرآن الكريم ويغرفوا منه كل ما هم فـي حاجة إليه ليسترشدوا منه ويبلغهم وأمتهـم لا محالـة إلـى بر الأمـان .

**ثالثا** : نلاحظ اعتماد الكتاب على الإقتبـاس من القرآن الكريم على النحو التالـي :

1 - يقتبسون آيات قرآنية كاملة ، وفي بعض الأحيان يعتمدون التضمين .

2- إقتباس شبه كامل للآيات والتراكيب معا .

3- يكون ذلك الإقتباس عبارة عن إ شارات للآيات أو السور القرآنية حسب مبلغ المتلقي من الثقافة القرآنية ، وسعة فطنته وذكائه .

4- إقتباس للفظة واحدة لا غير ، واستغلا لها فيما لها من عمق تصويرى.

5- إقتباس عدة عبارات لاستغلالها في التصوير .

6- تأثر نص من النصوص النثرية بمعاني كثيرة من القرآن الكريم .

7- محاولة التمثيل بمعاني القرآن دون استعمال العبارات نفسها .

وفـي هذا الأسلوب الإقتباسي من فيض القرآن ما يدعم ويقوي رؤية رجال الإصلاح ويسدد أفكارهم وموضوعاتهم ، سواء تعلق الأمر في ذلك بسمو اللغة أو البعد النظري والثبات على قول الحق ولو أدى ذلك إلى العواقب الوخيمة ، كالقتل بأسلوب الجبنــاء كالتسمم كما هو الأمر لما جرى للإمام عبد الحميد بن باديس ، أو الاغتيال السري غير الواضح مثل ما فعلوا بالشيخ العربي التبسي الذي لم يعرف قبره بعد ، أو النفي مثل ما وقع للإبراهيمي ، وغيره من أبناء الجزائر ، أولحكم بالسجن، كماوقع للشيخ عمر دردور والعقبي وغيرهم كثيرون.

**رابعا** : نرى فـي هذا الاقتباس من القرآن الكريم ما أهلهم على توظيف معاني القرآن الكريم وما مـكنهم من الوعي الكامل ، والتمـكن من فهمـه . وفـي ذلك ما نلمســه فيما يتضمنــه

أدبهم ، ويكتسيه من معان القرآن ، والتوجيه السليم على ضــوء ما تقتضيه الحالة النفسية
والظرفية إستجابة للمواقف الإنسانية .

**خامسا** : هناك من الاقتباس ما هو متحرر من التقليد أو المحاكاة ، ويبدو ذلك جليا فـي التدخلات الناجمة في كثير من الصور التـي حدث فيهـا تغيير وتحوير ، معتمدين فـي تصويرهم على الاقتباس من القرآن ، مع وجود علاقة التكثيف في الألفاظ ، والاختيار الدقيق للمعنى لحصر اللفظة الشاملة . والكاملة لتأدية الوظيفة الموحية ، لتقريب الصورة أو الرمز إلـى ذهن المتلقي أو السامع .

**سادسا** : نستطيع رؤية التمييز الحاصل فـي تطور المعجم اللغوي ، وإضفاء صور ورموز في النثر الجزائري الحديث التـي استمدها الكتاب من الممارسة الدائمة ، وإلتزامهم مدارسة القرآن وتدريسه ، وفـي ذلك ما يكشف ظاهرة التأثر بالقرآن ، وما تفجرت به تلك القرائح من زخم كبير أدى إلى النضج الفكري الحاصل من التجرية الأدبية النثرية الفياضة شكلا ومضمونا .

**سابعا** : من الممكن القول أن رجال الإصلاح لم تعترضهم أية صعوبة فيما يخص الأخذ من القرآن في حالة إحقاق الحقائق التـي أثبتها القرآن ، أثناء استلهامهم للمعاني والألفاظ والصور للكشف عن الأهداف المرغوب توضيحها ، وهذا يعود إلى الأسباب التالية : التكوين الجيد في اللغة ـ والتمرس عليها . والشعور القوي بالأوضاع التـي يعاني منهـا المجتمع الجزائري وأن لا حل لهذه المعظلة إلا بالعودة إلـى مـا جاء به القرآن الكريم والعمل به .

وعلى العموم فالحديث عن الاقتباس من القرآن الكريم لم يخلُ من السلبيات المثمثلة في التكلف أو النزول إلـى السهل عند استعمال الصيغ الجاهزة . ومع ذلك فالنثر الجزائري يعتمد الصدق والإلتزام بعيدا عن الغـلو ، والتزلف ، وهو دائما يسعى من أجل أن يكون أدب الإنسان ، والجمال ، والخيـر ، والحياة السعيدة المستقرة الحرة .

# قائمة المصادر والمراجع


- القرآن الكريم
- مسلم ، صحيحه ، بشرح النووي ، دار الفكر بيروت ، د- ت 1985م.
- الجواهري :
الصحاح ، دار الفكر ، بيروت ، د-ط ، 1981م .
- ابن منظور :
لسان العرب ، دار الصادر بيروت ، د-ط ، 1992 م.
- ابن كثير :
تفسير القرآن العظيم ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط : 1 2002 م.
- ابن باديس :
حياته وأثاره ، جمع ودراسة عمار الطالبي ، ط : 2 ، 1983 م.
- ابن خلدون :
المقدمة ، دار القلم بيروت لبنان ، ط: 5 ، 1984 م .
- إبن الشيخ الحسن سفيان :
المعجزة القرآنية ، دار الشهاب باتنة ، الجزائر ، ط : 1 ، 1983م .
- أبو القاسم سعد الله :
تاريخ الجزائر الثقافي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، د-ط ، ج:2 ، 1981 م

- أثار عبد الحميد بن باديس :
من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط : 1 ، 1985 م .
- الجواهري :
الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، ط : 3 ، 1984 م .
- الجاحظ :
البيان والتبيين ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، د-ط ، د- ت .
- أحمد مصطفى المراعي :
علوم البلاغة ، دار القلم بيروت لبنان ، ط : 2 ، 1984 م.
- أحمد الشرباصي :
موسوعة أخلاق القرآن ، دار الرائد العربي بيروت لبنان ، ط : 1 ،1971م.
- الزمخشري :
تفسير الكشاف ، تحقيق مرسى عامر ، دار المصحف القاهرة ، ط : 2 ، 1977 م.
- الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري :
تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ، شرح وتعليق د : ممدوح حقي ، دار اليقظة العربية بيروت ، ط : 2 ، 1964 م .
- الأمير عبد القادر الجزائري :
ثقافته وأثرها في أدبه ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د- ط ، 1986م .

- العربي التبسي :
مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر ، جمع وتعليق ، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة ، الجزائر ، ط : 1 ، 1981 م.
- العربي الذهبي :
شعريات المتخيل ، شركة النشر والتوزيع - المدارس- الدار البيضاء ، ط:1 ، 2000 م.
- العربي لخضر :
الدراسة الفنية للقصة القرآنية ،دار الغرب للنشر والتوزيع وهران الجزائر ، د-ط ، د-ت .
- السيوطي :
المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، دار الجيل بيروت ، د-ط ، د-ت .
- الميداني :
مجمع الأمثال ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ، د-ت .
- بلقاسم بغدادي :
المعجزة القرآنية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د-ط ، د-ت .
- بكير بن سعد :
أضواء على الاخلاق الإسلامية ، دار البعث قسنطينة ، ط : 1 ، 1984 م.
- حنفي بن عيسى :
محاضرات في علم النفس اللغوي ، الشركة الوطنية للنشر الجزائر، ط : 2 ، 1980 م.

- رينيه ويليك أوستن وارين :
نظرية الأدب ، ترجمة محي الدين صبحي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، د-ط 1987 م .
- زكي نجيب محمود :
تجديد الفكر العربي ، دار الشروق بيروت لبنان ، ط:7، 1982 م.
- محمد ناصر بوحجام :
أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، 1925-1976 ، الطبعة العربية ، غرداية ، ط :1 1992م.
- محمد السيد علي الوزير:
الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثارها في أدبه ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986م .
- محمد عباس :
البشير الإبراهيمي أديبا ، ديوان المطبوعات الجامعية بوهران ، د-ت .
- محمد البشير الإبراهيمي :
أثار الإبراهيمي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، ط : 1 ، 1978 م.
عيون البصائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط : 1 ، ج : 2 ، 1981 م.
- محمد علي الصابوني :
صفوة التفاسير ، دار الصابوني القاهرة ، ط :9 ، د-ت .

- محمد السعيد الزاهري :
الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ، دار الكتب الجزائر ، د.ت .
- محمد الصالح الصديق :
التبيان في علوم القرآن ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د-ط ، 1989 م.
- محمد الطاهر فضلاء:
قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، نشر مطبعة البعث ، الجزائر، د- ت.
- محمد عبده :
رسالة التوحيد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د.ت .
- محمد ناصر :
رمضان حمود ، حياته وأثره ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط : 2 ، 1985 م.

الشعر الجزائري الحديث ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، لبنان ، ط : 1 ، 1985م .
أبو اليقضان وجهاد الكلمة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط : 2 ، 1983 م .
- محمد عبد الستار نصار:
دراسات في فلسفة الأخلاق، دار القلم الكويت ، ط: 1، 1982 م.
- محمد الغزالي :
خلق المسلم ، دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة الجزائر ، د-ط ، 1985 م.
- محمد إسماعيل ابراهيم :
معجم ألفاظ القرآن الكريم ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ط : 2 ، 1970 م .
-231-
معجم الألفاظ والإعلام القرآنية ، دار الفكر العربي ، ط:2 ، د- ت ، ص188.
- محمد عبد الستار نصار:
دراسات في فلسفة الأخلاق ، دار القلم ،الكويت ، ط : 1، 1982 م .
- محمد عبد العظيم الزرقانـي :
مناهل العرفـان في علوم القـرآن ، دار الفكر مصر ، د-ط ، د-ت .
- محمد متولي الشعراوي :
قصص الأنبياء والمرسلين ، المكتبة العصرية بيروت ، د-ط ، 2000 م .
- محمد كامل جمعة :
الأسلوب ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ط: 2 ، 1963 م.
- محمد الصالح الصديق :
الدروب الحمر ، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د-ط ، 1979م .
- محمد السيد علي الوزير ومن معه :
قصص القرآن ، دار الجيل بيروت ، ط :1 ، 2000 م.
- محمد أحمـد خلف الله :
الفن القصصي في القرآن الكريم ، مكتبة الانجلوا المصريـة ، القاهرة ، ط : 3 ، 1965 .
- محمد لطفي الصباغ :
التصوير الفني في الحديث النبوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط : 1 ،1983 م .
Mercia eliad 1952 . images …

- محمد أحمد جاد المولى ومن معه:
قصص القرآن ، دار الجيل بيروت ، ط:1 ، 2000م .
- موهوب مصطفاي :
الرمزية عند البحتري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، د- ط ، 1981 م.
-مصطفى صادق الرافعي :
إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط:8 ، د.ت .
- مبارك بن محمد الميلي :
رسالة الشرك ومظاهره ، شركة الشهاب الجزائر ، د-ط ، د-ت.
- ملحق الثورة الثقافي ، العدد : 2 ، 1978 م .
- عبد الله الركيبى :
تطور النثر الجزائري الحديث ، 1830-1974م ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية ، دار نافع للطباعة مصر1976 م.
- عبد الفتاح صالح نافع :
الصورة في شعر بشار بن برد ، دار الفكر ، عمان ، 1983م .
- عبد الرحمن حسن الميداني :
أمثال القرآن ، دار القلم دمشق ، ط :2 ، 1992 م.
- عبود شراد شلتاغ :
أثر القرآن الكريم في الشعر الحديث ، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، د-ط ،1983 م.

- عز الدين بليق :
منهاج الصالحين ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ط: 2 ، 1984 م.
- علي عبد الواحد وافي :
فقه اللغة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط : 7 ، د-ت .
- عز الدين اسماعيل :
الشعر العربي المعاصر ، دار العودة بيروت لبنان ، ط:3 ، 1981م .
- عفيف عبد الفتاح طبارة :
مع الأنبياء في القرآن الكريم ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط : 9 ، 1981 م.
- غنيمي هلال :
النقد الأدبي الحديث ، دار الثقافة والعودة بيروت لبنان ، د- ط ، 1973 م.
- فائز الداية :
جمليات الأسلوب ، دار الفكر دمشق سورية ، ط :2 ، 1990 .
- فؤاد العرايس :
لطائف التفسير من سورة يوسف ، دار المعرفة بيروت ، ط:1 ، 2005 م.
- قدامة ابن جعفر :
نقد النثر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د-ط ، 1982م .
- سيد قطب :
التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط:7، 1982 م.

فى ظلال القرآن ، دار الشروق القاهرة ، ط:35، 2005 م.
- شوقي ضيف :
تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط : 10 ، 1986م.
- نسيب النشاوي :
مدخل إلى دراسة المدارس الأدبيـة ، نقلا عن خليل موسى ، اللغة في ميزان الشعر ، ملحق الثورة الثقافي ، العدد : 2 ، 1978 م.
- ناجي التكريتي :
الفلسفة السياسية عند ابن الربيع ، دار الأندلس بيروت لبنان ، ط : 3 ، 1983 م.
- نبيل رشاد نوفل :
العلاقات التصويرية، منشأة المعارف بالأسكندرية ، د- ط ، د-ت .
- صلاح عبد الفتاح الخالدي :

نظرية التصوير الفني ، شركة الشهاب الجزائري ، د- ط ، 1988 م.
- وهبة الزحيلى :
الفقه الإسلامي ، مطبعة ابن حيان بدمشق ، ط:3،1980.

# فهـرس الموضـوعات

## فهرس الموضوعات